مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥٦ — ٢٥ صفر سنة ١٣٧٦

حافظ ابراهيم على سجيته

الاسكندرية في ١٥ نيسان سنة ١٩٢٦ و ٢ شوال سنة ١٣٤٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذكرت في آخر مقالي السابق (١) عن حافظ ابراهيم أنه قال لي : سنراك في الإسكندرية قريباً ولعل ذلك يكون في العيد .

لقد وفى بما قال ، فزار الإسكندرية ومعه حسين الحسيني في عيد الفطر سنة ١٣٤٤ منتصف نيسان سنة ١٩٢٦ ، فقضينا معه نهاراً بطوله ووصلنا به ليلة طويلة . وكان حافظ في هذه النوبة مرسلاً نفسه على سجيتها في كل ما يقول ، وكثيراً ما يؤثر الدعابة على الجد ، ويرتاح لإيراد النكت والفكاهات البلدية معما يكن نوع الحديث .

كان الموعد أن نجتمع في الصباح بقهوة نلسون ، فلما أقبلت عليه قال لي : خشيت ألا تهتدي الى المكان ، وأن يلتبس عليك نلسون بولسون ، فاللفظان

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ص ٣٥٣ مجلد ٣١

متقاربان ، على أن أحدهما قائد الأسطول الانكليزي والآخر الرئيس الأميركي .
ثم قال : قل لي هل أفطرت ؟ فأنا لم أفطر بعد ، وسأطلب فطوراً لي ولك ،
قلت : شكراً لك لقد أفطرت . قال ماذا أكلت ؟ قلت الخبز والجبن . قال
هل كنت في القسم(١) ؟ فهذا أكل رجال البوليس . ما أعجب شأنكم يا أهل
الشام ، تبلّون ثريدكم بماء الحمص بدلاً من ماء اللحم وترشون على وجهه حبات
من الحمص(٢) بدلاً من اللحم ، أهكذا يكون الثريد ؟ لست أدري أأنا كلون
مثل هذا الطعام تقشفاً وزهداً أم على سبيل الحمية ؟

والتفت إلينا فقال : أتريد أن تعرف رجلاً لم يأكل ولم ينم منذ ثلاثين سنة ؟
هذا هو إنه مقبل علينا ، فلما قرب قال له : أين كنت يا أستاذ ؟ أكنت
تأكل ؟ فقال : لا والله ما أكلت (ش) . قال إذن كنت نائماً ، فقال : لا والله
نائمت (ش) . قال لي أرأيت ؟ هذا الشيخ عبد العزيز البشري صديقي منذ
ثلاثين سنة ، لم أره مرة — وما أكثر ما أراه — إلا قال لي ما أكلت (ش)
ولا نمت (ش) . ثم التفت إليه وقال : سأطلب لك فطوراً ، قال ما تشتهي
نفسي الطعام ، قال ماذا وصف لك الأطباء ؟ قال وصفوا لي من المقبلات
فراخ الطير ، وتأبى نفسي أن أفجع أمهات الطير بفراخها فضلاً عن إيلام الفراخ
بالذبح لكي أشحذ شهوتي الى الطعام ، فما أقسى الإنسان وما أشد ظلمه . فقال
حافظ : إذا عجز الأطباء عن علاجك ، أما في الحي عندكم واحدة من أولئك
العجائز اللواتي عندهن لكل داء دواء ؟ فقال البشري عندنا عجوز في صدرها
دائرة معارف ، تجيب قبل السؤال ، وتعالج جميع الأمراض ، وتسفه الأطباء
وتنكر عليهم علمهم ومعرفتهم ؛ ولم يبق عليّ إلا أن أذهب اليها . وسأله حافظ
عن ولديه فقال : هما بخير والحمد لله وبالیتهما لم يأتيا لهذه الحياة التي كلها آلام ،

(١) يعني المخفر .
(٢) يريد بذلك ما يسمى في دمشق (التسقية) .

وأنا الجاني عليها . فقال له حافظ : هون عليك فالحياة أهون من أن يهتم لها الإنسان ، رحم الله محمد البابلي فقد كان يسخر من الخطوب ولا يأسى على ما فاته أو خسره من عرض الدنيا ، أعسر مرة فاستدان مبلغاً من المال ورهن ملكاً له عند الدائن ثم باع الملك ؛ فسمعته يروي حديثاً موضوعاً في هذا الشأن – وكثيراً ما كان يضع الأحاديث على سبيل التظرف – فيقول : « خيركم من رهن ثم باع » قلت له ولماذا ؟ قال لأنه يقبض الثمن مرتين . هذا الرجل الذكي الألمعي المتوقد الذهن الوفي الذي كان حديثه بهجة النفوس ونزهة الخواطر ، أنكره المصريون يوم وفاته فلم يشيع جنازته غير بضعة أشخاص ، لم أر بلداً أقل وفاء وأكثر هضماً لحقوق رجاله من مصر .

وسكت حافظ متأثراً فاغتنم هذه الفرصة حسين الحسيني وقال لي : الأستاذ البشري صاحب مقالات (في المرآة) التي تنشر في (السياسة الأسبوعية) ، فأسرع البشري وقال بلهجة المستغني عن التقريظ والثناء : بعضها بعضها .

ثم التفت إليَّ حافظ وقال : متى ضرب الافرنسيون دمشق ؟ قلت في تشرين الأول سنة ١٩٢٥ . فقال : لا مؤاخذة إذا قلت لك ترجم فلقد نسينا نحن في مصر أسماء الأشهر المعرّبة وأضعنا استعمال الحساب العربي وأصبحنا لا نعرف الأشهر إلا بالأسماء الافرنجية ، فنقول ابريل ومايو ويونيو وهكذا ... وهذا مما يؤسف له . ولكن دعنا من مسألة الحساب الآن وخبرني عن غرام السوريين بالثورات ، بالأمس ثرتم على الأتراك فأنكر عليكم المصريون ذلك وعدوا عملكم ضرباً من الخيانة ؛ أما أنا فقد عذرتكم ، لأن التركي في حكمه لا يطاق « عشرة [1] وأنا سيدك » هكذا هو ، وأنا اتغاظ (اغتاظ) من الأتراك لهذا الصلف العجيب . وما كدتم تتخلصون من الأتراك حتى ابتليتم

(١) مثل عامي مصري يصف الشحاذ التركي في مصر ، يطلب منك عشر بارات ويقول لك أنا سيدك ، يقابله في أمثال الدرب « أنف في السماء واست في الماء »

بالإفرنسيين وهم أدهى وأمر ، جمعوا الى الصلف الغرور والى الأنانية الحمق والى القسوة الظلم وهم أشد الناس خفة وطيشاً وأكاد أقول جنوناً ، ولعل الله ابتلاكم بهم لمشابهتهم لكم من بعض الوجوه ؛ على أن الشامي معروف عند المصريين بالبرودة فيقال برد شامي ، ولقد رأيت مرة بعض أصحابي مع شامي فقلت له ما الجامع بينكما ؟ فقال أبترد ببرودته . ولا شك في أن أقوى الشعوب اليوم في العالم ثلاثة وهم الإنكليز والألمان والإفرنسيون ، ولي فيهم قول مأثور صنفهم ووصفهم وصفاً صادقاً يصور على إيجازه كلاً منهم في نفسه وفي حكمه لغيره : فالانكليزي يعلم ويرحم ، والألماني يعلم ولا يرحم ، والإفرنسي لا يعلم ولا يرحم .

أما نحن وأنتم وبقية المسلمين فصائمون دائخون نائمون ، أضعنا ما بأيدينا ولا نكاد نعلم من أمور الدنيا شيئاً ، لقد خسرنا الدنيا ونطمع بالجنة في الآخرة ، وأخشى ـ إن تحقق أملنا ـ أن نحتاج للأوربيين حتى في الجنة ، لأنه لو طرأ عطل هناك على شيء من أدوات الترف والنعيم ، لما كان بين المسلمين من يقوم بإصلاحه ، ولاحتاجوا الى استدعاء بعض الأوربيين من النار .

وانتقلنا من قهوة نلسون الى مطعم على البحر ، وروى حافظ آنئذ خبراً غريباً قال : لما كان السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في باريز زارهما أمير عربي ، وذكر لهما أن ابراهيم بك المويلحي حصل على وثائق من عنده بحيلة ، وفي هذه الوثائق ما يغضب فرنسة على الأمير ، وأن المويلحي أنذره بأنه اذا لم يدفع له ألف ليرة ذهباً سيسلم الوثائق الى الحكومة الافرنسية ، وذكر الأمير أنه في ضيق لا يملك هذا المبلغ من المال ، ورجا منهما أن ينجياه من شر المويلحي ؛ فاستشاط السيد جمال الدين غضباً ، وكان حاد المزاج ، وقال : ينبغي زجر المويلحي وتأديبه واسترداد الوثائق منه . فقال الشيخ محمد عبده : لا فائدة من أخذه بالشدة بل ربما كان في الشدة ضرر ، فدع هذا الأمر إليَّ لعلي أتمكن بالرفق واللين والحيلة من استرداد الوثائق . وبعد أيام زار الشيخ محمد عبده

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابراهيم بك المويلحي في الغرفة التي هو نازل فيها وتكررت الزيارات بينهما حتى أنست صاحبة الدار بالشيخ ، فجاء يوماً ولم يكن المويلحي في الدار ، ففتحت له الغرفة وتركته وحده ، فأخذ الوثائق وقعد قليلاً ثم خرج وأسرع بهـا الى صاحبها الأمير ؛ فلما علم المويلحي بالأمر جن جنونه وذهب الى الشيخ وقال له : ان ما فعلته يا أستاذ خلاف الأمانة ؛ فضحك الشيخ وقال له : والذي فعلته أنت ما هو ؟ أمانة ؟

قال حافظ : رحم الله الشيخ فقد ملئ علماً وعقلاً ومروءة ، وقد فقدت مصر بوفاته ركناً عظيماً ، وكأنما الشاعر عناه ساعة دفنه بقوله :

قد خططنا للمعالي مضجعا ودفنا الدين والدنيـا معا

وكان المطعم مزدحماً جداً ، فلم نكد نفرغ من الطعام حتى غادرناه وركبنا عربة قاصدين قهوة نجلس بها بعد الطعام ، فلما نزلنا من العربة وقف حافظ ابراهيم وسلم على رجل من عامة الناس قصير القامة مكتنز الجسم زري الملبس وصافحه وهز يده طويلاً وهش له ؛ فقال له الرجل القصير : أنت نسيت أصحابك يا حافظ بك ، فأجابه : لا والله ولكن أين أراك ؟ فقال له : اسأل عني ترني .... فودعه ضاحكاً . ثم دخلنا قهوة صغيرة وأقبل بعد قليل بهي الدين بك بركات وقعد بجانب حافظ ابراهيم ، وجاء خادم القهوة ووجه الكلام لحافظ واحتفى به وسأله عما يريد من المشروب ، فقال له حافظ مالك تحتفي بي هل تعرفني ؟ قال : كيف لا أعرفك ، أنت شاعر مصر الكبير . قال حافظ : يعني العجوز ، قال : لا والله ما قصدت هذا ، فسر حافظ بذلك وضحك .

ونشأت في السماء سحابة وسقطت منها قطرات من المطر ، فرفع حافظ بصره الى السماء وقال : يعجبني قول الشاعر في مثل هذه الحال يعني سقوط المطر غير المنتظر :

عليّ وإلاّ ما بكاء الغمائم وفيّ وإلاّ ما نواح الحمائم
وعني أثار الرعد صرخة طالب بثأر وهز البرق صفحة صارم

وردد الشطر الأول غير مرة وقال : إذا كان المطر في غير وقته فما هو إلا بكاء الغيم عليه وعلى أمثاله من الشعراء .

ثم قال : والشيء بالشيء يذكر وإن كان لأدنى ملابسة ، يعجبني قول شاعر عامي في مطر شديد مستمر وفيه دعابة ونكتة :

أقلعي بالله عنهم وارحميهم يا سما   ما هم من قوم نوح إنهم من قوم لوط

وكان يردده مخاطباً السماء ويضحك .

وهيجت هذه اللمحات من الشعر حديث الشعر في نفسه فقال : جاءني وأنا في شبابي رجل من دعاة الشيخ أبي الهدى الصيادي ، وزين لي أن أذهب الى استانبول بقصيدة أمدح بها الشيخ وأكون ضيفاً عليه وأكون شاعره ، ومناني كل ما تصبو اليه النفس من عرض الدنيا ، وبقيت مدة بين المقدم والمحجم ، وكدت أجيب الدعوة ، ثم انصرفت نفسي عن الإجابة فاعتذرت ، وأحمد الله على أنني لم أسلك ذلك المسلك ، ولو فعلت لكنت مثل غيري من الشعراء المداحين الذين كانوا يتهافتون على أبواب الملوك والأمراء والرؤساء ، وإذا سئل عنهم قيل مَن في الباب من الشعراء ، كأنهم من الخدم ، ولما أتيح لي أن أعنى بالشعر الاجتماعي ، وأشارك في نقل الشعر من الهزل الى الجد ومن المواضيع التافهة الى المواضيع ذات البال .

وعلى ذكر الشعر قال : دعيت مرةً لإنشاد قصيدة من شعري في حفلة جامعة ، فلما اكتمل الجمع وصعدت المنبر وشخص الناس بأبصارهم إليَّ وحبسوا أنفاسهم مصغين منتظرين ما سأقول ، أنشدت البيت الأول من القصيدة كأحسن ما ينشد شاعر . ويظهر أنه كان بجانب مكان الحفلة اصطبل فنهق فيه حمار نهيقاً منكراً تردد صداه في قاعة الحفلة ، فقطعت الإنشاد حتى سكت الحمار فضحك الناس ، ولما عدت الى الإنشاد عاد الحمار الى النهيق ، فقلت للحاضرين : إما أنا أو هو ، فضجَّ الناس بالضحك والتصفيق ، فقلت لهم : أنا جاد واست

بهازل ، لئن لم تسكتوه لأتركن المنبر ؛ ولما أنعي عن المكان أتممت إنشاد القصيدة .

ولم يكد يتم هذه الفكاهة حتى نهض وكان الوقت بعد الغروب بقليل . والذي لاحظته أن بهي الدين بركات منذ جاء الى أن انصرف ظل ساكتاً سكوتاً طويلاً .

وتركنا هذه القهوه وذهبنا لنتعشى في دار الدكتور أحمد قدري إجابة لدعوته ، فلما بلغناها بالغ صاحب الدار بالحفاوة بحافظ ابراهيم ، فكان يقول له عقب كل كلمة يقولها حافظ : أمرك سيدي ، تأمر ، مرني بما تشاء ، فلما طال ذلك على حافظ قال له على سبيل الدعابة : آمرك أن تسكت ، ما هذه المبالغة في الحفاوة ؟ قال : لأن الله اختصك بموهبة لا يختص بها إلا القليل النادر من عباده هي موهبة الشعر ، فقال حافظ : اسكت يا شيخ أنت عالم ، ثم قال سأختبر علمه في الطب ، فان جمل ناقتي تسير بي نحو المنزل الخالي شهدت له بالحذق .

وبعد قليل قدم للحاضرين ما يقدم عادة قبل الطعام من المقبلات ، فتناول حافظ كأساً جرع منها جرعة أغمض منها عينيه والتهم شيئاً من النقل يمسح به حرافة الجرعة ، وكانت التي تقدم المقبلات فتاة تركية وسيمة ، فأشار إليها بعض الحاضرين أن تجور على حافظ ابراهيم بمباطاة الكؤوس ، فكانت تقدم له الكأس تلو الأخرى ، تعطيه الملأى وتأخذ الفارغة . فقال لها : بس ؛ فقيل له إنها لا تفهم العربية ، وتظاهرت هي بأنها لم تفهم ما قال ، فقال لها : (نودر) والتفت الى الحاضرين وقال : لقد كلمتها بالتركية ، وهل التركية غير (در ودن وده) وما إلى ذلك من الأدوات . و (no) أصبحت تركية بعد أن ذُنّبت بـ (در) .

ثم قال لي أنشدني شيئاً من شعرك ، قلت : لا أعتني بحفظ شعري . قال أذكرتني بقولك هذا قصة سأقصها عليك ، لما كنتُ في المدرسة اتفق أن جاء

مفتش ونحن في درس اللغة الافرنسية وبدأ يختبر معرفة التلاميذ بها ، فاستدعاني إليه وقال لي « Parlez-vous français» فأشرت إليه برأسي (لا) فقال لي : ولا (non) يا شاطر . أتريد أن تعمل مثلي لست بتاركك ، ولك علي أن أجور لك برأيي من غير مواربة . فقرأت له قصيدة عنوانها (شهيد ايرلنده) أولها :

أبى رق الحيـاة فمات حرا وأبلغ نفسه في ذاك عذرا

فقال بعد أن سمع البيت الأول « طيب يا واد » وكرر هذه الجملة عقب كثير من أبيات القصيدة ؛ فلما انتهيت قال اسمع : «ان تكون كالمتنبي ولكنك كالبحتري» فشكرته وحملت ما قاله على المبالغة في المجاملة .

وكأنما تنبه في نفسه حديث الشعر والأدب ، فذكر كتاب الأغاني وقرظ طبعته الجديدة وقد صدر منها الجزء الأول ، وقال لا أدري متى ينتهي طبع بقية الأجزاء لأننا في دار الكتب ندقق في تحقيق الأصل وتصحيحه وقد تبقى حروف الملزمة مصفونة في المطبعة شهراً أو أكثر لأنه إذا توقف المصححون في دار الكتب بشيء عرضوه على أهل العلم الثقات كأحمد تيمور باشا وأضرابه .

وذكر أحمد بن يوسف الكاتب وأثنى على كتابه (المكافأة) وقال : لقد استظهرت كثيراً من كتاب المكافأة .

وذكر الجاحظ وأثنى عليه كثيراً وقال : إنه بليغ هذه الأمة وأحسن البلغاء بياناً ، فضلاً عن سعة العلم ورجاحة العقل وخفة الروح ، وروى عن الجاحظ هذه الحادثة قال : « وضعت حلقة من حديد في النار حتى صارت حمراء ، ثم ألقيتها على الأرض ووضعت في وسطها نملة ، ووقفت أنظر ما تصنع النملة ، فمشت النملة إلى جهة الشرق فلما أحست بوهج النار انكفأت الى جهة الغرب فلما أحست أيضاً بحر النار عادت وقصدت الى كل جهة من جهات الحلقة فلما لم تجد مخرجاً وقفت في أبعد مسافة عن النار » قال حافظ فانظر الى الجاحظ كيف عبر عن مركز الدائرة الذي لم يكن معروفاً وقتئذ بأبعد مسافة .

وأورد من دعاباته وفكاهاته ما يلي قال : سأل بعض الناس الجاحظ أن يعطيه كتاب توصية الى بعض العمال ، فدفع الجاحظ اليه كتاباً مختوماً ، وبدا لهذا السائل أن يفض الكتاب فاذا فيه : « هذا الكتاب مع من لا أعرفه ، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وان رددته لم أذمك » فلما سئل عن ذلك قال : هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به ، فقال المكتوب لأجله : أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف ... وأم من يسأله حاجة . فلما استنكر منه ذلك قال : هذه علامتي فيمن أشكره . فضحك الجاحظ . كان حافظ يروي هذه القصة بفمه وبيديه معاً ويغرب في الضحك .

وانتقل الى الكلام عن سعد باشا زغلول واستقلاله بعظائم الأمور ، وقيامه بالشؤون الهامة في الحزب والحكومة ومجلس النواب ، حتى إذا ذلل الصعاب ولم يبق غير الأمور اليسيرة ترك كرسي الرياسة واستدعى نائبه فقال « تعال يا نحاس » قال حافظ ذلك وقام من كرسيه نصف قيام محاكاةً وتمثيلاً لسعد .

وسألني عن الأستاذ محمد كرد علي فقلت له : إنه بخير ويذكرك بالخير ، فقال : هذا رجل عظيم .

ثم سألني عن الشيخ فؤاد الخطيب وقال : إنه شاعر ؛ فمد الألف ووقف على الراء بقوة .

وكأنما استبطأ الدعوة إلى المائدة فقال :

قد جن أصحابك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

ثم قمنا الى المائدة فبدأ يهدر بكلامه هدراً وألهاه الكلام عن الطعام وتندر على المصريين والشاميين ، قال : للمصري فهم عجيب ومنطق أعجب ، وقف مرة فلاح مصري أمام قاضٍ في المحكمة ، فسأله القاضي الأسئلة المعتادة عن الاسم والسن والحال والصنعة والبلد ، فكان جوابه عن سنه « سنة زرع أفندينا

القطن» فزاده القاضي سؤالاً وقال «متزوج أنت أم عزب» فقال: «نعم يا أفندم متزوج مرة» فنهره القاضي وقال: ما هذا الكلام الفارغ، وهل يتزوج أحد غير امرأة؟ فقال «نعم ... أختي ... أختي متزوجة راجل» وحملق في وجه القاضي كمن أقام الحجة الدامغة. وكان حافظ يغرب في الضحك من جواب المصري ويقول أجاب جواباً لا يرد.

وقال: أراد أن يسافر فلاح مصري من قريته إلى القاهرة، فجاء الى المحطة وسأل قاطع التذاكر عن الأجرة، فذكر له تفاوت الأجرة باختلاف الدرجات، وزيادة في الإيضاح قال له: يعني فوق أغلى من تحت، وتحت أرخص من فوق؛ فقال له الفلاح: احفر لي أسفل من تحت وخذ مني أرخص، ثم قال: لا تظن أن الشامي يقصر عن المصري في هذا الباب ولعله يفوقه، اسمع هذه القصة: جاء مرة رجل شامي الى الاسكندرية في طريقه الى القاهرة، فركب القطار من الاسكندرية ومعه عباءته وخرجه، فسار القطار ولما وقف في المحطة الأولى بسيدي بشر، ثار الشامي من مكانه وعلى كتفيه العباءة والخرج وهمّ بالنزول وسأل حارس القطار: وصلنا مصر سيدي؟ فأجابه: كلا أين أنت من مصر عد إلى مكانك. وكان كلما وقف القطار على محطة فعل الشامي ما فعله في محطة سيدي بشر. فلما ضاق به الحارس قال له: مالك يا أخي، اقعد في مكانك، هل مللت من الركوب؟ فقال له الشامي: إي والله سيدي مللت أريد أن أصل إلى مصر. فقال له الحارس: إذا كنت مللت ولم تمض عليك ساعات في القطار، فماذا أقول أنا، أنا في هذا القطار من ثلاثين سنة. ففتح الشامي فمه وجحظت عيناه وقال للحارس: «من أي محطة أنت راكب سيدي؟»

والتفت يمنة ويسرة ونظر تجاهه فوجد القاعدين مشغولين بالطعام، فرفع بصره الى الفتاة التركية الواقفة على المائدة وقال لها: (بو — وأشار إلى القاعد عن يمينه — غيبوبت، وبو — وأشار الى القاعد عن شماله — غباوت، والضيف

— وأشار إلى نفسه — ضابع در) فعج الحاضرون بالضحك وقالوا له : ختمت اللغة التركية ؛ وغلب على الفتاة الضحك حتى كاد ينزلق صحن الطعام من بين يديها على كتفيه ، فقال : قلت لها أطعميني ولم أقل لها أطعمي ثيابي . وصبت له في كأسه ماء فظنه من الأشربة الحارة فقال لها : أنا مسلم[1] صبني لا أشرب غير الماء والأشربة الحلوة .

وكان الليل قد مضى أكثره فانصرف الحاضرون ولسان حالهم ينشد :

نود أن سواد الليل دام لنا   وزيد فيه سواد القلب والبصر

***

ذيل
(في ما رُوي لي من أخبار حافظ ابراهيم ولطائفه)

حدثني حسين الحسيني قال : حافظ ابراهيم عصبي المزاج يكره الحلاقة ولا يصبر على الحلاق وعمل أدواته في الشعر ولا سيما المقص منها ، ولا يكاد يذهب إلى الحلاق إلا اضطراراً ، وقع يوماً بحكم الاضطرار بين يدي حلاق ، فأعمل برأسه المكنة والمقص والموسى ثم انحاز إلى قفاه وبدأ مقصه يجول ويستق علواً وسفلاً ، وطال الأمر على حافظ ابراهيم ، فقال له : متى تنتهي ؟ قال لم يبق إلا جهة الشمال . فنهض حافظ ونزع الفوطة من عنقه واتجه نحو الباب وهو يقول : نكتفي الآن بجهة اليمين وفي المرة الآتية نكمل الباقي في جهة الشمال .

---

(١) يريد بالمسلم الصبي : المسلم الجلد التقي . وقد كنت أظن هذا القول مما يتمثل به في مصر ، سألت عنه مرة الدكتور عبد الوهاب عزام فقال لي : لا أعرفه قلت جمته من حافظ ابراهيم ، قال : كان حافظ يضع الأمثال لنفسه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال : المشهور عن حافظ أنه جواد كريم ، والواقع كذلك وليس للمال قيمة في عينه ، سهر مرة في القاهرة يلعب الطاولة مع أصدقائه ، فلما طال أمد اللعب نبهه بعض الحاضرين الى أن آخر قطار يسير من القاهرة إلى حلوان (حيث يسكن حافظ) قد دنا وقته ، فلم يلتفت إليه حافظ حتى إذا انتهى من اللعب بعد فوات وقت القطار طلب الى الشركة أن تجهز له قطاراً خاصاً من القاهرة الى حلوان ، وكان الأمر كذلك ودفع الأجرة الضخمة المعينة لمثل هذه الحال .

وقال : سألته مرة كيف ينظم الشعر وكم بيتاً يقدر أن ينظم في اليوم ؟ فقال : ليس هناك قاعدة ثابتة ، فقد تمضي الأيام والشهور ولا أجد نفسي تنشط لقول الشعر ، وقد يستعصي عليّ إذا طلبته في مثل هذه الحال فلا أقدر على نظم بيت واحد أرتضيه ولو حاولته طول يومي ، أما اذا ارتاحت نفسي الى الشعر وكان الباعث عليه يلائم هواي فأقول الأبيات في اليوم الواحد من غير كد ولا جهد .

وقال : يظن بعض الناس أن حافظ ابراهيم من المولعين بالشراب ، وليس كذلك ، وإنما هو مولع بالسيكار وبأجود أنواعه ، ولو نفدت ذخيرته منه وقيل له ثمن كل واحد جنيه لاشتراه .

وقال : قال لي حافظ ابراهيم : كان لأولى زلات الصبا التي كانت مني ، تأثير عجيب في نفسي ، فقد خشيت أن يعجّل الله لي العذاب كأن يخسف بي الأرض أو يسقط عليّ كسفاً من السماء ، وخيّل إليّ أني إذا ظهرت بين الناس لم يخف عليهم ما اقترفت من الإثم ، فبقيت واجماً ولزمت الدار مدة لا أخرج منها إلا لأمر لا بد منه ، فلما توالت الأيام أطمعني حلم الله ورجاء عفوه .

وحدثني الشيخ فؤاد الخطيب قال : كانت قهوة سبلنددبار في القاهرة أشبه بندوة لكثير من الأدباء يجلسون بها في العشايا ويتناشدون الأشعار ، وكان رئيس القوم في تلك الندوة اسمعيل صبري باشا شيخ الشعراء المشهور بنفوذ

بصره ورهافة سمعه وصحة ذوقه في نقد الشعر يعرض الشعراء عليه قصائدهم ومقطعاتهم ويسألونه رأيه فيها ؛ وكان حافظ يحضر تلك العشايا ويشيع فيها المرح بفكاهته ودعابته ، وحافظ مشهور بتثقيف شعره وإعادة النظر فيه وعرضه على إخوانه والإصغاء إلى مآخذهم عليه ، جاء ذات عشية وأنشد قصيدة سياسية رنانة في وداع اللورد كرومر واستقبال خلفه السير غورست مطلعها :

بنات الشعر بالنفحات جودي فهذا يوم شاعرك المجيد

فاستحسنها اسمعيل صبري باشا وكان مما أخذه عليه بها لفظة (ارتفع) في قوله :

إذا ارتفع الصياح فلا تلمنا فإن الناس في جهد جهيد

قال وما أقول مكانها ؟ قال هذا ليس من شأني ، عليَّ أن أنتقد وعليك أن تتلافى . فقال حافظ : موعدنا عشية غد ، وجاء في الوقت المعين ووجهه يطفح بشراً وأنشد :

اذا اعلولى الصياح فلا تلمنا فإن الناس في جهد جهيد

فقال صبري باشا : أحسنت ما شئت ، فكان حافظ يكرره ويكاد يرقص طرباً .

وقال الشيخ فؤاد : كنت ليلةً وحافظ ابراهيم سائرين في أحد شوارع القاهرة ، فسمعنا وراءنا وقع حوافر خيل وإذا بعربة فخمة تقف بجانبنا ، وإذا بالراكب فيها السيد توفيق البكري ينادينا انركب معه ، فقال له حافظ : إلى أين ؟ قال إلى الدار حيث نسمر معاً هذه الليلة . قال حافظ : رحم الله من قال (جوعٌ وأحاديث) نحن لم نتعش بعد ، فهل تعشيت أنت ؟ قال نعم وهذه خمسة جنيهات لعشائكما وسأسبقكما إلى الدار ، فتعشيا في أحد المطاعم ثم اقصداني في الدار فأنا بانتظاركما ، قال ذلك وذهب ، وبقيت مع حافظ ، واختلفنا في أي المطاعم نأكل فالمبلغ يخولنا أن نأكل في أفخم المطاعم ثم نركب الى دار السيد البكري أفخم العربات ، وشرع حافظ يبذر في القهوة والمطعم بين ثمن المشروب والمأكول وحلوان الخدم وثمن السيكار ، وفكاهاته لا تنقضي

الواحدة إلا بأخف منها حتى لم يبق من المبلغ شيء حتى ولا أجرة عربة وكاد الليل ينتصف وبقي السيد البكري بانتظارنا وما أشك في أنه هجانا .

وقال الشيخ فؤاد : لحافظ ابراهيم قصيدة طويلة في (عمر بن الخطاب) هي أطول قصيدة قالها ، وهي من عيون شعره تشتمل على سيرة عمر أولها :

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها أني إلى ساحة الفاروق أهديها

وكان حافظ في سنة ١٩١٧ آخذاً في نظم هذه القصيدة لم يفرغ منها بعد ، وكنا كلما اجتمعنا إذ ذاك نركب عربة ويقول حافظ للسائق : أذهب بنا حيث شئت ولكن خلصنا من الضجيج ، ويبدأ حافظ ينشد هذه القصيدة من أولها إلى المكان الذي انتهى إليه ، وكان من أحسن خلق الله إنشاداً للشعر ، فاذا أسرع السائق قال له حافظ «بأسطه واحده واحده» يعني خفف السير . وركبنا مرة وأخذ حافظ على عادته ينشد القصيدة ، وأسرع السائق بعد برهة فقال له (بأسطه واحده واحده) وتكرر ذلك عدة مرات فغمزت السائق في ظهره وقلت له أما تسمع ما يقوله لك ، فالتفت إلي وأشار الى حافظ بعينه وفمه وكأنه يقول : هذا محشش وانت مالك ؟ فضحك حافظ طويلاً .

وحدثني المرحوم عمر الفاخوري قال : لما زار حافظ ابراهيم بيروت ذهبت مع جماعة من الأدباء في ضحوة من نهار للسلام عليه ، وكان كل واحد منا يذكر له اسمه حين يصافحه ، ولما انقضى وقت الزيارة نهضنا للانصراف فودع الجميع وطلب إلي أن أبقى ، فسررت لإيثاره لي على جميع من كان معي ، وتلاحق المسلمون عليه فكان كلما انصرف جماعة منهم استأذنه بالانصراف فيستبقيني ، ثم قال لي في آخر مرة هممت بالانصراف : نتغدى معاً يا أستاذ ، فازداد سروري لهذه العناية الخاصة ، وبقيت معه وتركت عملي في الحكومة ذلك النهار ، وتغدينا معاً وهو يرسل النكتة تلو النكتة ثم شربنا القهوة واستأذنته بالانصراف بعد أن شكرته بأساليب متعددة ، فوقف وقال لي : «شرفت

يا أستاذ ، آأنت يا أستاذ ، هل يمكنني أن أعرف الاسم الكريم ؟ » فبهتُّ وكدت أصعق ، وقلت في نفسي : يدعوني ، ويعزم عليَّ ، ويؤثرني على جميع من زاره ولا يعرف من أنا ، وغالبت نفسي وقلت له (عمر الفاخوري) فقال : أهلاً وسهلاً يا أستاذ عمر ، أنا والله سعيد بلقائك ، يا ليتني عرفتك قبل الآن ، إذن لقلَّ عتبي على الزمان ، أتدري لماذا احتفيت بك عن غير معرفة ؟ قلت لا ، قال اسمع إذن ، كنت أظن أن الله لم يخلق أقبح مني ، فلما رأيتك خاب والحمد لله ظني ، ووجدتك مثلي إن لم تكن أشد قبحاً ، فكيف لا أكون سعيداً بلقائك ، فضحكت وضحك .

خليل مردم بك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاصطلاحات الفلسفية

- ٤ -

الأصل

في اللاتينية Origo

في الفرنسية Origine

في الانكليزية Origin

الأصل أسفل الشيء، وهو في اللغة عبارة عما يفتقر اليه ولا يفتقر الى غيره، وفي الشرع عبارة عما يبنى عليه غيره، ولا يبنى هو على غيره، أو هو ما ثبت حكمه بنفسه وبني عليه غيره. والابتناء إما أن يكون حسيًا، وإما أن يكون عقليًا. فالابتناء الحسي مثل ابتناء السقف على الجدار، والابتناء العقلي مثل ابتناء الأفعال على المصادر، والمجاز على الحقيقة، والأحكام الجزئية على القواعد الكلية، والمعلولات على عللها، وما يشبه ذلك.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وللأصل في اصطلاحنا عدة معان :

١ — الأصل بدء الشيء أي أول ظهوره ونشأته كما في قول ابن خلدون : «زعم أنه (الكلام على التوبذري) الفاطمي المنتظر تلبيسًا على العامة هنالك بما ملأ قلوبهم من الحدثان بانتظاره هنالك وان من ذلك المسجد يكون أصل دعوته» (المقدمة، ص : ٨٨). وهذا البدء قد يكون زمانيًا، كما في قول ابن خلدون أيضًا : «ان البدو أقدم من الحضر، وسابق عليه، وان البادية أصل العمران ... ان الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه، لأن الضروري أصل والكمالي فرع ... وذلك يدل على أن أحوال الحضارة

ناشئة عن أحوال البداوة وأنها أصل لها» . (المقدمة، ص : ٦٨) . وقد يكون مكانياً ، كما في قولنا ان نقطة الصفر تعتبر أصلاً بالنسبة الى تبدل قيم التحول ، وقد يكون مطلقاً كما في كلامنا على أصل الوجود ، أو مبدأ الوجود ، فهو لا يتضمن معنى زمانياً ، بل يشير الى ابتناء العالم كله على علة أولى قديمة .

٢ — وقد يطلق الأصل على أقدم صورة لشيء متبدل ، فيكون مبنى وأساساً لذلك الشيء ، كما في قول (رينان) : «يجب أن يشتمل تاريخ أصول المسيحية على تاريخ العهد المظلم الذي امتد من أوائلها الى الوقت الذي أصبحت فيه حادثاً عاماً شائعاً ومعلوماً لدى الجميع» (E. Renan, Histoire des Origines du Christianisme, t. I introd. p XXXIII) . وكما في قول (دوركهايم) : «ان الدراسة التي شرعنا بها ضرب من اعادة النظر في مسألة أصول الأديان بشروط جديدة . لا شك اننا اذا عنينا بكلمة أصل بدءاً مطلقاً أول وجب استبعاد هذه المسألة لخلوها من أية صفة علمية . فالمسألة المقصودة هنا هي غير هذه تماماً . اننا نريد أن نجد وسيلة لتمييز الأسباب الحاضرة دائماً ، وهي أسباب الصور الأساسية للتفكير والعمل الديني . فكلما كانت المجتمعات التي نشاهدها أقل تعقيداً كانت ملاحظتها أسهل ، ذلك هو السبب الذي من أجله حاولنا التقرب من الأصول» : (Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, p. 11) . وكما في قوله أيضاً : «أنت ترى أن لكلمة أصول عندنا معنى اضافياً ككلمة أوائل . ان هذا اللفظ لا يدل على البدء المطلق ، بل يدل على أبسط حالة اجتماعية معلومة ، لا يمكننا في الوقت الحاضر أن نرتقي الى حالة أبسط منها ، فاذا تكلمنا على الأصول أو على بدايات التاريخ أو على التفكير الديني ، فليفهم من هذه الألفاظ ما عنينا» . (دوركهايم ، المصدر نفسه ، ص ١١) .

٣ — الأصل هو الحالة القديمة التي تبدلت فخرج منها الشيء، كما في قولنا: أصل المسيحية اليهودية والهلينية. وقد يطلق الأصل على مجرد الحالة القديمة كما في قولنا: الأصل في الأشياء الإباحة، والأصل في الماء الطهارة، والأصل في الأشياء العدم، أي العدم فيها متقدم على الوجود.

٤ — وقد يطلق الأصل على المبدأ والقاعدة، فاذا أطلق على المبدأ سمي أصلاً منطقياً بخلاف الأصل الزماني والتاريخي، واذا أطلق على القاعدة دل على قضية كلية من حيث اشتمالها بالقوة على جزئيات موضوعها، وتسمى تلك الأحكام الجزئية فروعاً، واستخراجها منها تفريعاً. وحمل المفهوم الكلي على الموضوع على وجه كلي بحيث تندرج فيه أحكام جزئياته يسمى أصلاً وقاعدة، وحمل ذلك المفهوم على جزئي معين من جزئيات موضوعه يسمى فرعاً ومثالاً. والأصول من حيث انها مبنى وأساس لفروعها سميت قواعد، كما في قول الغزالي: «ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع الى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها». (المنقذ، ص ٩٥)، ومن حيث انها مسالك واضحة لها سميت مناهج، ومن حيث انها علامات لها سميت أعلاماً. والعلوم الأصلية هي العلوم المشتملة على المبادئ والقواعد الكلية. قال ابن سينا: «وهذه (الكلام على العلوم المتساوية النسب الى جميع أجزاء الدهر) منها أصول ومنها توابع وفروع، وغرضنا هنا هو في الأصول، وهذه التي سميناها توابع وفروعاً فهي كالطب والفلاحة» (منطق المشرقيين، ص ٥).

٥ — وقد يطلق الأصل على السبب كما في قولنا: «إن حب الذات أصل الخجل». فالسبب أصل من جهة احتياج المسبب اليه، وابتنائه عليه، والسبب المقصود أصل من جهة كونه بمنزلة العلّة الغائية، كما في قول صاحب الرسالة الجامعة: «وأنا آخذ عليك فيها عهد الله المأخوذ على أول مبدع أبدعه وجعله أصلاً لخلقه بما أفاض عليه من جوده» (الرسالة الجامعة، الجزء الأول ص ١٢ — ١٣).

ولكن الأصل لا يطلق لغة إلا على العلة فتقول أصل هذا السرير خشب ولا تقول أصله الغاية التي صنع من أجلها .

٦ — وقد يطلق الأصل على الدليل بالنسبة الى المدلول عليه كما في قولنا الأصل في هذه المسألة الكتاب والسنة . وقد يطلق على الراجح بالنسبة الى المرجوح ، أو على ما هو الأولى ، كما يقال : الأصل في الإنسان العلم أي العلم أولى به من الجهل . وقد يطلق على المحتاج اليه كما في قولنا الأصل في الحيوان الغذاء . وقد يطلق على حادث كان سبباً في استعمال لفظ أو حدوث خطأ ، أو نشوء عادة ، أو اكتساب نمط من أنماط الفعل . وقد يكون الأصل مرادفاً للتكوين (راجع هذه الكلمة) . وقد يدل على الوالد بالنسبة إلى الولد ، كما في قولهم ليس له أصل ولا فصل ، فالأصل الوالد والفصل الولد ، وقيل الأصل الحسب ، والفصل اللسان ، والأصيل المتمكن في أصله .

٧ — ويستعمل الأصل في منطوق كثير من المسائل الفلسفية . من هذه المسائل :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(آ) مسألة أصل تصوراتنا أو أصل معارفنا ، (Problème de l'origine des idées ou de l'origine de nos comaissances) : يطلق الأصل هنا إما على نشوء التصورات والمعارف بالنسبة الى الفرد ، وإما على نشوئها بالنسبة الى الانسانية عامة ، أو يطلق في نظام أحوال النفس (على الأحكام البديهية ، والمفاهيم التي لا يمكن إرجاعها الى الاحساس) ، أو يطلق في نقد مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها وأصلها المنطقي (على الأسباب الفاعلة أو الظرفية المؤثرة في تكوين معارفنا) ، أو يطلق في نظرية المعرفة (على المبادئ القبلية الموجودة في الادراك الحسي والتفكير) .

(ب) مسألة أصل الأنواع (Problème de l'origine des espèces) : هل الأنواع الحية ثابتة على حالها لا تتغير منذ القدم ، أم هي متبدلة تنتقل من

صورة الى صورة على التعاقب ، واذا صح أنها متبدلة فما هي أسباب تبدلها وما هي مراحله .

(ج) مسألة أصل الحياة (Problème de l'origine de la vie) : هل الحياة مجرد تفاعل فيزيائي ـ كيميائي ، أم هي ظاهرة أصيلة دائمة ، واذا كانت ظاهرة أصيلة فكيف حدثت في الماضي على كوكب كالأرض لم يكن مشتملاً على جميع الشروط اللازمة لحدوثها .

(د) مسألة أصل اللغة (Problème de l'origine du langage) ، وهي مسألة عويصة : هل تولدت اللغة من وحي إلهي ، أم من غريزة أو وحي طبيعي ، أم هي نتيجة تواطؤ واختراع أم نتيجة تطور تاريخي ! (انظر كتاب رينان : Renan, origine du langage) .

(ه) مسألة أصل الشر (Problème de l'origine du mal) ، وهي أعوص من المسألة السابقة : لماذا وجد الشر في عالم خلقه إله خير كامل . أفلا يتعارض وجود الشر ووجود الله ، ألا يبطل أيضاً وجود الخير إذا كان الله غير موجود .

ينتج من هذه المسائل أن لكلمة (أصل) معنيين أساسيين ، فهي تطلق أولاً على الأصل المطلق (Origine absolue) الذي تريد الفلسفة الوضعية أن تجتنب البحث فيه ، وهي تطلق ثانياً على معنى اضافي نسبي ، أي على مجموع العوامل التي توضح نشوء الشيء : كالمواد السابقة ، أو الأسباب والظروف التي أدت الى حدوثه . وهذا المعنى الثاني لا يتعارض وشروط البحث العلمي . على أن في هذا المعنى الأخير التباساً ، لأنك اذا بحثت عن الأصل ولم تعين البدء الزماني انقلب بحثك عن التاريخ الواقعي الى البحث في تاريخ خيالي مجرد ، كبحث فلاسفة القرن الثامن عشر عن « الحالة الطبيعية » التي اعتبروها أصلاً للاجتماع الانساني ، ولأنك اذا بحثت أيضاً عن الأصل تضمن بحثك بالضرورة إشارة الى أصل واحد تفرعت عنه الأشياء ، أو إشارة الى حالة قديمة لم يكن الشيء المبحوث عن أصله

موجوداً فيها ، كبحث (جان جاك روسو) مثلاً عن أصل التفاوت بين الناس . ان العقل العلمي الفلسفي يبحث دائماً عن الوحدة ، ويريد أن يرجع الأشياء الى أصل واحد ، أو الى مبدأ واحد معين . وهذا أمر بعيد المنال ، لأن هناك في الواقع أحوالاً ثابتة دائمة لا يمكن تعيين أصل لها ، كما أن هناك لكل حالة حاضرة أصولاً كثيرة أثرت في تركيبها .

الإضافة

في اللاتينية Relatio

في الفرنسية Relation

في الانكليزية Relation

الإضافة في اللغة نسبة الشيء الى الشيء مطلقاً ، وفي الاصطلاح نسبة اسم الى اسم جر ذلك الثاني بالأول نيابة عن حرف الجر أو مثاله . وقيل الاضافة ضم شيء الى شيء ، ومنه الاضافة في اصطلاح النحاة ، لأن الأول منضم الى الثاني ليكتسب منه التعريف والتخصيص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وللاضافة عند الفلاسفة عدة معان :

١ – الاضافة هي المقولة الرابعة من مقولات آرسطو ، وهي جمع تصورين أو أكثر في فعل ذهني واحد كالمحبة ، والمعية ، والتعاقب ، والمطابقة ، والسببية ، والأبوة والبنوة وغيرها . والإضافة تلحق جميع المقولات ، وذلك انها تعرض للجوهر كالأبوة والبنوة ، أو تعرض للكم كالضعف والنصف والقليل والكثير ، أو تعرض للكيف كالشبيه والعلم والمعلوم ، أو تعرض للأين كالمتمكن والمكان ، أو تعرض لمتى كالمتقدم والمتأخر ، أو تعرض للوضع كاليمين واليسار ، أو توجد في الفعل والانفعال . قال ابن رشد : « والفرق بين هذه الخمس (الكلام على المقولات) التي تتقوم بالنسبة وبين الإضافة التي أيضاً

وجودها في النسبة ان النسبة المأخوذة في الاضافة هي نسبة بين شيئين تقال ماهية كل واحد منهما بالقياس الى الثاني مثل الأبوة والبنوة . وأما النسبة المأخوذة في الأين ومتى وسائر تلك المقولات فانما يقال ماهية أحدهما الى الثاني فقط . ومثال ذلك ان الأين كما قيل هو نسبة الجسم الى المكان ، فالمكان مأخوذ في حده الجسم ضرورة ، وليس من ضرورة حد الجسم أن يوجد في حده المكان ، ولا هو من المضاف ، فان أخذ من حيث هو متمكن لحقته الاضافة ، وصارت هذه المقولة بجهة ما داخلة تحت مقولة الاضافة . وكذلك سائر مقولات النسب ... وقد تلحق الاضافة سائر لواحق المقولات مثل التقابل ، والتضاد ، والعدم ، والملكة . وهي بالجملة قد تكون من المقولات الأول ومن المعقولات الثواني كالإضافة التي بين الجنس والنوع » . (ابن رشد ، كتاب ما بعد الطبيعة ، ص : ٨ — ٩) .

٢ — والإضافة هي إحدى مقولات (كنت) الأربع التي تتضمن نسبة العرض الى الجوهر ، ونسبة العلة الى المعلول ، ونسبة الاشتراك (أي التأثير المتبادل بين الفاعل والمنفعل) . وتنقسم الأحكام عند (كنت) من حيث الإضافة الى ثلاثة أقسام : (١) المطلقة (Catégoriques) وهي التي لا يتقيد الاسناد فيها بشرط أو فرض ، (٢) الشرطية المتصلة (Hypothétiques) كقولك : اذا كان الجو معتدلاً . خرجت من البيت ، (٣) الشرطية المنفصلة (Disjonctifs) كقولك : اما أن يأتي ، واما ان لا يأتي .

٣ — والاضافة هي نسبة بين شيئين تصور احدهما يمنع التصديق بالآخر ، ولكنه لا يمنع التفكير فيه ، وذلك لأنهما يتضمنان تصور شيء ثالث يربط بينهما . قال (هاملن Hamelin) « كل إثبات لشيء يمنع إثبات عكسه ، وكل تصديق برأي يمنع التصديق بضده ، ولا معنى للرأيين المتضادين إلا اذا

حال أحدهما دون الآخر بالآخر . وهذا المبدأ الأول يتمم بآخر ليس أقل ضرورة منه ، وهو أنه لما كان لا معنى لأحد المتضادين إلا بالنسبة الى الآخر وجب أن يكون المتضادان متصورين معاً لأنهما جزآن لكل واحد . ولذلك يجب أن نضيف الى المرحلتين اللتين وجدناهما في التصور الذهني مرحلة ثالثة ، وهي مرحلة التأليف ، فالرأي وضده والتأليف بينهما قانون عام ، وهو في مراحله الثلاث أبسط قانون للأشياء ونحن نطلق عليه اسم الاضافة » . (Hamelin, Essai sur les éléments principaux de la représentation, I, § 1) .

(انظر الفرق بين هذا الرأي ورأي هيجل في كلمة تضاد) .

٤) الإضافة هي علاقة بين شيئين من شأن أحدهما أن يتبدل بتبدل الثاني ، كتبدل التابع بتبدل المتحول ، أو كتبدل كمية محصول الأرض بتبدل كلف الشمس (رأي جيفونس Jevons) . وتسمى الاضافة في هذه الحالة علاقة ، وتطلق على كل قانون يعبر عن رابطة بين شيئين أو عدة أشياء متحولة ، كما في قول كورنو : « يجب معارضة مسائل الملاحظة بالاضافات (أي بالعلاقات) التي عرضتها النظرية » (Cournot, théorie des Chances Ch. XII, p. 261) .

وتقسم الاضافة الى ما يختلف فيه اسم المتضايفين كالأب والابن ، والى ما يتوافق فيها الاسم كالأخ مع الأخ ، والى ما يختلف فيه بناء الاسم مع اتحاد ما منه الاشتقاق كالعالم والمعلوم والحاس والمحسوس . وامارة اللفظ الدالة على الإضافة التكافؤ من الجانبين ، فان الأب أب للابن ، والابن ابن للأب . ومن شرائط هذا التكافؤ أن يراعى فيه اتحاد جهة الاضافة حتى يؤخذ كله بالفعل أو كله بالقوة . ومن خواص الإضافة انه اذا عرف أحد المضافين محصلاً به عرف الآخر أيضاً كذلك ، فيكون وجود أحدهما مع وجود الآخر لا قبله ولا بعده .

(راجع الغزالي ، معيار العلم ، ص ٢٠٥) .

الاعتقاد

في الفرنسية Croyance

في الانكليزية Belief

ولفظ (Croyance) الفرنسي محرف عن (Créance) واصله في اللاتينية (Crédentia وهو مشتق من فعل (Credere) اللاتيني ومعناه (اعتقد) .

* * *

الاعتقاد في المشهور هو الحكم الذهني الجازم القابل للتشكيك بخلاف اليقين . وقيل هو إثبات الشيء بنفسه ، وقيل هو التصور مع الحكم . والفرق بين الاعتقاد والاقتناع واليقين ان الاقتناع حكم ذهني جازم لا يقبل التشكيك ، وان اليقين اقتناع مستند الى أسباب وحجج ثابتة . والفرق بين الاعتقاد والعلم أن العلم حكم جازم لا يقبل التشكيك كالاقتناع واليقين ، في حين ان الاعتقاد يقبله . ولكن بعضهم يطلق الاعتقاد تارة على العلم وتارة على اليقين ، وتارة على التصديق مطلقاً ، ويجعله أعم من أن يكون جازماً أو غير جازم ، مطابقاً أو غير مطابق ، ثابتاً أو غير ثابت . الا ان الاعتقاد بمعنى اليقين غير مشهور وبمعنى التصديق مشهور . واذا كان الاعتقاد مطابقاً للواقع كان صحيحاً ، واذا كان غير مطابق له كان فاسداً .

وللاعتقاد معنيان آخران أحدهما عام والآخر خاص . فالاعتقاد بالمعنى العام يطلق على الرأي والظن ، ويشمل كل الرأي والظن على درجات متفاوتة من الرجحان . والاعتقاد بالمعنى الخاص يطلق على الثقة برأي الشاهد أو على الركون الى قول عالم حصل التصديق بقوله لأسباب خارجية دون أي تفحص مباشر .

ويطلق الاعتقاد كما في اصطلاح (كنت) ومدرسته على كل تصديق تام لا يقبل التشكيك دون أن يكون له بالضرورة صفة عقلية أو منطقية . فاما

ARCHIVE

أن يكون هذا التصديق مستنداً الى عوامل فردية أو عواطف أو مصالح عملية نفعية ، واما أن يكون مستنداً الى مبادئ كلية مشروعة كما في الأخلاق ، وعند ذلك يكون الاعتقاد فعلاً إرادياً مبنياً على عوامل مقبولة تصلح للتفاهم إلا انها مباينة لمفهوم الشيء المصدق به .

وقصارى القول ان الحكم يتضمن الاعتقاد ، وهو تصديق مطلق لا يشترط فيه أن يكون مستنداً أو غير مستند الى حجج منطقية ، فاذا استند الى هذه الحجج أصبح علماً لا اعتقاداً .

واذا قلنا ان الحكم فعل ارادي حر كان الاعتقاد المستقل عن العوامل المرجحة دالاً على حرية الاختيار ، ويسمى الاعتقاد في هذه الحالة ايماناً .

ولقد زعم الفلاسفة الاسكوتلانديون أن مبادئ المعرفة اعتقادات أو تصديقات فرضت بالضرورة على العقل دون أن يستطيع العقل تسويغها وتعليلها . وزعم (مين دوبيران) ان الاعتقاد اقتناع مستقل عن التأمل والانتباه ، وانه مضاد للحكم ، لأنه فعل غريزي ، ولكن الاعتقاد تابع لأسباب حيوية ونفسية واجتماعية ، فاذا نظرت اليه من ناحية المنطق بحثت عن كونه صحيحاً أو فاسداً ، مطابقاً أو غير مطابق ، واذا نظرت اليه من الناحية النفسية بحثت عن الأسباب المؤثرة في تكوينه . وهذه الناحية النفسية أغلب على الاعتقاد من الناحية المنطقية . فاذا قلت ان لبعض هذه الأسباب المؤثرة قيمة كلية أصبح الاعتقاد ذا قيمة أخلاقية عامة ، وان كان ذاتياً شخصياً . واذا كان اليقين كما يقول (هاميلتون) مستنداً الى تصديقات لا يمكن البرهان عليها كان الاعتقاد أساساً لكل يقين ، واذا صح ان التصديق كما يقول (رينوفيه) لا يحدث بدون عوامل انفعالية وإرادية كان الاعتقاد ممازجا لليقين دائماً ، وكان اليقين المحض غاية مثالية أو حداً نهائياً ، لا حالة واقعية .

الاقتصاد

في الفرنسية Economie

في الانكليزية Economy

في اليونانية Oikonomia

الاقتصاد مأخوذ من القصد ، والقصد استقامة الطريق . والاقتصاد، فيما له طرفان افراط وتفريط ، محمود على الاطلاق ، وقد يكنى به عما تردد بين المحمود والمذموم كالواقع بين الجور والعدل .

ومبدأ الاقتصاد (Principe d'économie) هو المبدأ القائل ان الطبيعة لا تسلك لبلوغ غاياتها أعوص الطرق بل تسلك أبسطها . والمقصود من أبسط الطرق ، الطرق التي تستلزم الأقل من المواد والجهد والاختراع والمبادهة وهو مبدأ مختلف فيه لأنه خال من الضبط . (راجع مبدأ الفعل الأقل في كلمة فعل) .

وطريقة الاقتصاد (Méthode d'économie) في الاستظهار هي الطريقة التي اخترعها (ابينغوس) لحساب مدة بقاء الأثر في النفس بعد التعلم (راجع لفظ استظهار) .

وعلم الاقتصاد السياسي (Economie politique) علم يبحث في ظواهر توزيع الثروة وانتاجها واستهلاكها ، ويحاول الكشف عن قوانين هذه الظواهر . والثروة في الاصطلاح تطلق على كل ما ينتفع به ، أو تطلق على كل ماله قيمة تبادل . فالعمل بهذا المعنى ثروة ، وعامل من عوامل الثروة معاً . لذلك صحح بعضهم حدّ هذا العلم بقوله انه النظر في قوانين التبادل . قال (ج . ب . سي - J. B. Say) : ان علم الاقتصاد السياسي هو علم قوانين انتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها . وتصحح كتب علم الاقتصاد هذا التعريف باضافة بحث رابع الى موضوع هذا العلم ، وهو تداول الثروة . ولكن بعض العلماء يعتقد ان هذه

الاضافة زائدة ، لأن التداول حالة من حالات التوزيع . نعم ان فكرة التبادل لعبت دوراً هاماً في تطور هذا العلم ، ولكن قيمتها عند المعاصرين أقل مما هي عليه عند المتقدمين . ثم ان مفهومي الانتاج والاستهلاك يتضمنان معاني كثيرة لا علاقة لها بالاقتصاد ، كبعض المعاني الصناعية الداخلة في مفهوم الانتاج أو كبعض المعاني الفيزيولوجية أو الاتنوغرافية والاخلاقية الداخلة في مفهوم الاستهلاك . فالانتاج والاستهلاك متصلان بمفهوم التوزيع وعلاقتهما به كعلاقة المعلول بالعلة .

ومها يكن من أمر فان لعلم الاقتصاد السياسي تعريفات كثيرة تختلف باختلاف المذاهب الاقتصادية . فهناك مدرسة تعتقد ان هذا العلم استنتاجي ، لأنه يمكن تأليف الظواهر الاقتصادية من عدد محدود من المعاني البسيطة (من هذه المدرسة الاستنتاجية الفيزيوقراطيون الفرنسيون في القرن الثامن عشر ، وريكاردو ، والمدرسة النمسوية : ك منجر - K. Menger ، وبوم بافرك - Böhm-Bawerk ، ومن هذه المدرسة أيضاً علماء أخذوا بالطريقة الرياضية في دراسة الظواهر الاقتصادية ، ككورنو - Cournot ، وستانلي جيفونس Stanley Jevons ، وفالراس - Walras ، وباريتو - Pareto ، وبانتاليوني - Pantaleoni) . وهناك مدرسة تاريخية تعتقد ان هذا العلم لا يوصل فيه الى علاقات ضرورية كلية ، وانه من الخير له أن يكتفي بوصف العلاقات الاقتصادية وبيان اختلافها باختلاف الزمان والمكان (روشر - Roscher ، وشمولر - Schmoller) .

وأخيراً ، ان اصطلاح (علم الاقتصاد السياسي) اصطلاح غامض ، فقد استعمله (انطوان دو مونكرتيان - Antoine de Mont - chrétien) لأول مرة في كتابه : (Traité de l'œconomie politique) سنة ١٦١٥ للدلالة على فن ادارة أموال الدولة ، واستعمله كذلك (آدم سميث) بمعنى قريب من هذا في كتابه (Richesse des Nations) ، وهو من حيث الاشتقاق يدل على فن تدبير الدولة ، لأن معنى السياسي الاداري ، ومعنى الاقتصاد تدبير المنزل أو ترتيب أجزاء الكل

ترتيباً يحقق غاية مقصودة . وأول من استعمل هذا الاصطلاح للدلالة على علم نظري الفيزيوقراطيون ، ساقهم الى ذلك مذهبهم الغائي ، فقالوا ان العناية أو الطبيعة ترتب ظواهر العالم الاقتصادي ترتيباً يحقق انسجام المصالح والمنافع ، وان علم الاقتصاد السياسي يدرس العلاقات السببية والضرورية التي هي في الوقت نفسه علاقات غائية . ولا يكفي لتصحيح هذا الاصطلاح أن نستبدل به اصطلاحاً آخر كعلم الاقتصاد الاجتماعي (Economie Sociale) لأن هذا الاصطلاح يدل عند بعض الكتاب الفرنسيين على البحث في حياة العمال المادية والخلقية ، وعلى الوسائل اللازمة لتحسين شروط حياتهم . وهذا الموضوع يختلف عن موضوع علم الاقتصاد السياسي . وقد فرق (فالراس) بين موضوع علم الاقتصاد السياسي وموضوع علم الاقتصاد الاجتماعي فقال : ان علم الاقتصاد السياسي يبحث في قوانين الحياة الاقتصادية كما هي ، أما علم الاقتصاد الاجتماعي فيعين للنظام الاقتصادي مثلاً أعلى ويبين ما هي الوسائل المؤدية الى تحقيقه .

ومن الأصلح لنا في اللغة العربية أن نحذف كلمة (سياسي) من اسم هذا العلم ، وأن نسميه بعلم الاقتصاد أو العلم الاقتصادي . وليس هذا العلم في نظرنا سوى قسم من علم أعم منه ، وهو علم العلاقات الاجتماعية .

الاكتساب

في اللاتينية	Acquisitio
في الفرنسية	Acquisition
في الانكليزية	Acquisition

الاكتساب في اللغة العربية مرادف للكسب ، تقول اكتسب مالاً أو علماً طلبه وربحه ، وكسب الشيء جمعه وكسب الاثم تحمله . ومن فرق بين الاكتساب والكسب قال الكسب ينقسم الى كسب الانسان لنفسه ، والى كسبه لغيره ، ولهذا قد يتعدى الى مفعولين فيقال : كسب فلاناً

علماً أي أناله اياه . أما اكتساب الانسان فلا يكون إلا لنفسه ، فكل اكتساب كسب ولا عكس . وفرقوا أيضاً بين الاكتساب والكسب من ناحية أخرى فقالوا : ان الاكتساب يستدعي التعمل والمحاولة والمعاناة ، أما الكسب فيحصل بأدنى ملابسة ولذلك خص الشر بالاكتساب ، والخير بالكسب .

ويطلق الكسب أيضاً على طريقة تحصيل المجهول من المعلوم كما في قول ابن سينا «ان من شأن النفس ادراك ماهية الكمال بكسب المجهول من المعلوم والاستكمال بالفعل» (النجاة ، ص : ٤٨٢) .

واختلفوا في جواز الكسب بغير النظر ، فمن جوزه جعل الكسبي أعم من النظري ، ومن لم يجوزه قال النظري والكسبي متلازمان .

والاكتساب علم يحصل بالكسب . وهو مباشرة الأسباب بالاختيار ، كصرف العقل والنظر في الاستدلاليات ، والاصغاء ونحو ذلك في الحسيات . فالاكتسابي أعم من الاستدلالي ، لأن الاستدلالي هو الذي يحصل بالنظر في الدليل ، فكل استدلالي كسبي ولا عكس .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأما الضروري فانه اذا دلّ على ما ليس تحصيله مقدوراً لمخلوق كان مقابلاً للاكتسابي ، واذا دلّ على ما يحصل بدون نظر وفكر في دليل كان مقابلاً للاستدلالي . ولذلك جعل بعضهم العلم الحاصل بالحواس اكتسابياً أي حاصلاً بمباشرة الأسباب بالاختيار ، وبعضهم جعله ضرورياً أي حاصلاً بدون الاستدلال .

وفرقوا بين الكسب والخلق فقالوا ان الكسب مختص بالانسان ، والخلق مختص بالله ، هذا اذا كان الخلق بمعنى الايجاد . فالأفعال منسوبة الى الله تعالى خلقاً ، والى الانسان كسباً . لذلك قال الأشاعرة ان الكسب عبارة عن تعلق قدرة الانسان وإرادته بالفعل المقدور . قالوا ان أفعال الانسان واقعة بقدرة الله وحدها ، وليس للانسان تأثير في خلقها ، بل الله أوجد في الانسان قدرة واختياراً ، فاذا لم يكن هناك مانع أوجد الفعل المقدور للانسان مقارناً

لقدرته واختياره ، فيكون الفعل مخلوقاً لله احداثاً وابداعاً ، ومكسوباً للانسان .

أما الجبرية فقد زعموا أن المؤثر في فعل الانسان قدرة الله ، ولا قدرة للانسان أصلاً ، لا مؤثرة ولا كاسبة .

وأما الماتريدية فقد أسندوا الى الانسان كسباً باثبات قدرة مرجحة ، وكذلك الصوفية . لكن قدرة الانسان عند الصوفية مستعارة ، وعند الماتريدية مستفادة .

وذهب امام الحرمين الى أن القدرة الحادثة مع الدواعي توجب الفعل ، فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه هو الذي وضع الأسباب المؤدية الى دخول هذه الأفعال في الوجود ، والانسان هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله القدرة والداعية القائمتان به . ان نسبة الأثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك الأثر منسوباً الى مؤثر آخر بعيد ثم الى أبعد الى أن ينتهي الى مسبب الأسباب وفاعل الكل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن جمهور المعتزلة يقولون ان أفعال الانسان واقعة بقدرته وحدها بالاستقلال والاختيار . وان القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل القدرة على الفعل والترك الناشئة عن الاختيار هي التي توجبه .

ويطلق الاكتساب عند بعض الفلاسفة المحدثين على طريقة تحصيل المعرفة وعلى طريقة تثبيت العادات . فالمعرفة عندهم تكتسب بالحواس ، والعادة تثبت بتصحيح الأخطاء ، وبتكرار التمارين وتفريقها . ويسمى قانون تكون العادات بقانون الاكتساب ، وهو مطابق لقانون الفعل الذي يمثل بمنحنٍ على شكل S

(راجع الألفاظ الآتية : العادة ، الكسب ، التعلم ، المعرفة ، الكسبي ، والمكتسب) .

جميل صليبا

الدراسات العربية
في الاتحـاد السوفياتي

سيدي معالي الرئيس ، سادتي حضرات أعضاء المجمع !

يسعدني جداً أن أحرز الشرف الرفيع بأن أحيي هذا المجمع الجليل أجل تحية . نحن مسرورون جداً إذ أتيحت لنا فرصة الاتصال بهذه المؤسسة العلمية التي لها أثر ظاهر في الشعب العربي وثقافته الجليلة ، ونحن نعرف أنها قد لعبت دوراً هاماً في انبعاث حيويتكم الروحية والعقلية التي صنعت أمجادكم الأدبيـة وعبقريتكم الثقافية .

وقد أسدى هذا المجمع الكريم خدمة هامة في دراسة تاريخ لغتكم وآدابكم وماضيكم المجيد . وقد صدق حضرة الأمير جعفر الحسني ، الذي كان في السنة الماضية ضيفاً في بلادنا مع وفد المجمع العلمي العربي ، لما قال في إحدى مقالاته الرقيقة : إنه لا يمكن عزل المستقبل عن الماضي . « فالحاضر هو امتداد الماضي ، كما أن المستقبل هو وليد الحاضر . وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر . »

نحن نرى أيضاً أنه صعب علينا أن نفهم الحاضر بلا معرفة الماضي ، ولذلك ندأب على دراسة تاريخ بلادنا ولغاتنا وآدابنا . وقد اتضح لنا في مجرى هذه الدراسات أن معرفتنا للماضي لن تتم وتكتمل إنْ لم نطلع على ما انطوت عليه من أخبار بلادنا خزائنُ الكتب بلغات مختلفة وخصوصاً باللغة العربية .

ونظراً لذلك نحن ندرس تاريخ العرب وآدابهم ولا سيما اللغة العربية ، هذه اللغة الواسعة القوية التي كانت يوماً تعلّم أوربا ، والتي هي جديرة بأن تكون في الوقت الحاضر احدى اللغات العالمية الكبرى في الحضارة الراهنة .

إن لدراسة اللغة العربية والحضارة العربية تقاليد قديمة في بلادنا . فثمة عدد كبير من شعوب بلادنا مثل شعوب آسيا الوسطى والقفقاس قد ربطتها بالشعوب العربية منذ العصور القديمة روابط ثقافية وتاريخية وثيقة . وقد بقي من هذه الروابط كثير من الكتابات والمخطوطات وغير ذلك من الآثار الثقافية ، لا بلغات بلادنا فحسب ، بل كذلك باللغة العربية .

وأقدم هذه الآثار يعود إلى القرن الأول الهجري ، فمنها مثلاً رسالة على الرق أرسلها صاحب صغد في طاجيكستان ديواشتي الى القائد العربي الكبير الأمير الجراح بن عبد الله سنة ٩٩ — ١٠٠ للهجرة ، أو مثلاً نقش عربي عثر عليه منذ أمد قريب على مقربة من تبليسي على حجر من أحجار الأميال يعود الى القرن الأول الهجري ، وقد كتب على الحجر (بسم الله الرحمن الرحيم ، ثلاثة أميال من تفليس) . هذا فضلاً عن الآثار الكثيرة العائدة الى مرحلة زمنية أقرب الينا .

إن كثيرين من ممثلي شعوب آسيا الوسطى والقفقاس قد ساهموا في القرون الوسطى مساهمة كبيرة في إنشاء الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، القائمة على اللغة العربية . ومن هؤلاء مفكرون كبار كالخوارزمي والبيروني وابن سينا لا تفخر بهم الشعوب التي أنجبتهم وحسب ، بل تفخر بهم البشرية التقدمية كلها .

وقد بقيت التقاليد العربية في بلادنا حتى الآونة الأخيرة ، فقد كانت العربية اللغة الأدبية الوحيدة في شمال القفقاس طيلة فترة طويلة . لقد نشأت في شمال القفقاس تقاليد أدبية وآثار أدبية خاصة هي فرع من الآداب العربية فريدة في بابها .

ولا غرو أن يظهر العلماء في بلادنا منذ الزمن القديم اهتماماً خاصاً بدراسة هذه الآثار .

ففي أول القرن الثامن عشر (إذا ضربنا صفحاً عن المحاولات التي جرت قبل

هذا التاريخ في هذا الاتجاه) ابتدأ تدريس اللغة العربية في موسكو من قبل المستشرق ع · يا · كيهر المعروف في زمنه · وفي أواسط القرن الثامن عشر طبع القرآن في بطرسبرغ بحروف جرى صبها على أساس كتابة خطاط من كبار الخطاطين المسلمين في ذلك العهد ، وغدت فيما بعد أساساً لنماذج طبعات القرآن في قازان ، النماذج التي انتشرت سواء في روسيا أو في الغرب ، والتي شرع المسلمون في البلدان الأخرى يقلدونها في البدء في القرم وتركية ، ومن ثم في مصر والهند · وبعد هنيهة من الزمن شغلت اللغة العربية المكان اللائق بها في برامج الدراسات الشرقية في مختلف معاهد روسية ومدارسها ·

وبعد صدور « النظام الجامعي » سنة ١٨٠٤ نشأت في خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبرغ وغيرها من المدن مراكز للدراسات الشرقية ، وجهت للغة العربية انتباهاً كبيراً · ونشأ بعد ذلك القسم الشرقي في جامعة بطرسبرغ ومعهد لازاريف للغات الشرقية بموسكو وغيرهما من المدارس ، التي لعبت دوراً كبيراً في تطور الدراسات العربية الروسية والعالمية ·

ويعرف عالم العلم أسماء العلماء الكبار : دورن وبولديريف وفريهن وغيرغاس وروزين وفوتوفنسوف وميدنيكوف وكريمسكي وكراتشكوفسكي وغيرهم ·

وبعد ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى استمر العمل بدأب في المركزين القديمين : لينغراد وموسكو ، ونشأت عدا ذلك مراكز جديدة · لقد نشأت في لينغراد مدرسة جديدة للمستعربين ، على رأسها علامة بلادنا الكبير ، وأحد كبار المستعربين في العصر الراهن ، عضو المجمع العلمي العربي ، الأكاديمي إغناطيوس كراتشكوفسكي ، الذي كان ، يوماً ، مشهوراً في الشرق العربي باسم غنطوس الرومي ·

وواصل العمل النشيط في موسكو العضو المراسل في المجمع العلمي العربي البروفيسور بايرتلس والبروفيسور خ · ق · بارانف والبروفيسور اي · ١٠ · بيلايف والبروفيسور ب · م · غرانده والمدرسة المساعدة كلثوم نصر عوده واسيليفا (وهي عربية من الناصرة) وغيرهم ·

وقد ترأس الدراسات العربية في كييف الاكاديمي اغافانغيل كريمسكي الذى اشتهر بمعرفة الشرق والأدب العربي ، ومعاونه توفيق بن جبرائيل كزما (وهو عربي أيضاً من دمشق) ٠

ويعمل في خاركوف تلميذ البروفيسور كريمسكي آ ٠ ب كوفاليفسكي ٠ وفي طشكند البروفيسور ا ٠ اي شميدت الذي اشتهر بمؤلفاته في ميدان تاريخ الاسلام والفقه ، و ا ٠ ا ٠ سيميونوف مشهور بعميق معرفته لآسيا الوسطى و م ٠ ا ٠ ساليه مترجم « الف ليلة وليلة » الى اللغة الروسية وغيرهم ٠

وأسس تلاميذ الاكاديمي كراتشكوفسكي مدرستهم للدراسات العربية في تبليسي (في جورجيا) ٠

وقد قام المستعربون السوفياتيون بعمل كبير في دراسة اللغة العربية ٠ يدل على ذلك العدد الكبير من الكتب المدرسية التي أصدروها في الآونة الأخيرة ٠ ومن أروع ما وضع في هذا الحقل كتاب قواعد اللغة العربية الفصحى للبروفيسور ن ٠ ف ٠ يوشمانوف ٠ ويشغل هذا الكتاب من حيث تفرده ودقته مكاناً مرموقاً بين الكتب المدرسية العربية ، وكتاب في نحو اللغة العربية الأدبية الحديثة للبروفيسور ن ٠ ف ٠ سيميونوف ، ومختارات في اللغة العامية السورية للبروفسور سيميونوف أيضاً ٠

وخليق بنا أن نَوّهَ بأول مختارات الادب العربي الحديث التي أصدرتها ك ٠ ف ٠ عوده فاسيليفا بمقدمة الاكاديمي كراتشكوفسكي ، والتي ترجمت إلى عدد من لغات الغرب ٠ واستخدمت المختارات نفسها بصفة كتاب مدرسي في المراكز العلمية كلندن ونيويورك وبرلين وأوبسالا وهامبورغ والجزائر ٠

ووضع البروفيسور خ ٠ ق ٠ بارانوف قاموساً عربياً روسياً جمع لأول مرة مفردات اللغة العربية الأدبية الحديثة بصورة وافية ٠ ولم يصدر في الغرب قاموس من هذا النوع إلا منذ أمد قريب جداً وهو قاموس لهانس فيهر العربي الألماني ٠

أما البروفيسور و · م · غرانده في موسكو فقد أصدر كتاباً عرض فيه مجموعة نماذج لصيغ الأفعال ·

وفي المختارات العربية لليف ز · بيساريفسكي (لننغراد) عرضت نصوص من « ألف ليلة وليلة » ، وكذلك من الكتب التاريخية ·

وقد أصدر توفيق جبرائيل كزما في كيف قواعد اللغة العربية الفصحى بصورة بسيطة ·

وقد صدرت في تبليسي مجموعة منتخبات أدبية عربية ، تتضمن جزئياً بعض نصوص عربية لم تكن قد نشرت قبل ذلك ، أو نصوصاً مستقاة من المخطوطات العربية مثل « أخبار بلاد الكرج » لمكاريوس البطريرك الانطاكي والمؤرخ مدينة ميافارقين ابن الأزرق الفارقي وغيرهما من الكتاب ·

وصدر عدا ذلك أول قاموس عربي ـ جورجي ، يتضمن فيما يتضمن بعض مفردات نادرة وغير واردة في قواميس عربية أخرى ·

وقد نشر مدرس اللغة العربية في الجامعة التبليسية ٠ س · ليقياشوبلي كتاب نماذج لأشكال صيغ الأفعال في اللغة الأدبية العربية ، عرض فيها جميع صيغ تصريف الأفعال على اختلافها في اللغة العربية الفصحى · وهذه المجموعة تفوق من حيث الحجم جميع ما سبق أن نشر في هذا الموضوع من قبل ·

وقد وضع المستعربون السوفياتيون في باكو وتشكند وقازان وغيرها من المدن كتباً مدرسية وأدوات تعليمية كي يوفروا للطلاب المستشرقين المواد اللازمة ·

ولكن المستعربين السوفياتيين لم يقتصروا على إعداد الكتب التعليمية ، بل وجهوا الانتباه اللازم لدراسة المسائل الهامة في تاريخ بلاد العرب واللغة العربية وآثار الحضارة المادية ، وقد ترأس الأكاديمي كراتشكوفسكي في الاتحاد السوفياتي المباحث العلمية في ميدان الدراسة العربية · وخلف نحو خمسمائة من المباحث الكبيرة والصغيرة تتناول في معظمها دراسة اللغة العربية والحضارة العربية ·

ومن هذه المباحث عدد من الدراسات ذات الأهمية اشتهرت في العالم ، منها مثلاً دراسة ديوان شعر أبي الفرج محمد بن احمد الغساني الملقب بالوأواء الدمشقي الذي حققه وأعاد طبعه عضو المجمع العلمي العربي الدكتور سامي الدهان ، ويعرف الجميع دراسات الأستاذ كراتشكوفسكي للشاعرين العربيين النابغين : أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري . ولا بد لنا من أن نَوّهَ بنشره مقدمة رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري وترجمتها وبحثها ، وبإصدار نص كتاب « البديع » لعبد الله بن المعتز ، وببحثه عن العالم المصري الذي كان يدرس اللغة العربية في جامعة بطرسبرغ الشيخ محمد عياد الطنطاوي وغيرهم .

ويعرف الحضور مباحث كراتشكوفسكي هذه ، كمباحثه الكثيرة الأخرى . ولكن ترك كراتشكوفسكي بعد موته عدداً من المباحث الهامة لم تُطبَع بعد ، وما تزال محفوظة بين مخطوطاته . ويشغل بينها مكاناً مرموقاً مبحث هام يتناول المؤلفات الجغرافية العربية .

وقد أبدى الأستاذ كراتشكوفسكي الاهتمام الكبير بمؤلفات العرب الجغرافية منذ بدأ نشاطه العلمي ، ففي سنة ١٩٠٩ أثناء جولته العلمية في الشرق العربي سمع في جامعة القاهرة محاضرات ألقاها ، باللغة العربية ، في تاريخ علم الفلك العربي ، الاختصاصي الكبير في حقل علم الفلك وجغرافية العرب الرياضية ، العالم الايطالي المشهور ك . نللينو (C. Nallino) الذي استفاد المؤلف ، على نطاق واسع ، من دراسته في مبحثه هذا .

وبعد ذلك شرع كراتشكوفسكي إثر عودته إلى بطرسبرغ يلقي المحاضرات في القسم الشرقي في جامعة بطرسبرغ في مختلف مسائل اللغة العربية والحضارة العربية .

وقد قرأ كراتشكوفسكي خلال سنوات ١٩١٠ — ١٩١٧ في جامعة بطرسبرغ محاضرات ، شغل بينها مكاناً مرموقاً « استعراضُ المؤلفات الجغرافية مع قراءة

مختارات» . وقد جدد فيما بعد في سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٦ الأكاديمية تحت اسم «المؤلفات التاريخية الجغرافية العربية»

وعند قراءة هذه المحاضرات استُخدمت للمطالعة أشهر المؤلفات العربية الجغرافية التي كانت معروفة في ذلك الحين ، وكان المؤلف يقوم مع الطلاب بترجمة مختارات من النصوص العربية الى اللغة الروسية بقصد دراستها . وقد ضم العالم هذه النماذج من المؤلفات الجغرافية العربية إلى مبحثه لوصف أسلوب وطريقة عرض هذا المؤلف أو ذاك .

وقد نما هذا المبحث من المحاضرات التي ألقاها الأكاديمي كراتشكوفسكي عن مؤلفات العرب الجغرافية . وفي غضون أربعين سنة ونيف كان هذا المبحث يكتمل ويتم تبعاً لظهور معلومات ومكتشفات جديدة ، للمؤلف نفسه في ظهورها أياد بيضاء .

وكان كراتشكوفسكي ينوي أن يتم استعراض المؤلفات الجغرافية حتى أيامنا ، ولكن الموت لم يتح له تحقيق نيته ، وقد وفق الى عرض المؤلفات الجغرافية العربية حتى القرن التاسع عشر فقط .

ومن المعروف أنه قد كرس لمؤلفات العرب الجغرافية عدد كبير من الاستعراضات العامة والدراسات الخاصة ، ابتداءً من مبحث رينو (Renaud) الكلاسيكي . وخلال عقود السنين الأخيرة اكتسب هذا العمل نطاقاً واسعاً ، واغتنى جداً بفضل المباحث الرائعة التي وضعها بارتولد (Barthold) ومينورسكي (Minorsky) وكرامبرس (Kramers) وروسكا (Ruska) وفيران (Ferrand) وغيرهم من كبار الاختصاصيين في جغرافية العرب التاريخية .

ولكن مبحث الأستاذ كراتشكوفسكي الذي بعد للطبع يشغل مكاناً خاصاً بين جميع هذه المباحث .

عُرف كراتشكوفسكي في عالم العلم بوصفه عالماً من المستعربين واسع الأفق

جداً . كان يهتم كلّ الاهتمام بوقائع إبداع العرب الثقافي ، الكبيرة منها والصغيرة ، ابتداء من روائع المتنبي وأبي العلاء المعري ، وانتهاء بالحكايات البسيطة من الناصرة ، وكان يعتقد أن ثقافة الشعب تتألف من جميع هذه العناصر ، وأن دراسة هذه الثقافة كما ينبغي ، تقتضي تحديد مكان كل ظاهرة في التطور العام وإقامة التسلسل بينها .

وكان كراتشكوفسكي يعتبر المؤلفات الجغرافية جزءاً لا يتجزأ من الآداب العربية بوجه عام ، كما كان يعتقد أن فهمها على الوجه اللازم يتطلب النظر إليها من وجهة نظر تاريخ الآداب ، والحضارة العربية بمجموعها . وقد أشار في مبحثه الى أن طريقته الأساسية هي طريقة دراسة الأدب ، وأنه لا يضع نصب عينيه مهمة إعطاء تاريخ علم الجغرافيا عند العرب أو المكتشفات الجغرافية ، وهو يوجه ذات الاهتمام للمؤلفات العلمية والشعبية التي تمت للجغرافيا بأية صلة بما في ذلك الأقاصيص والرحلات التي تحمل الطابع الأدبي أو الأسطوري الصرف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبالرغم من ذلك يتفق له طبعاً أن يتناول تاريخ علم الجغرافيا ومكتشفات العرب الجغرافية ، وقد أعطى في مبحثه صورة واضحة عن هذا النوع من فروع العلم عند العرب وعن دورهم البارز في تطور علم الجغرافيا .

وقد بيّن المؤلف ذلك بجلاء مستشهداً بالخوارزمي وأُلُغ بك والبيروني وربان فاسكو داجاما احمد بن الماجد ، الذي اكتشف كراتشكوفسكي نفسه نسخ مؤلفاته الثلاثة في معهد الاستشراق ، وبكثيرين غيرهم من ممثلي علم الجغرافيا .

لقد عرض كراتشكوفسكي المؤلفات الجغرافية العربية عرضاً منتظماً ، ابتداء من ظهور التطورات الجغرافية الأُولى عند العرب ، هذه التطورات التي نجد ما يشير اليها في الآثار القديمة وفي القرآن . واستناداً على المصادر الأُولى ، وعلى كل ما توصل اليه العلم الحديث ، يتتبع المؤلف ظهور الجغرافية عند العرب ، ويتتبع صلاتها بالعلم اليوناني والهندي ، ومجرى نشوء مختلف فروع العلم الجغرافي ،

(الجغرافيا الوصفية والرحلات والخطط والجغرافية البحرية والجغرافية العامة والجغرافية الاقليمية الخ) ومراكزها ومدارسها العلمية واتجاهاتها ومختلف ألوانها .

هذا ويعطي المؤلف وصفاً لمعظم المؤلفين الأساسيين والنموذجيين من ممثلي جميع ألوان التآليف الجغرافية العربية واتجاهاتها ، مع تبيان صلاتهم بعضهم ببعض وتأثيرهم بعضهم على بعض . وبنتيجة التحليل المفصّل لعدد كبير من المؤلفين يزيد على مائتين وستين يقرر كراتشكوفسكي مبلغ صحة المعلومات التي يذكرها المؤلفون وأهميتها باعتبارها مصادر لدراسة الجغرافية التاريخية للبلدان التي تحدثوا عنها .

ويتضمن البحث إلى جانب ذلك قائمة وافية تقريباً بالكتب المتعلقة بالموضوع ، ابتداءً من القرون الوسطى حتى أيامنا ، مع انتقاد النصوص المنشورة والدراسات الخاصة المكرسة لهذا الأمر . ويحمل هذا الطابع الفصلان (١٦ و ٣١) المكرسان للمؤلفات الجغرافية الفارسية والتركية التي جرى عرضها بمقدار صلاتها بالتقاليد العربية .

إن هذا البحث الذي أتمه كراتشكوفسكي قبيل انتهاء نشاطه العلمي ، والذي يضم هذه الوفرة من المواد ، سواء فيما يتعلق بالمصادر الأولى أو الدراسات العلمية الموضوعة عنها ، لا يوجد في جميع الدراسات العربية نظير له ، ونحن نأمل أن يصبح نموذجاً لمباحث كثيرة في نواحي تاريخ الأدب العربي الأخرى .

إن الاستنتاجات الأساسية التي تستخلص من دراسة المبحث بانتباه هي التالية :
الأول : لقد دقق المؤلف كما لم يوفق أحد من قبل وأثبت بوضوح استناداً إلى كمية كبيرة من المستندات ، الأمر الذي هو معروف للجميع ، مبلغ أهمية الحضارة العربية في التاريخ العالمي وبرهن أن العلم الجغرافي العربي يشغل في هذا الميدان مكاناً من أمكنة الصدارة .

الثاني — لقد دقق وبرهن المؤلف بوضوح أنه قد ساهم مساهمة نشيطة في إنشاء هذه الحضارة ، عدا العرب ، ممثلو العالم الثقافي في آسيا الوسطى والقفقاس وايران

وتركية وعدد من البلدان الأخرى التي أنجبت عدداً من موصلي تقاليد العلم الجغرافي العربي الجيدة .

والاستنتاج الثالث — هو استنتاج منهاجي ، فدراسة جميع آثار التآليف الجغرافية العربية الأساسية دراسة مفصلة تظهر أن الباحث المدقق يستطيع أن يجد حتى في الوصف الخيالي لمختلف البلدان والمدن وحتى فيما يسمى بالعجائب ، ما قد يطابق الحقيقة لهذا الحد أو ذاك ويمكن أن يكون ذا نفع في دراسة مسائل الجغرافية التاريخية ومسائل علم الآثار وعلم عادات الشعوب وغيرها من العلوم .

ولكن أهمية مبحث كراتشكوفسكي تتعدى ذلك ، فقد طُرقت فيه قضايا كثيرة تتطلب من علمنا الحل العاجل ، وأعتقد أن صدوره سيكون حافزاً لظهور مباحث عديدة تجعل من مبحث كراتشكوفسكي نقطة الانطلاق . وعما قريب ستصدر أكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي مبحث كراتشكوفسكي هذا ، فيجد الباحثون الامكانية التامة لتقويم أهميته للعلم .

ومن الآثار الأخرى التي تركها الأكاديمي كراتشكوفسكي والتي تجذب الاهتمام الكبير ترجمة روسية موجودة بين مخطوطاته لمؤلف عبد الله بن المعتز : «كتاب البديع» أحد أكابر المصادر لدراسة تاريخ علم البلاغة العربي .

وحري بنا أن نذكر أيضاً ترجمة كراتشكوفسكي للقرآن وأهميتها من وجهة نظر العلم لفهم كتاب المسلمين المقدس .

لقد وضع معاونو كراتشكوفسكي وتلاميذه وكذلك المستعربون السوفياتيون الآخرون ، عدداً كبيراً من المباحث والمقالات في دراسة تاريخ العرب وآدابهم ولغتهم وتاريخ اللهجات الدارجة ومختلف الألفاظ العربية .

ولقد وجد تاريخ الاسلام والخلافة في بلادنا باحثين جدداً تابعوا ذلك العمل الذي قام به بنجاح كبير في حينه مؤرخ الشرق الكبير الأستاذ ف . ف . بارتولد . إنّ مؤرخنا م . ن . تيخوميروف قد أعار انتباهاً كبيراً الى المصادر

الشرقية ، ومنها العربية ، في مؤلفه « مصادر تاريخ الاتحاد السوفياتي » ، وقد صدر منذ أمد قريب مبحث للبروفيسور ن ٠ ا ٠ سميرنوف عنوانه : « حول الأبحاث المتعلقة بالإسلام في الاتحاد السوفياتي » ، ويعطينا هذا المبحث صورة واضحة عن العمل الذي تم عندنا في هذا الحقل ، من العصور السالفة إلى أيامنا ٠

وقد كرّست البروفيسور ن ٠ ف ٠ بيغوليفاسكايا جملة من المباحث الهامة لتاريخ العرب مباشرة قبل ظهور الاسلام، مستندة على المصادر السريانية ٠ وتتناول مباحث البروفيسور ي ٠ ا ٠ بيليايف تاريخ صدر الاسلام ومسائل علاقات الحنيفية ومسيلمة من اليمامة بالاسلام ٠

وقد تناول البروفيسور ياكوبوفسكي والبروفيسور شميدت وعدد آخر من العلماء العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في عهد الخلافة ، وأعاروا انتباهاً خاصاً لكتاب « الخراج » لأبي يوسف يعقوب ، وهو أحد المصادر الكبرى لدراسة التاريخ الاجتماعي للبلاد العربية في القرون الوسطى ٠

ويجدر بنا أن نشير إلى مباحث علمائنا المتعلقة بالمصادر العربية المتصلة بتاريخ أوربا الشرقية وجنوب روسيا والقفقاس وآسيا الوسطى ٠

وقد تناول الاكاديمي آ ٠ غوردليفسكي في مؤلفه الكبير « تاريخ الدولة السلجوقية في آسيا الصغرى » (موسكو ١٩٤١) المصادر العربية بالتفصيل ، ولا سيما معلومات السائح العربي المشهور ابن بطوطة ٠

إنّ لنشر المواد المتعلقة بتاريخ التركمانيين وتركمانستان بما فيها المواد العربية ، مرفقة بمقالة ف ٠ اي ٠ بيليايف عن تطور تاريخ علم الجغرافية العربية ، أهمية كبرى ، لا من وجهة نظر دراسة تاريخ تركمانستان وحسب ، بل كذلك من وجهة النظر المنهاجية ٠

وقد أصدر كوفاليفسكي ترجمة جديدة لرسالة أحمد بن فضلان عن سياحته إلى بلغار الفولغا ٠ وقد وضع الترجمة على أساس مخطوطة مشهد المشهورة ٠

ويجري الآن إعداد طبعة جديدة تضاف اليها الشروح المطولة والدراسة العامقة ، وسيكون صدورها مفيداً جداً لبحث هذا الأثر النفيس من التأليفات الجغرافية العربية ·

لقد نشر تلميذ ف · ف · بارتولد اي · اي · اوميا كوف جملة من المقالات القيمة عن خارطة العالم لمحمود الكاشغاري وعن الخزر والأتراك ، على أساس معلومات الجغرافي إسحاق بن الحسين وغيره من المؤلفين ·

وتمباحث التي وضعها البروفيسور آ · يو · ياكوبوفسكي و ب · ن · زاخودير عن الروس على أساس معلومات المصادر العربية أثر ظاهر في هذا الحقل ·

وقد وجد علماؤنا انتباهاً كبيراً أيضاً لتاريخ البلدان العربية الحديث ، فقد خصص لبلدان الشرق العربية مكان هام في المؤلف الكبير المطبوع في موسكو سنة ١٩٥٣ بعنوان « التاريخ الحديث لبلدان الشرق الأجنبي » ·

وعدا ذلك فقد تناول البروفيسور ب · ف · لوتسكي و م · ف · تشوراقوف وغيرهما من العلماء جملة من المباحث في التاريخ الحديث لمصر وسورية ولبنان وأقطار الشرق العربي الأخرى ·

وقد نشرت خ · اي · كيلبيرغ مبحثاً عن ثورة عرابي باشا في مصر · ولها أيضاً ترجمة بمقدمة خ · ف بارانوف لمؤلف أمين سعيد المعروف : « الثورة العربية الكبرى » ·

ونشرت ل · ن · فاطوطينا مبحثاً بعنوان « مصر المعاصرة » ، وجملة من المقالات الأخرى تناولت فيها تاريخ البلدان العربية المعاصر ·

ويوجه المستعربون الشباب في موسكو ولنينغراد وتبيليسي وغيرها من مراكز بلادنا انتباهاً خاصاً لتاريخ بلدان الشرق العربي المعاصر ·

وتدرس دراسة خاصة عندنا المصادر العربية الموضوعة في شمال القفقاس ، وفي الآونة الأخيرة قام اي · يو · كراتشقوفسكي و آ · ن · غينكو

وبارابانوف و ت . مارغوبلاشوبلي وغيرهم من علماء بلادنا بنشر عدد كبير من هذه الآثار وترجمته وبحثه . وقد وجه العلماء في بلادنا مثل هذا الانتباه للنواحي التاريخية المساعدة . ويجدر بنا أن نشير بهذا الصدد إلى جملة من المباحث الكبيرة وإلى العدد الكبير من المقالات التي كتبتها زوجة الأكاديمي اي . كراتشقوفسكي البروفيسور فيرا آليكساندروفنا كراتشقوفسكي في حقل علم الخطوط والكتابات العربية وكذلك في حقل الفن الاسلامي ، فابتدأ من سنة ١٩٤٧ بإدارتها نشر مجلة خاصة «خطوط الشرق وكتابته» . تنشر فيها كثير من الكتابات والنقوش العربية التي عثر عليها في شتى أنحاء الاتحاد السوفياتي .

وفي الآونة الأخيرة نشر ر . ر . فاسمير و آ . آ . بيكوف وغيرهما من العلماء كثيراً من النقود عليها كتابات عربية .

وقد اكتشفت في دمانيس (قرب تبليسي) نقود عليها نقش عربي ، مكّن من اكتشاف دار جديدة لضرب السكة في دمانيس ، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بعد الميلاد كانت مجهولة سابقاً .

وقد نشر ف . اي . بيليايف مقالاً كبير الأهمية بصدد مجموعة أوراق البردى العربية في الاتحاد السوفياتي ، التي تجد بينها وثائق تعود الى القرن الأول الهجري .

ومن الأحداث الهامة في تاريخ الدراسات العربية مبحث أصدره في طشقند البروفيسور آ . آ . سيميونوف ، ووصف فيه مجموعة المخطوطات الشرقية المحفوظة في أكاديمية علوم جمهورية ازبيكيستان الاشتراكية السوفياتية (وقد صدر المجلد الأول سنة ١٩٥٣ وصدر المجلد الثاني سنة ١٩٥٤) .

وقد وضع العلماء السوفياتيون جملة من المباحث القيمة في تاريخ العلوم ، وحسبنا أن نشير إلى المجموعة المكرسة لمفكر من كبار المفكرين في القرون الوسطى : أبي الريحان البيروني ، والى ترجمة مبحثه المشهور «كتاب الجماهر في معرفة الجواهر» ، فقد ترجمه إلى اللغة الروسية آ . م . بيلينيتسكي وليملين .

وخليق بنا أن نشير إلى أول ترجمة روسية لسفر وضعه مفكر آخر من كبار مفكري الشرق هو أبو علي بن سينا : « القانون في الطب » ، وتصدرها الآن أكاديمية العلوم في ازبيكستان باشتراك المترجم م . آ . ساليه الذي اشتهر بترجمته « ألف ليلة وليلة » إلى اللغة الروسية .

تشغل بلادنا في حقل دراسة الأدب العربي مركزاً مرموقاً ، وذلك بفضل المباحث التي وضعها البروفيسور اي . كراتشقوفسكي . وفي سنة ١٩٤٩ أصدر البروفيسور اي . فينيكوف كتاباً بعنوان « ايغناطي يوليانوفتش كراتشقوفسكي » ذكر فيه جميع مباحث هذا العالم ، ولذلك لن أطيل الكلام عن هذه المباحث ، وحسبي أن أقول إن الأستاذ كراتشقوفسكي هو الأول بين العلماء الغربيين الذي بدأ دراسة الآداب العربية الحديثة بصورة منتظمة .

ولقد كتب أي . كراتشقوفسكي سنة ١٩٢٣ في مقال من مقالاته : « إن الماضي المجيد قد حجب العرب عن أنظار الأوربيين ، فهم يقرأون باسمهم دون تردد القرآن وألف ليلة وليلة ، ولكن في ما يخص الحاضر تنتصب جملة من الصور الشاحبة الخيالية الغامضة ... »

« ووراء هذه الصور تحجب تماماً حقيقة الواقع . فلا يزال مجهولاً وجود صحافة دورية غزيرة تصدر في أربع أو حتى في خمس من قارات العالم ، ووجود عدد من الأحزاب الاجتماعية والسياسية تختلف اتجاهاتها الفكرية كل الاختلاف . وتبقى البلدان العربية حتى في الوقت الحاضر عاملاً اقتصادياً كبيراً ، حلقة من الحلقات الضرورية في التداول العالمي مع شواطئ البحر الأبيض المتوسط . والعرب أنفسهم بالمعنى البشري العام أرقى شعوب الشرق الأدنى ثقافة وزعيم العالم الاسلامي كما كانوا زعيمه في القرون الوسطى . وهم في الوقت نفسه طليعة التأثير الأوربي . ولقد نشأ عن هذا اللقاء بين الغرب والشرق تشابكات خارقة . ومن جميع وجوه الحضارة الراهنة يمكننا أن نجد أوضح موضوع للدراسة ، الأدب الذي يحدد تاريخ انبعاثه ، بيسر كبير ، بأوائل القرن الثامن عشر » .

وقد بذل اي . كراتشقوفسكي نفسه جهوداً كبيرة لبحث هذا الأدب الذي كان يتطور خلال عقود السنوات الأخيرة، في الاتجاه الذي تحدث عنه الأستاذ المرحوم منذ أوائل قرننا .

وقد وجه مثل هذا الانتباه الكبير لدراسة مسائل الأدب العربي : حديثه وقديمه ، عالم آخر من علماء بلادنا ، هو الأكاديمي كريمسكي الذي وضع كتاباً في تاريخ الأدب العربي الحديث ، وقد أخرت الحرب صدوره .

وقد وجه عدد آخر من علماء بلادنا انتباهاً كبيراً ، وأظهروا اهتماماً بالأدب القديم ، والأدب العربي في الأندلس ، وكذلك بالأدب العربي في شمال القفقاس ، والأدب العربي المعاصر .

ويستحق الذكر بهذا الصدد البحث الذي وضعه البروفيسور برتيلس عن الشعر العربي للفضولي ، وكذلك مبحث د . ف . سيميونوف المكرس لتحليل الرواية الحديثة للكاتب المصري إبراهيم المازني والمباحث الأخرى .

ويوجه اللغويون السوفياتيون انتباهاً خاصاً للغة العربية وبنائها وتاريخها وتطورها .

ولا بد من إشارة خاصة إلى مباحث المرحوم ن . ف . يوشمانوف الذي كان كبعض العلماء العرب ، يعتبر أن الجذور العربية كانت في الأصل تتركب في معظمها من حرفين ، أما الحرف الثالث أو الرابع في الأصول الثلاثية والرباعية فهو عنصر زائد في اشتقاقه ، وكان يُستعمَل للإشارة الى نوع الأشياء كحرف الراء للإشارة إلى أقسام الجسد (مثلاً في الكلمات ظهر وصدر وشَعر وغيرها) أو كحرف الباء للإشارة إلى نوع الحيوانات كما في الكلمات : (ذئب وعقرب وثعلب وأرنب الخ) .

وقد كرس آ . س . ليقياشويلي ، وهو لغوي من تبيليسي ، جملة من المباحث تناول فيها قضايا بناء الجذور العربية ، وهو يعتبر كذلك أن أغلب الكلمات ترجع في اشتقاقها إلى جذور ذات حرفين ، وأن الكلمات العربية مركبة من

جذر ذي حرفين ومن ثالث إضافي ينشأ عن الصعيد اللفظي ، أو لتحديد الأصول أو هو باقية من كلمة أخرى مستقلة .

وقد اتفق المستعربون في بلادنا في بحثهم هذا الموضوع مع ما توصل إليه بعض علماء العرب الذين يثبتون أيضاً فضل الثنائية على المعجمية وتفوقها على نظرية « الثلاثية » (راجع مجلة المجمع العلمي العربي ص ٧٧٠ ـ ٨٨ ، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤) .

وقد وجه اللغويان س . س . ميزل و ف . ب ستاريتين (موسكو) بحثهما إلى قضايا قلب الحروف أي تأخيرها وتقديمها في العربية ودورها في تكوين الأصول .

وقد أعد العالم اللينينغرادي المرحوم يا . س . فيليننشيق قاموساً عربياً روسياً كبيراً للهجة سورية ، يشتمل على مواد وافية من المخطوطات والمطبوعات .

وقد توصل العلماء السوفياتيون بنتيجة دراستهم للهجات العربية إلى اكتشاف لهجات عربية جديدة وبحثها في آسيا الوسطى لم تكن معروفة سابقاً .

ويعيش في الوقت الحاضر في مقاطعتي بخارى وقاشقاداريا في آسيا الوسطى أكثر من خمسة آلاف عربي يتكلمون العربية . ولا نستطيع أن نجزم بما إذا كان هؤلاء العرب أحفاداً لأولئك العرب الذين تغلغلوا في آسيا الوسطى تحت ألوية الإسلام في عصر الفتوحات الكبرى ، أو أنهم قد استوطنوا هذه المناطق في القرن الرابع عشر بعد أن نقلهم تيمورلنك من سورية والعراق إلى هذه الأقطار . ولكن مهما يكن من أمر فان كون بعض عرب آسيا الوسطى ظلوا محتفظين بلغتهم العربية طيلة هذه القرون منذ نزوحهم إلى هذه البلاد ، هو واقع ذو أهمية كبيرة جداً .

وقد دلت البحوث على أن اللغة العربية المستعملة في آسيا الوسطى هي لهجة مستقلة كالمالطية ، وتشغل مكاناً خاصاً بين اللهجات الأخرى ، على الرغم من أنها تظهر لها في بعض نواحيها صلة باللهجة العراقية ، وفي نواحيها الأخري بلهجات البدو في أواسط شبه الجزيرة العربية .

وقد ثبت عدا ذلك بنتائج الدراسات أنه توجد في آسيا الوسطى في الوقت الحاضر على الأقل لهجتان مستقلتان تختلف إحداهما عن الأخرى اختلافاً بيناً بحيث لا يفهم عرب بخاري وقاشقاداريا بعضهم بعضاً .

وقد وقعنا في مجرى دراستنا للعربية في آسيا الوسطى على شيء أعجبنا غاية الإعجاب ، وهو أننا وجدنا اسم بطلة القصيدة الجورجية المعروفة التي وضعها الشاعر الجورجي الكبير شوتا روستاوبلي محفوظاً بين القبائل العربية في آسيا الوسطى ، فقد وضع شوتا روستاوبلي في القرن الثاني عشر قصيدة كبيرة في نحو من ستة آلاف وستمائة وثمانين بيتاً أطلق عليها اسم « ذبيردة النمر » أي « فارس في بردة النمر » ، وقد أطلق الشاعر على إحدى بطلات قصيدته اسم « نيستان داريجان » ، وكنا حتى الآونة الأخيرة لا نعرف من أين أخذ الشاعر هذا الاسم ، وكان العلماء يفترضون ان الاسم فارسي المنشأ ولكن لم يكن معروفاً استعماله في النصوص الفارسية ، وإذا بنا قد عثرنا على هذا الاسم في الحكايات العربية بشكل « نسطارجهان » ، وما من شك في الوقت الحاضر في أن الاسم فارسي ومعناه « لا نظير لها في الدنيا » أي « الغادة التي لا نظير لها في الدنيا بجمالها » ، وقد وجدوا بعد ذلك هذا الاسم في التأليف لفخر الدين البنداري الاصبهاني المسمى « بزبدة النصرة ونخبة العصرة » ، ووجدوه بعد ذلك أيضاً في شعر نظامي كنجوى وفي بعض النصوص الأخرى ، ولكن قد تلاقت بطلة القصيدة الجورجية باسمها لأول مرة بين عرب آسيا الوسطى .

يرى كراتشكوفسكي في اكتشاف لغة العرب في آسيا الوسطى وبحثها أساساً لتعديل النظر المقرر حول اللهجات العربية تعديلاً محسوساً ، وذلك نظراً لحصول مصدر جديد لدراسة اللغات السامية لم يكن معروفاً في السابق .

وتنشر عما قريب نصوص كثيرة ومواد أخرى سجلت بين عرب آسيا الوسطى ، وكذلك نتائج بحوث هذه اللغة .

وبذلك نأمل أن نساهم ولو بنصيب متواضع في دراسة لغة العرب وحضارتهم الجليلة .

ولم يقتصر المستعربون في بلادنا على البحوث العلمية النظرية بل أبدوا اهتماماً كبيراً لترجمة نخبة من الآثار الأدبية الفنية .

فقد ترجمت إلى الروسية والاكرانية والجورجية والازبيكية وغيرها من اللغات الأخرى - عدا القرآن وألف ليلة وليلة - كليلة ودمنة وكتاب بلوهر ويوداسف وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ وطوق الحمامة لابن حزم ولامية العرب للشنفرى ومعلقات امرئ القيس وزهير ولبيد والنابغة الذبياني وغيرهم ، وترجم شعر الأخطل والفرزدق وجرير الذي كرس له حضرة الرئيس خليل مردم بك منذ أمد قريب مقالة شيقة ، كما ترجم شعر المتنبي ، وأبي العلاء المعري ، وترجمت كذلك نخبة نماذج الآداب العربية من مؤلفات جرجي زيدان وعبد الرحمن الكواكبي وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وعمر الفاخوري ومحمود تيمور وغيرهم من كتاب الحاضر والماضي .

ولقد قدمنا صورة مختصرة جداً عن عمل العلماء السوفياتيين في حقل دراسة لغة العرب وحضارتهم ، وان كان المستعربون في بلادنا أقل عدداً من الممثلين عن الفروع الأخرى لدراسة الشرق ، غير أن الأعمال التي قاموا بها ، عظيمة القدر ، ولم تغب عن أذهانهم ، لدى دراستهم الآثار العربية القديمة ، أهمية العرب في الحضارة الحديثة .

ونحن نتابع تقدمكم بعطف كبير ، ونتمنى لكم بحرارة قلوبنا النجاح الأكبر دائماً في عملكم الشريف لصالح علمكم وآدابكم وحضارتكم الجليلة .

إقبلوا منا فائق الاحترام ودمتم مناراً للأدب والعلوم بين أبناء العرب .

والسلام عليكم .

جيورجي تسيريتيلي

ايوانية البحتري

للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي

– ٤ –

(ذاك عندي وليست الدارُ داري باقتراب منها ولا الجنس جِنْسي)

(ذاك) إشارة الى المذكور في البيت الذي قبله ، من إعانته ربوع كسرى بدموعه التي حبّسها على الصَّبابة والأسى . أي أن هذا كل ما عندي لتلك الربوع ، وكل ما يمكنني أن أعينها به ، حالة كونها ليست هي داراً لي فأقترب منها وأتبوأ لي من مقاصيرها مسكناً . ولا جنس الفرس الذين كانوا يعمُرونها بالسكنى فيها من جِنسي وعُنصري العربي : هم فرس آريُّون . وأنا عربيّ سامي . إذن لماذا تبكي ؟ فأجاب بقوله :

(غير نُعمى لأهلها عند أهلي غرسوا من زكائها خيرَ غرس)

المراد بالنُعمى هنا اليدُ البيضاء أي المنّة والفضل والمعروف تصطنعه الى آخر ، يقول انه بكى على الربوع التي ليست بداره ولا أهلها عرباً من جنسه ونِجاره ، غير أن هناك يداً وصَنيعة قديمةً اصطنعها أهلُ تلك الدار وهم الفرس عند أهلي وقومي وهم عرب اليمن . والزَكاء بالزاي بمعنى النماء والخصب ، يقال زكت الأرض إذا كانت طيبة التربة خصبة . وضمير زكائها يرجع الى النُعمى فهو قد جعلها نباتاً ونسب اليها الزكاء والخصب . أي أن الفُرس غرسوا من زكاء النُعمى التي صنعوها عند قومي خيرَ غرس . كأنه يقول إن معروفهم عندنا غير ضائع ، بل هو يبقى زاكياً نامياً ، مغروساً في نفوسنا خيرَ

غرس لكونه مصطنعاً عندنا نحن العرب الذين يحفظون الجميل ، ويعرفون لمحسن إحسانه . وقد عنى البحتري بأهله الذين أسدى اليهم الفرس معروفاً قبيلة طيّئ التي ينتسب هو اليها كما ينتسب اليها أيضاً أستاذه (أبو تمام) ولذلك يطلق عليها أحياناً اسم (الطائيين) .

وطيّئ من كهلان . وكهلان أخو حمير . ينتميان كلاهما الى قحطان وقحطان جدُّ عرب اليمن . كما أن عدنان جدُّ عرب الحجاز . وقد هاجرت طيّئ من اليمن عقبَ حادثة سيل العَرِم فنزلوا نجداً في جبلي أَجأ وسَلمى المشهورين . واشتهرت طيّئ قديماً عند السريان والفُرس حتى غَلَب اسمُها على (العرب) فسموا كل العرب طيئاً . أما اليوم فجَبَلا (طيّئ) وهما أجأ وسلمى سميا جبَل شَمَّر . وبقايا طيّئ سموا أيضاً شَمَّر باسم الجبَل . بقي أن نعرف ما هي المِنَّة التي أسداها الفرس الى عرب اليمن قومِ البحتري ؟ لقد أشار اليها البحتري نفسه بقوله :

(أيدوا مُلكنا وشدّوا قُواه بكُماة تحت السَنَوَّر حُمْسِ)
(وأعانوا على كتائبِ (أرْيا ط) بطعن على النحور ودَعْسِ)

ضمير (أيدوا) يرجع الى أهل الايوان يعني بهم الفرس . وقوله (مُلكنا) أي معشر أهل اليمن . و (الكُماة) جمع كميّ البطَل المدجَّج بالسلاح . والسَنَوَّر بفتح السين السلاح عامةً أو هي الدُروع من قِدٍّ أي جلد . وحُمْس بضم الحاء جمع أحمس وهم الشديدون في دينهم الأقوياء في الدفاع والمقاومة اذا اعتدي عليهم معتد ، وأرياط أول قائد نزل بلاد اليمن واستولى عليها من قِبَل (أصحمة) نجاشي الحبش . ودَعْس بمعنى طعن ، معطوف على طعن عطف تفسير . يقول إن النُعمى واليد البيضاء التي للفرس علينا معشر العرب اليمانين هي تأييدهم مُلكنا بأبطالهم وإعمالهم الرماح في أقفية جيوش (أرياط) الحبشية . هذه هي النُعمى ملخصةً . أما ما قاله المؤرخون في تفصيل هذه الحادثة أو النُعمى ففيه ما يدلُّ على خطأ البحتري في قوله (أرياط) وكان الصواب

لو قال (مسروق) . ذلك أن ملوك حمير ظلموا نصارى بلادهم فأرسل (أصحمة) ملك الحبش (والحبش نصارى) جيشاً مع أحد كبار قواده المسمى (أرباط) ومعه قائد آخر اسمه (أبرهة) ففتحا بلاد اليمن وأذلاّ ملوكها من حمير . وكان ذلك في أوائل القرن السادس للميلاد . ثم وقع خلاف بين (أرباط) و (أبرهة) فقُتل (أرباط) واستبدّ (أبرهة) ببلاد اليمن ، فجار وظلم وأنزل بأهلها المحن . وبنى كنيسة سميت (القَلِيس) بمعنى الكنيس والكنيس هي (الكنيسة) أي الكنيسة . وأراد صَرْفَ وجوه العرب عن الكعبة اليها أي إلى القليس ، فجاء شيطان من شياطين عرب الحجاز فتغوّط فيها فغضب أبرهة وزحف الى الحجاز ليهدم الكعبة المشرّفة ، فرده الله بأن أرسل عليه الطير الأبابيل في قصة مشهورة تلخصتها سورة الفيل (ألم ترَ كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الى آخر السورة . ثم هلك (أبرهة) وخلفه ابنه (مسروق) . وفي زمنه نشأ سيف بن ذي يَزَن الحميري فهاله ما نزل بقومه . فذهب الى قيصر مستنجداً به على الحبش فلم يفعل قيصر شيئاً لأن الحبش نصارى . فحوّل سيف وجهه الى فارس ، واستنجد بكسرى . فتملّل بيعد بلاد اليمن وقلّة فائدته من فتحها . ووهب له مالاً فخرج سيف من لدنه مُغضَباً ونثر المال يميناً وشمالاً على رؤوس الخَدَم . فاستاء كسرى واسترجعه وسأله عن السبب في استهانته بعطيته . فقال إنما جئتك لتدفع عني الظلم . وإلا فان بلادي تنبت الذهب والفضة . فتأثر كسرى واستمهله أياماً . واستشار وزراءه . فأشار عليه كبيرهم بأن يُرسل الى نُصرته المساجين في مملكته فشحنتهم في ثماني سفن . غَرِقت منها اثنتان ونجا الباقون . حتى بلغوا اليمن . فنزلوا ساحلها وأحرق قائدهم (وهرز) السفنَ . كما فعل طارق بن زياد بعدان وطئ أرض الأندلس . وقال وهرز لقومه : إما الفتح وإما الهلاك . أما الرجوع فلا . ثم التفت الى (سيف بن ذي يزن) وقال له : وما لنا عندك ؟ قال (لك مني رجلٌ عربي ودمٌ عربي) ثم قتلوا مسروقاً وطردوا الحبش من

اليمن . ويولوا سيفاً ملك آبائه ، فجاءت وفود العرب تهنئه وفي جملتهم سيدنا عبد المطلب (جد النبي ﷺ) ومعه أمية ابن أبي الصلت شاعر قريش يومئذ فقال في مدح (سيف) القصيدة التي منها :

اشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... في قصر غمدان داراً منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وهكذا انتصر الفرس[1] لعرب اليمن وأعادوا اليهم ملكهم فحفظت العرب هذه اليد لهم وسجّلوها بلسان شاعرهم الطائي اليماني فقال :

أيّدوا ملكنا وشدّوا (عراه) ... بكماة تحت السنوّر حمس
وأعانوا على كتائب (مسروق) ... بطعن على النحور ودعس

ثم ان البحتري ختم (ايوانيته) بهذا البيت العامر بمعاني الإنسانية فقال :

(وأراني من بعد أكلف بالأشراف من كل سنخ وأس)

(كلف) به : أحبه وأولع به . و (السنخ) بكسر أوله و (الأس) مثلث الأول كلاهما بمعنى الأصل . يقول أرى نفسي بعد أن كان ما كان من مساعدة أشراف فارس وأحرارها لقومي العرب كلفاً مولعاً بحب الأشراف من أي جنس كانوا عرباً أو عجماً ومن أي أرض نبتوا في جزيرة العرب أو في بلاد فارس أو غيرها بشرط أن يكونوا أشرافاً أحراراً ذوي مروءة ونجدة .

هذه هي قصيدة البحتري أو معلقته في وصف إيوان كسرى ، وأرى أن نسميها (الإيوانية) كما تسمى كل قصيدة قيلت في وصف الأبنية التاريخية أو الأثرية القديمة (إيوانية) ومجموع تلك القصائد (الإيوانيات) . ومن ذلك (إيوانية) احمد شوقي الذي عارض بها (إيوانية) البحتري مذ كان في

---

(١) وبقايا هذا الجيش الفارسي توطنوا بلاد اليمن وتناسلوا فيها وسموا أولادهم (الأبناء) حتى اذا قيل في ترجمة أحد اليمنيين انه من الأبناء أرادوهم .

منفاه أيام الحرب . وزار قرطبة وقصر الحمـراء وسائر الآثار العربية الخالدة هناك فقال في مطلع ايوانيته :

(اختلافُ النهار والليلِ يُنسي أذكرا لي الصبا وأيامَ أنسي)

ثم تشوق وطنه مصر ومما قاله في ذلك :

(وطني لو شُغلتُ بالخُلد عنـه نازعتني اليه في الخلد نفسي)

الى أن قال :

(وعظ البحتريَّ إيوانُ كسرى وشفتني القصورُ من عبد شمس)

يريد بقصور عبد شمس الأبنية التي شيَّدها ملوك أمية من سلالة جدهم الأكبر في الجاهلية وهو عبد شمس إلى أن قال :

(مشت الحادثات في غُرَف الحمـــــراء مشيَ النعيِّ في دار عُرس)

ومنها قوله في الثلج الذي على قمة جبل شيرى :

(جلَّل الثلجُ دونها رأسَ شيرى فبدا منه في عصائبِ برْس)

ومنها في وصف بلاد اسبانية اليوم :

(لا تحسُّ العيون فوقَ رُباها غيرَ حُورٍ حوِّ المراشف لُعْسِ)

ثم ختم إيوانيته بقوله :

(إمرة الناسِ همَّـةٌ لا تأتَّى لجبانٍ ولا تسنَّى لجِبْس)

(وإذا ما أصابَ بنيانَ قومٍ وهْيُ خُلْقٍ فإنه وهْيُ أُسِّ)

وبلغني أن أحد كبار شعراء فارس الموسوم بالخاقاني زار إيوان كسرى منذ مائتي سنة كما زاره البحتري قبله ، ونظم ـ أي الخاقاني ـ في وصف الإيوان قصيدةً (إيوانية) بديعةً باللغة الفارسية . زعموا أنه أبرَّ فيها على (إيوانية) البحتري . هذا والأمم الواعية اليوم انما يتحقق وعيها بالمحافظة على تراث أجدادها ولا سيما ما خلَّدوه تحت الأرض أو فوقها من الآثار . وقد انتبهنا معشر العرب

أخيراً الى العناية بآثار الأجداد . لتكون درساً وذكرى للأبناء والأحفاد . وأبلغ ما نُقل عن أسلافنا في الحض على حفظ الآثار والنهي عن إضاعتها وتدميرها قول القاضي (أبي يعلى المعرّي) وهو :

(مررت برسمٍ في (سِياتَ) فراعني ... به زَجَلُ الأحجارِ تحت المعاول)
(تناولها عَبْلُ الذراع كأنما ... رَمَى الدهرُ فيما بينهم[1] حَرْبَ وائل)
(أتتلفها ؟ شلَّت يمينك خَلِّهـا ... لمعتبرٍ أو زائرٍ أو مسائلِ)
(منازلُ قومٍ حدَّثتنا حديثَهم ... ولم أرَ أحلى من حديث المنازل)

* * *

قصيدة البحتري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صُنْتُ نفسي عمّا يُدَنِّسُ نفسي ... وترفَّعْتُ عن جدا كُلِّ جِبْسِ
وتماسكتُ حيثُ زعزعني الدهـ ... ـرُ التماساً منهُ لتعسي ونكسي
بُلَغٌ من صُبابة العيش عندي ... طفَّفتْها الأيامُ تطفيفَ بَخْسِ
وبعيدٌ ما بين واردِ رَفْـهٍ ... عَلَلٌ شُرْبُهُ ووارِدِ خِمْسِ
وكأنّ الزمانَ أصبح محمو ... لاً هواهُ مع الأخسِّ الأخسِّ
واشترائي العراقَ خطَّةُ غَبْنٍ ... بعدَ بيعي الشآمَ بيعةَ وكسِ

(١) أي في ما بين عبل الذراع وبين أحجار تلك المدينة وآثارها . يقول ان هذا الضرب والهدم بينه أي بين عبل الذراع وبين الآثار كأنها حرب وائل أو أن المراد ان بغضه لها كالبغض الذي شبت بسببه حرب وائل وهي المشهورة بحرب البسوس . وعبل الذراع أي مفتول الساعد كناية عن قوة العامل في الهدم .

لا ترزني مزاولاً لاختباري ... عند هذي البلوى فتنكر مسي
وقديماً عهدتني ذا صفات ... آبيات على الدنيات شمس
ولقد رابني نبوّ ابن عمي ... بعد لين من جانبيه وأنس
وإذا ما جفيت كنت حرياً ... أن أرى غير مصبح حيث أمسي
حضرت رحلي الهموم فوجهـ ... ـت إلى أبيض المدائن عنسي
أتسلى عن الحظوظ وآسى ... لمحل من آل ساسان درس
ذكرتنيهم الخطوب التوالي ... ولقد تذكر الخطوب وتنسي
وهم خافضون في ظل عال ... مشرف يحسر العيون ويخسي
مغلق بابه على جبل القبـ ... ـق إلى دارتي خلاط ومكس
حلل لم تكن كأطلال سعدى ... في قفار من البسابس ملس
ومساع لولا المحاباة مني ... لم تطقها مسعاة عنس وعبس
نقل الدهر عهدهن عن الجد ... ة حتى غدون أنضاء لبس
فكأن الجرماز من عدم الأنـ ... ـس وإخلاقه بنية رمس
لو تراه علمت أن الليالي ... جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم ... لا يشاب البيان فيهم بلبس
فإذا ما رأيت صورة أنطا ... كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشر ... وان يزجي الصفوف تحت الدرفس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في اخضرار من اللباس على أصـ ـفر يختال في صبيغة ورس

وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وإغماض جرس

من مشيح يهوي بعامل رمح ومليح من السنان بترس

تصف العين أنهم جد أحيا ء لهم بينهم إشارة خرس

يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يداي بلمس

قد سقاني ولم يصرد أبو الغو ث على العسكرين شربة خلس

من مدام تقولها هي نجم ضوأ الليل أو مجاجة شمس

وتراها ـ إذا أجدت سروراً وارتياحاً للشارب المتحسي

أفرغت في الزجاج من كل قلب فهي محبوبة إلى كل نفس

وتوهمت أن كسرى أبرويـ ـز معاطي والبلهبذ إنسي

حلم مطبق على الشك عيني أم أمان غيرن ظني وحدسي

وكأن الإيوان من عجب الصنـ ـعة جوب في جنب أرعن جلس

يتظنى من الكآبة إن يبـ ـدو لعيني مصبح أو ممسي

مزعجاً بالفراق عن أنس إلف عز أو مرهقاً بتطليق عرس

عكست حظه الليالي وبات الـ ـمشتري فيه وهو كوكب نحس

فهو يبدي تجلداً وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسي

لم يعبه أن بز من بسط الديـ ـباج واستل من ستور الدمقس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مُشْمَخِرٌّ تَعْلُو لَهُ شُرُفَاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ
لابِسَاتٌ مِنَ الْبَيَاضِ فَمَا تُبْـ ـصِرُ مِنْهَا إِلا غَلائِلَ بُرْسِ
لَيْسَ يُدْرَى أَصُنْعُ إِنسٍ لِجِنٍّ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسِ
غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنِكْسِ
فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَاتِبَ وَالْقَوْ مَ إِذَا مَا بَلَغْتُ آخِرَ حِسِّي
وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى مِنْ وُقُوفٍ خَلْفَ الزِّحَامِ وَجُلْسِ
وَكَأَنَّ الْقِيَانَ وَسْطَ الْمَقَاصِيـ ـرِ يُرَجِّحْنَ بَيْنَ حُوٍّ وَلُعْسِ
وَكَأَنَّ اللِّقَاءَ أَوَّلَ مِنْ أَمْـ ـسِ وَوَشْكَ الْفِرَاقِ أَوَّلَ أَمْسِ
وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّبَاعًا طَامِعٌ فِي لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ
عُمِرَتْ لِلسُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعَزِّي رِبَاعُهُمْ وَالتَّأَسِّي
فَلَهَا أَنْ أُعِينَهَا بِدُمُوعٍ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ
ذَاكَ عِنْدِي وَلَيْسَتِ الدَّارُ دَارِي بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا وَلا الْجِنْسُ جِنْسِي
غَيْرَ نُعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا مِنْ زَكَائِهَا خَيْرَ غَرْسِ
أَيَّدُوا مُلْكَنَا وَشَدُّوا قُوَاهُ بِكُمَاةٍ تَحْتَ السَّنَوَّرِ حُمْسِ
وَأَعَانُوا عَلَى كَتَائِبِ (أَرْيَا ط) بِطَعْنٍ عَلَى النُّحُورِ وَدَعْسِ
وَأَرَانِي مِنْ بَعْدُ أَكْلَفُ بِالْأَشْـ ـرَافِ مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وَأُسِّ

ما سمعت وما رأيت

في بلاد السوفيت

- ٢ -

موسكو :

وهي عاصمة الاتحاد السوفيتي والجمهورية الروسية الاشتراكيـة (احدى الجمهوريات الست عشرة التي يتألف منها الاتحاد) وكانت من قبل عاصمة إمارة عرفت بمسكوفية (Moskovy) ومنه اشتقاق كلمة موسكوف التي كانت تطلق على سكان هذه البلاد (الشعب الروسي) .

أقمنا في هذه العاصمة معظم المدة التي قضيناها في بلاد السوفيت ، ولم تكن هذه المدة القصيرة كافية لزيارة معاهدها العلمية وأما كنها الأثرية ، إذ اقتصرت زيارتنا على ما جاء في البرنامج الذي ذكرناه مع ما أضيف اليه من مؤسسات ومتاحف خلال مقامنا القصير بين الرحلتين من هذه العاصمة الى لينغراد وستالينغراد والعودة منها .

وموسكو ليست من المدن العريقة في القدم إذ لم يأت لها ذكر قبل سنة ١١٤٧ ميلادية وليس لها من العمر إذن سوى ٨٠٠ سنة . وأول ما بنيت المدينة على رابية في ضفتي نهر موسكوا (Moskova) وعظم شأنها منذ أن اشتد أزرها ببناء الحصن الشهير فيها وهو الكرملين (Kremlin) صداً لغارات الغزاة ، واتسع البنيان حول هذا الحصن على ممر الزمن اتساعاً على شكل دائرة تحيط به من الجهات الأربع ولذلك بقي في مركز المدينة كأنه قلبها الخفاق مع بقاء معظم الأبنية القائمة على الضفة اليسرى من النهر المذكور .

ولقد أتاح لموسكو موقعها الجغرافي أن جعلها بمعزل عن السبيل التي يسلكها الغزاة القادمون من الشرق ، كما ان مركزها في حوض نهري الدون والولغا ساعدها على الازدهار ، لا سيما وهي العاصمة السياسية القديمة والعاصمة الدينية (مقر الكرسي البطريركي منذ سنة ١٣٢٨) . على أنها لم تنج من صولة المغول والتتار عليها عدة مرات حتى اتخذها الأمراء الروس في القرن الخامس عشر مركز الحشد لصد المغيرين وطردهم . وعرف ايفان (يوحنا) الثالث وايفان الرابع بقيصري موسكو إذ ازدهرت في عهدهما المدينة واطرد فيهما النمو والاتساع في القرن السادس عشر مع ما أصابها من حرائق واسعة (١٤٩٨ و ١٥٤٧ وغيرهما) ومع احتلال البولونيين إياها . وبدأت حركة المقاومة من موسكو سنة ١٦١٨ لتحرير البلاد حتى أطلق عليها اسم المدينة المقدسة . ورأى بطرس الأكبر بعد أن أنشأ مدينة جديدة على الساحل وقام بالاصلاحات الكثيرة أن ينقل العاصمة من موسكو الى تلك المدينة (وقد عرفت بمدينة بطرس بتروسبورغ ثم بتروغراد ولينغراد حالياً) مع احتفاظها بلقب المدينة المقدسة حيث يتوج فيها القياصرة وبقاؤها مقراً للمجمع المقدس (السينود) والمقام البطريركي .

وغزاها نابوليون سنة ١٨١٢ فتم له فتحها بعد معركة دامية عرفت بمعركة موسكوا ثم اضطر الى مغادرتها إثر الحريق الكبير الذي قيل إنه أوقده سكان البلد بتحريض قادتهم والذي أتى على ما قيل على ⅘ المدينة وأصاب الروس فيه زهاء ١٥٠٠٠ جريح ، وكانت مغادرته إياها في ١٩ من تشرين الأول . ونسف الجنرال مورتيه (Mortier) الذي خلفه فيها قلعة الكرملين . ويفتخر القوم بالهزيمة الشنعاء التي أوقعوها بالجيش الافرنسي الذي لقب في ذلك الحين بالجيش الذي لا يغلب وتراهم مزهوين بنقش أسماء الجنود الذين أبلوا بلاء حسناً في الدفاع عن البلاد بنقش أسمائهم على لوحة تذكارية يراها الزائر في أحد جدران الكرملين بعد أن كوفئوا بمنحهم لقب فرسان صليب القديس جورج ، كما أن متحف الكرملين يضم البنادق الكثيرة التي غنمها الروس مع الأعلام العديدة .

وفي آخر سني الحرب العالمية الأولى دارت معارك قوية في معظم المدن الروسية وكانت موسكو مسرحاً للحرب الأهلية وبعد الثورة البولشفيكية غادر بتروسبورغ الى موسكو في الثامن عشر من آذار سنة ١٩١٨ قطار يقل أركان حكومة السوفيت الجديدة وأصبحت منذ ذلك التاريخ عاصمة الجمهورية الروسية وعاصمة الاتحاد معاً، وأقرت المادة ١٤٥ من الدستور السوفيتي اعتبارها العاصمة الوحيدة لبلاد الاتحاد وأصبحت القوانين والمراسيم والبلاغات لا تصدر عن الحكومة إلا وهي متوجة بالكلمتين الآتيتين : الكرملين ، موسكو .

مساحة المدينة السطحية ونفوسها :

لقد اتسع نطاق موسكو مع مرور الأيام حتى قدرت مساحتها السطحية مؤخراً بما ينيف على ٣٠ ألف هكتار مربع وتبلغ المسافة بين أقصى الشمال والجنوب من المدينة زهاء ٣٥ كيلومتراً . أما السكان فان آخر إحصاء رسمي جرى سنة ١٩٣٩ (قبيل الحرب الأخيرة) بلغ عددهم فيه ٨٦٦٣٠٠٠ نسمة ولا أظن أنها زادت على هذا الرقم كثيراً في الآونة الأخيرة .

ومناخ موسكو لا يفترق عن مناخ بلاد الاتحاد السوفيتي الأخرى تهبط درجة الحرارة فيه الى ما دون الصفر في الشتاء وتجمد مياه الأنهر ١٣٥ — ١٦٠ يوماً في السنة ودرجة الحرارة الوسطى في كانون الثاني — ١٠ بينما ترتفع في تموز الى ١٩٫٢ وسطياً وقد شاهدناها تهبط في آخر تشرين الثاني الى — ٨ . لذلك يسترها الثلج في معظم الشتاء وارتفاع موسكو عن سطح البحر يختلف بين ١٦٥ و ٢٨٥ متراً والرياح الغالبة فيها جنوبية وجنوبية غربية .

نظرة عامة :

إن من الصعب على من أقام في موسكو تلك المدة القصيرة التي أقمناها أن يفي وصف العاصمة حقه مع كثرة ما فيها من معالم ومعاهد ومؤسسات فلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غرو إن اجتزأت بذكر بعض ما سمعت وما رأيت وما قرأت عنها ، قبل ذكر المؤسسات والمعاهد العلمية .

تعد موسكو ولا شك من أعظم مدن العالم دع عنك شأنها السياسي في هذه الآونة باعتبارها عاصمة بلاد تبلغ مساحتها سدس اليابسة ، وحاملة لواء المعسكر الشرقي ضابط التوازن الدولي ، وهي من المراكز الصناعية الهامة تحوي المعامل الكثيرة لمختلف الصناعات ، ناهيك بمركزها الثقافي والعلمي وكثرة ما فيها من معاهد وان جامعتها التي سيأتي وصفها تعد من أكبر جامعات العالم (ان لم تكن أكبرها فعلاً) .

فمظاهر المدينة تدل على عظمتها في شتى النواحي والقادم اليها من المطار يخترق الى قلب المدينة شوارع فسيحة حسنة الإضاءة ليلاً على غاية من النظافة بما لا ترى له مثيلاً في العواصم الأخرى (ولا أنفرد بهذه الشهادة بل سبقني إليها غير واحد من الغربيين الذين زاروها) ولا غرابة اذا علمت ان هذه النظافة وهذا النظام البديع الذي تسير عليه المرافق العامة مردهما الى تضافر العمل بين زهاء نصف مليون من العمال والمهندسين والفنيين يشرفون على تسيير شؤون العاصمة والسهر على تحقيق ما تحتاج اليه من صيانة الطرق وتنظيفها الذي لا ينقطع حسبما تستلزمه فصول السنة ، وضمان حسن السير فيها وتعهد الأشجار والنباتات المختلفة المغروسة في جوانبها وفي حدائقها العامة ، وما لا ندحة عنه لرفاه الفرد والمجموع من كهرباء وماء وغاز وتدفئة وغيرها .

ويضفي على تلك الشوارع الفسيحة الأبهة والعظمة ما يحيط بجانبيها من أبنية شامخة بيضاء لا أثر فيها للسواد الصادر عن دخان المعامل الذي يملأ جو مثيلاتها من العواصم الأوربية . وانه لمن الخطأ أن يظن ظان ان ليس في موسكو سوى هذه المناظر البهيجة التي تأخذ بمجامع القلوب إذا لم يخرج السائح الغريب نزيل أحد الفنادق المخصصة للأجانب والتي تقع في قلب المدينة ، عن هذا

النطاق المضروب . ولكن متى سنحت لك سانحة وجزت تلك الدائرة المحيطة بك شبراً فإن عينك سترى ولا شك مناظر نقيض ما تقدم : أزقة ضيقة ودوراً صغيرة من الآجر الأحمر وطرقاً سيئة التعبيد لما تمتد اليها يد الإصلاح والتنظيم بعد . هذه هي موسكو القديمة من بقايا القرون الماضية وتلك موسكو الحديثة التي تم تنظيمها وفاقاً لمشروعي السنوات الخمس والسنوات العشر ، وهي إحدى المفارقات بين الماضي والحاضر . وهل خلت روما وباريز ولندن من مثل هذه الأحياء في يومنا هذا ؟

فقد سمعنا أن موسكو لم يكن فيها في مطلع هذا القرن سوى ٨٠٠ بناء عديد الطوابق (يحوي أكثر من طابق واحد) ولم يكن سوى دور مركز المدينة مجهزة بوسائل الراحة العصرية مما حمل إحدى الجرائد الانكليزية سنة ١٩١١ على القول بأن موسكو تحتاج الى ٥٠٠ سنة لتصبح مظاهرها تحاكي مظاهر عواصم العالم . إلا ان المنهاج الذي وضع لتجميل موسكو بعد أن أصبحت العاصمة وما بذله المهندسون من جهد عظيم قد أثمر أينع الثمر والتطور فيها غدا مستمراً ، ومظاهره تطغى على القديم بسرعة فائقة . وها هو قد تم لها في بضع عشرات من السنين ما ظن أنه يستغرق خمسمائة سنة . فقد شقت في هذه الفترة شوارع جديدة ووسع ما كان منها ضيقاً (مع بقاء بعضها ماثلاً للعيان الآن) ، حتى قيل لنا ان ما كان منها بعرض ١٦ و ١٨ متراً أصبح عرضه ٤٠ أو ٤٥ متراً وإن منها ما بلغ من العرض ٧٠ متراً واضطر المشرفون على شؤون المدينة في سبيل هذا التوسيع والتعريض الى هدم ما ينبغي هدمه وإبقاء ما لا يجوز الاستغناء عنه فعمدوا حفاظاً عليه الى أن يعولوا على طريقة سبقهم إليها الغربيون ولكنهم أتقنوا التنفيذ وأحسنوه على نطاق واسع ، وهو أن يخلوا ما تحت أرض البناء وأن يجعلوا هذا يستند الى أعمدة حديدية متينة رصفت أفقياً ثم أن يدفعوا الى الوراء بالبناء الذي أصبح كأنه على عجلات ـ المسافة المطلوبة

دفعاً تدريجياً يستلزم مدة غير قليلة من الزمن . ونجا من أقدم على هذه الطريقة عدة أبنية ورأيت في شارع غوركي كيف ان المستشفى القائم هناك قد زحزح بضعة عشر متراً مع تغيير طفيف في الاتجاه فيه ، وقد روى الدليل أن أعمال المستشفى في أثناء ذلك لم تتوقف ولم يتوان الجراحون عن المثابرة على التوسط الجراحي خلال هذا النقل العجيب .

قلت إن موسكو القديمة آخذة بالزوال تخفيها موسكو الجديدة التي حق لها أن تباهي ببنيانها الأبيض لكثرة استعمال الحجر الأبيض في البناء مع ما يستلزمه طراز البناء العصري من ميكانيكيات ضخمة رأيت بعضها في البنيان القائم إبان زيارتنا ورأيت نماذج مصغرة عن بعضها الآخر في أحد المتاحف التي زرناها . وإن من الأبنية الحديثة ما هو مخصص للسكن ومنها ما يبنى لاتخاذه مقراً لدوائر الحكومة والمؤسسات العامة . فما يبنى لأجل السكن يبدو مماثل ، الشكل فيه على هيئة حرف U بحيث تترك الساحة بين الأضلاع الثلاث للفضاء تتعرض لنور الشمس ولا تحجب هذا عن أجزاء البناء الرئيسية ، وتتخذ حديقة يملؤها النبات في جانب باحات الألعاب الرياضية فتصبح متعة السكان تلك الدور ومرتع لعب ولهو لأطفالهم وبمثل وحدات السكن هذه قد حلت أزمة السكن [1] .

---

(١) لم يتح لي الاطلاع على حقيقة ماترويه المصادر الغربية من اشتداد أزمة السكن في المدن السوفيتية الكبيرة وفي موسكو خاصة . وإن من غريب ماقرأته في دائرة المعارف البريطانية في مادة موسكو قولها : ان ازدياد عدد السكان الناجم عن تركز الحكومة في موسكو منذ ثورة ١٩١٧ واشتداد النزوح والهجرة من أنحاء الامبراطورية الشاسعة كل ذلك قد أوجد ازمة في أماكن السكن لم تكن لتكفي حتى سنة ١٩١٣ . وفي سنة ١٩٢٣ لم يكن سوى ٨،٠٪ من السكان تملك غير غرفة واحدة أو أكثر و ٤٤،٧٪ كان يعيش كل اثنين منهم في غرفة واحدة و ٣١،٨٪ خمسة في كل غرفة و ٤،٩٪ أكثر من ثمانية أشخاص في الغرفة الواحدة . وتقضي دائرة المعارف قائلة وبالرغم عن هذه الشروط القاسية فان تقدماً عظيماً قد طرأ على الحالة الصحية وعلى رعاية الأطفال مما أفضى الى نقص بيّن في نسبة الموت . أقول ولا أظن أن احصاء دائرة المعارف المذكور ينطبق على حالة السكن وأزمته في الوقت الحاضر بعد ما رأيت الكثير من وحدات السكن تمتد على مد ماتقدم وهي مؤلفة من مئات من البيوت التي لاينقصها شيء من وسائل الرفاه العصري .

وقد أدخل في برنامج التعمير سنة ١٩٤٧ تشييد الأبنية العديدة الطوابق (Multi-storied) نظير ناطحات السحاب في الولايات المتحدة ، وأشهر هذه الأبنية جامعة موسكو ويتألف جناحها المركزي من ٣٢ طابقاً (وسيأتي وصفها في مقال آخر) وأبنية الوزارات في (Lermontov) و (Kotelnicheskaya) وغيرهما من الأبنية التي يزيد عدد الطوابق فيها على ٢٠ ويميل المهندسون السوفيت الى التفنن في المظهر الخارجي والتزيين ، وهي ولا شك من أجمل الأبنية وأحسنها مظهراً وإن شابهت في الظاهر مثيلاتها في البلاد الغربية . ونرى هذا التفنن والتنويع في المظهر الخارجي في الأبنية العامة الأخرى كمحطات سكك الحديد ومحطات المترو خاصة . فبمثل هذه الأبنية وبوحدات السكن السالفة الذكر قد تغير وجه موسكو وبدأ يتطور سنة بعد سنة .

وتكثر التماثيل في شوارع موسكو وحدائقها العامة وهي في الغالب تماثيل شخصيات الثورة والعسكريين وكبار الأدباء والشعراء الذين هيأوا السبل لها أما تماثيل الزعيمين لينين وستالين فلا تقع تحت حصر ناهيك باللوحات العديدة التي تمثلها في حالات مختلفة والتي لا يخلو منها أي مكان .

والشوارع كلها مفروشة بالاسفلت والرئيسية منها لها في جانبيها رصيفان لا يقل عرض بعضها عن ١٠ أمتار مخصصة للمشاة أما السيارات فلها ثلاث طرق فما كان منها في الجانبين فهو للسيارات العامة كل واحدة منها لأحد الاتجاهين في السير والثالثة بينهما مخصصة لسير سيارات الاسعاف والحريق بحيث لا يخل مرور هذه بأقصى السرعة مرور السيارات الأخرى في الجانبين . وربما كان هذا الطراز من التنظيم هو الوحيد من نوعه ولم أر مثيله في العواصم الكبرى التي زرتها .

وطبيعي أن لا يعرقل سير السيارات على نحو ما ذكر ، سير المشاة الذين لا يتخلون أبداً عن الرصيف مع المحافظة التامة على نظام السير ، وما إن

يصل هؤلاء الى قرب مفترق الطرق إلا وترهم شاخصة أبصارهم الى اشارات السير الكهربائية حتى إذا ما آذنت هذه بالمرور رأيت عشرات من الخلق بين رجال ونساء وأطفال تمر بنظام بديع ·

ويتم تنظيف الشوارع بين كنس وغسل في الصباح الباكر من كل يوم وذلك بمعونة الآلات الضخمة العديدة حتى ان شارعاً كبيراً كشارع غوركي لا يستلزم تنظيفه أكثر من ساعة ونصف الساعة · هذا في الصيف أما في الشتاء فان الآلات ذاتها تضاف اليها أجزاء جارفة تجرف الثلج عن الطرق في الصباح الباكر أيضاً · وقد سمعت أن في موسكو زهاء ألفين من هذه الآلات · وكثيراً ما رأيت قبيل منتصف الليل وأنا عائد الى الفندق مشياً من يقوم على ذر الرمل على الرصيف المستور بالثلج وفيهم بعض النساء تسهيلاً لمرور المشاة ·

والأشجار الباسقة في جانبي الطرق يبدو بعضها حديث العهد ، ويعنى القوم بغرس الأزهار وتنسيقها تنسيقاً بديعاً ولا سيما في الحدائق العامة التي لا يكاد يخلو منها أحد الشوارع الكبيرة بتم ترتيبها على ذوق سليم · ولعلّ حديقة بوشكين (Pushkin) التي أنشئت مؤخراً من أجمل تلك الحدائق الغناء فيها البحيرات والنوافير الجميلة التي يسقط منها الماء على هيئة شلالات بهيجة ناهيك بالممرات الجميلة بين الخمائل والرياحين · وانه ليزيد في جمال المنظر ما كان من الشوارع الفسيحة على ضفتي نهر موسكوا أو القناة التي وصلت ما بين نهري الولغا وموسكوا حيث ترى جموعاً من المتنزهين والمتنزهات على تلك الأرصفة الواسعة في جانب الجالسين والجالسات على المقاعد العديدة · وكان من أثر شق القناة المذكورة اتساع حركة العمران ووصل موسكو بالبحار الخمسة كما سيأتي بيانه وضمان ما تحتاج إليه العاصمة من ماء وقد قدر بمليون ليتر في الدقيقة ·

ومن طابع هذه البلاد الخاص أن لا ترى أسماء تشير الى أصحاب المخازن

الكبيرة والمتاجر المختلفة في جانب الشوارع ولا أسماء القائمين على إدارتها ، وتعرف متاجر المخازن والمتاجر لكل حرفة من الحرف بأرقامها المتسلسلة ، فالصيدليات مثلاً تجد في الشارع الفلاني الصيدلية ذات الرقم ١١٠ وفي غيره الصيدلية ذات الرقم ١٥٠ وكذلك المكتبات والبقاليات ومخازن المأكولات لكل من هذه رقمه الخاص الذي يعرف به ، وواجهات متاجر المأكولات تحوي نماذج مصنوعة من الشمع تمثل الأصناف التي تباع في داخلها كاللحم والبيض والخضراوات وما إليها . والمدارس وقد زرنا إحداها في ضواحي موسكو كان رقمها ٧٠٣ وقيل لنا إن في موسكو ٧٢٠ مدرسة ثانوية مثلها .

وساعات العمل وأوقات الدوام في هذه المحلات التجارية وفي دوائر الحكومة والمؤسسات العامة موحّدة تختلف في بلاد الاتحاد السوفيتي عنها في البلاد الأخرى . يبدأ العمل فيها كلها في الساعة العاشرة ويتوقف في تمام الساعة الثانية ليستأنف من من الساعة الرابعة حتى الثامنة . ويستثنى من ذلك باعة المواد الغذائية من ألبان ومشتقاتها ومخابز وما إليها فان العمل فيها يبدأ من الصباح الباكر . وإن من المشاهد المألوفة في بلاد الاتحاد السوفيتي الكبيرة وأخصها موسكو أن ترى جمعاً من الناس بين رجال ونساء ينتظمون أمام تلك المخازن والمتاجر وغيرها بما فيها دور اللهو والمسارح على شكل حبل (ويسميه الغربيون ذيلاً Queue) قد يبلغ من الامتداد والطول حداً كبيراً . فترى الحبل أمام بائع اللبن في الصباح الباكر وفي الشتاء القارس ، وترى مثله بعد الظهر أمام المخازن الكبيرة قبيل وقت افتتاحها حتى إذا آن وقت هذا الافتتاح في تمام الساعة الرابعة على الضبط فتح الباب ودخل أفراد ذلك الجمع بكل هدوء وسكون ، ولو أتيح لك أن تتابع طريقة العمل في داخل أحد تلك المخازن لرأيت أن أولئك المشترين يذهب كل منهم الى قسم الصنف الذي يود شراءه وما هي إلا دقائق حتى تتألف حبال أخرى أمام البائع فيتقدم كل واحد ويشتري ما يريده

(بالسعر المحدود) فيعطيه المشرف على البيع ورقة تبين الصنف المشترى وثمنه فيحملها الشاري ليأتي أمام مكتب الصندوق فينتظم في حبل آخر منتظراً دوره حتى اذا بلغه دفع الثمن واسترد الورقة التي أشير فيها الى دفع الثمن وعاد الى بائع الصنف الأول واقفاً في عداد أفراد حبل آخر ليقدم في حينه الورقة الموقعة من الخازن ويستلم الصنف المشترى ويخرج بعدئذ من هذه الجولة غير القصيرة بسلام متأبطاً ما اشتراه ، وينتظم القوم في هذه الحبال أو الأذيال داخل المخازن أو خارجها مثنى مثنى ولا ترى أحداً يسابق الآخر . وإن وقوفهم الطويل وانتظارهم المديد وصبرهم على ذلك قد أصبح مضرب الأمثال بين الأمم الأخرى ومدعاة للتنكيت حتى قال أحد الظرفاء الأجانب عن الشعب السوفيتي أنه يقسم ساعات يومه أثلاثاً : ثلث للعمل وثلث للنوم والثالث للانتظام والوقوف في تكوين الحبال . وإن من أطول الحبال التي شاهدناها (وكنا في عداد أفراده) ما كان مؤلفاً استعداداً لزيارة ضريح لينين وستالين في الساحة الحمراء وسيأتي وصفه حين ذكر الكرملين والساحة الحمراء .

وإن مما ينتبه اليه الغريب عن هذه الديار أمارات الجد والهدوء البادية في حركات أهلها وسكناتهم ، فانك لا ترى أبداً من يقهقه في قارعة الطريق حتى ولا من يبتسم اللهم إلا إذا كان حدثاً ، فضلاً عن أن ترى سكران أو معربداً ولو كان طوافك في المربع الأخير من الليل . وطابع الجد الغالب عليهم يتجلى بأجلى مظاهره عندما تحضر إحدى المسرحيات الهزلية ، وأذكر اننا حضرنا مرة المسرح الذي يعرف بكوكلي (Kokli) ويعرف بالفرنسية بـ (Mariónette) وأبطال التمثيل فيه دمى كبيرة بحجم الإنسان الكهل يحركها ويسيرها من تحت المسرح فنانون مهرة حتى ان المشاهد لتلك الدمى وهي تمثل الأدوار الدقيقة (بما فيها الشعوذة) باتقان خارق ليشك في حقيقة أمرها ، وإن المفاجئات التي لا بد وأن تتخلل ذاك التمثيل الهزلي لما يضحك

الشكلي ، ومع ذلك فانك إن سمعت أو رأيت في القاعة الفسيحة المكتظة بالحضور أحداً يضحك بملء فيه فتأكد أنه ليس من أهل البلاد بل هو أحد السياح الأجانب .

ولباس أهل هذه العاصمة تغلب عليه البساطة فليس للأناقة فيه أثر إن في الشوارع أو في المسارح (ولا سيما دور الأوبرا) أو في الأعياد (وقد شهدنا أحدها) . فاذا ظننت (وللك الحق) أن من يقع عليه نظرك من المارة في الطرق هم عمال كادحون أو من ذوي الأشغال الذين ليس لهم أن يتأنقوا في الملبس ، فما بالك بشهود السهرات ولا سيما في الأوبرا حيث اعتاد الغربيون أن يأخذوا أحسن زينتهم فيها ، واني لأذكر في باريز مثلاً كيف يشترط على شهود بعض المسارح ولا سيما الأوبرا لباس السهرة الخاص بالرجال والنساء على السواء وسمعت رد المشرفين عليها من لم يلبس اللباس المطلوب وإعادة ما دفعوه اليهم . هذا في المجتمعات الغربية أما في المجتمع السوفيتي فلا أثر لما ذكر مطلقاً ، اللهم إلا أفراد بعض الجاليات الأجنبية إذ يحافظون على ما اعتادوا عليه من لباس خاص في مثل هذه المناسبات . ولا عجب فان الطبقة الارستوقراطية التي اشتهرت بها روسيا القيصرية قد انقرضت عن بكرة أبيها وورثها كبار موظفي الحكومة والمبرزون من العمال لينعموا بنعماء أولئك .

وإن مما يسترعي الانتباه في هذه البلاد مظاهر الحشمة البادية في النساء وفقد الخلاعة ، وأن لا يرى ما أصبح مألوف المنظر في العواصم الكبيرة الأخرى من بنات الهوى اللواتي يتفنن في نصب الأشراك لتصيد طلاب اللذة الأثيمة ، شأن ما هو شائع في حي مونمارتر بل وفي جميع شوارع باريز عندما يرخي الليل سدوله ، ودائرة بيكاديلي في لندن ، وجوار المحطة الكبيرة في روما ، نعم لا أثر لمومسات المحترفات في موسكو ولينينغراد وغيرهما من المدن السوفيتية الكبيرة . وقد أعجبني ما كتبه القسيس الانكليزي (Mervy Stockwood) [1]

---

(١) في كتاب له عنوانه ذهبت الى موسكو (I went to Moscow) طبع في لندن سنة ١٩٥٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أذهله ما لاحظه من فقد المومسات في بلاد الاتحاد السوفيتي مقايساً ذلك بما اعتاد أن يراه في لندن من كثرة بنات الهوى الآخذة بالزيادة سنة بعد سنة ، فسأل السفارة البريطانية في موسكو وقد أكدت له صواب ملاحظته بأن لا أثر ظاهراً للدعارة في هذه البلاد ويمضي قائلاً : لا أدعي أن من يود من الرجال استجابة رغبته الشهوانية أن يعدم الواسطة أو لا يجد السبيل اليها ، ولكن ليس بوسع أحد من الناس أن يظهر هذه الرغبة على ملأ الخلق . ولما سألت دليلي (كلام القسيس) إلى أي شيء يعزو انطفاء جذوة البغاء في هذه البلاد أجابني بقوله إن على النساء أن يشتغلن أحد الأشغال ويقمن ببعض الأعمال ولا حاجة لهن للكسب من قارعة الطريق ، وان الشرطة لتقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه أي عمل مخل ليرسل الى أحد مراكز التهذيب والتثقيف ، وأحر بنا (كلام القسيس) أن نتعلم من السوفيت ، إن حالة لندن لمعيبة ولا لوم على الغرباء بكل ما يظنون بنا ، لقد حان الوقت للحكومة أن تسلك الخطة القويمة ، وينبغي جعل البغايا في بيوت يتاح لهن فيها التدريب ليخرجن منها وهن نافعات في المجتمع ، عوضاً من فرض العقوبة الطفيفة عليهن ، وعلى القصاص أن يكون وفاقاً للذنب كالسجن مدى الحياة لمن يتخذ الدعارة مهنة تجارية . ويختم كلمته أخيراً بقوله - اني لآسف ان حكومة لادينية قد نجحت فيما أخفقت فيه حكومة مسيحية .

وانه لتدعم صيانة الأخلاق العامة بما رواه القسيس نفسه بعد نزوله من الطائرة التي أقلته الى موسكو عندما فتشت حقائبه في المرفأ الجوي من أن التفتيش المذكور لم يقتصر على ما قد يحمله من بضائع تخضع لرسوم المكس بل تعداه الى ما قد يكون في تلك الحقائب من كتب ومجلات وصحف ، ويقول القسيس لم تكن الغاية من هذا التنقيب الخشية من الشؤون السياسية وحدها بل قد خصص بما اشتهرت به الصحافة الغربية من دناءة (كذا) ولا يسمح للصحف السوفيتية أن تذكر أخبار الجرائم الأخلاقية ولا أثر فيها للصور الشائع نشرها

في المجلات الانكليزية وقد أخبروني (قول القسيس) عن الوصمات غير اللائقة التي يصمون بها صحفنا ولا سيما بعض الصحف الصادرة أيام الأحد . وطبيعي أن يعزو (السوفيت) استثار الغريزة الجنسية الى الخطة الميكانيكية التي يسلكها رأسماليو الصحافة (Press barons) .

والمرافق العامة من ماء جار بارد وحار وكهرباء وغاز وتدفئة غاية في الترتيب والنظام ولا سيما في وحدات السكن الحديثة ، فللتدفئة المركزية التي يعتمد عليها في التغلب على البرد القارس ، مصلحة عامة تشرف على توزيع الماء الحار الى الأبنية المختلفة بأنابيب تجري فيها تحت الأرض ولا حاجة إذن لاستعمال المراجل الموضعية المولدة للماء الحار ولا يقتصر توزيعها على الدور والمخازن فقد لاحظت التدفئة على أتمها في المراحيض والمباول العامة التي يغشاها الناس في شوارع المدينة . والكهربائية كثيرة الينبوع للاستعمالات البيتية على اختلاف أشكالها ، وكذلك الغاز الذي لا يزال يعتمد عليه بالتدفئة في الدور القديمة التي لما يسعدها الحظ بامتداد أنابيب الماء الحار اليها .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووسائل النقل العام والمواصلات تتلاءم وعظمة العاصمة تماماً ففي جانب السيارات الصغيرة المعدة للأجرة (تاكسي) ولها مواقعها الخاصة في الشوارع الكبيرة ، والسيارات الخاصة الآخذة في الزيادة بعد أن تحول انتاج معامل السيارات من الانتاج الحربي الى الانتاج المدني ، في جانب هذه وتلك الباصات الاعتيادية والباصات المسيرة بالطاقة الكهربائية (Trolley - Buses) دون خطوط حديدية وعلى عجلات من المطاط والترام (الحافلة الكهربائية) ثم المترو (Metro) والبواخر الجواري في الأنهار والقنوات . فالحافلات الكهربائية آخذة في الزوال (شأن الحال في معظم المدن الغربية) وتخلفها الباصات الكهربائية والباصات العادية ولكنها الخطوط العديدة وكلها نظيفة وتسير بنظام دقيق . ويعد المترو من مفاخر هذه العاصمة إذ بذت به أمثاله في العواصم الأخرى قاطبة لا بنظافته ودقة العمل فيه

فحسب بل بفخامة التصميم ومظاهر الترف الماثلة في محطاته البادية فوق الأرض وفي مماشيه الفسيحة المحفورة تحت الأرض . فقد بدئ بانشاء الخطوط الحديدية تحت الأرض في سنة ١٩٣٢ تخفيفاً للازدحام الذي بدا في وسائل النقل المختلفة في جانب السرعة الفائقة في التنقل بين أجزاء المدينة المختلفة ورخص الأجرة . واقتصر امتداد الخطوط الأولى على ما وصل ما بين المرافق العامة كمحطات سكك الحديد والحدائق العامة والمسارح وبين مركز العاصمة بأقصر طرق الوصول وتم الانشاء سنة ١٩٣٥ واتسع بعدها نطاق شبكة المواصلات هذه حتى خلال الحرب الوطنية (هكذا يسمون الحرب العالمية الثانية) مما جعلهم يشيرون الى ذلك في بعض الأماكن من الخط المذكور . ومحطات المترو حري بها أن تدعى بالقصور لفخامة مظهرها وسعة المماشي تحت الأرض وما زينت به جدرانها من رخام وتماثيل ولوحات التصوير ناهيك بمحلات بيع المرطبات وبيع الجرائد وبعض المآكل ، وانتظام السير في القطارات والنظافة البالغة في أماكن الجلوس ، والسرعة التي تبلغ فيها ٦٠ كيلومتراً في الساعة . وقد أحصي عدد الركاب اليومي فبلغ مليونين . وقد شاهدت هذا الترتيب البديع عندما ركبت فيه مع رفاقي من المحطة المركزية الى المحطة القريبة من المفوضية السورية ولم نلحظ أثراً للضوضاء التي ترى عادة في مثل هذه الحال ، ولاحظنا بين الركاب احترام الشباب والشابات للمسنين والمسنات والأطفال وتركهم لهم المقاعد في حال الازدحام .

هذا وإن الصرامة التي تطبق بها القوانين والأنظمة المسنونة قد جعلت الناس يتحاشون المخالفة ، فلم أر ولم أسمع خلال إقامتي في هذه البلاد عن أي حادث اصطدام أو دهس أو سواه مما يكثر حدوثه في البلاد الأخرى . وقد علمت أن إجازة السير التي تعطى الى السائق يتغاضى فيها عن إتيانه بثلاث مخالفات مدى قيامه في العمل يكتفي حيال هذه الثلاث بالجزاء النقدي أو تنزيل المرتب

الشهري ، وفي الإجازة الممنوحة إليه ثلاث دوائر صغيرة يحق للشرطي أن يثقب كل واحدة منها إثر اقتراف السائق إحدى المخالفات ومتى تم ثقب الدوائر الثلاث وأتى السائق بمخالفة رابعة سحبت منه إجازة السوق فوراً وما عليه بعدها إلا أن يرقب مصيره الجديد بأن يكسب قوته من عمل شاق آخر إن في بلده أو في أقصى مجاهل سيبيريا .

وترتبط موسكو بالبلاد الأخرى بشبكة من سكك الحديد عددها ١١ خطاً توصل بينها وبين أقصى البلاد في الشرق . وإن من الخط الحديدي الذي دشن في مطلع عام ١٩٥٤ ما يوصل بين هذه العاصمة وبكين . وتنتهي هذه الخطوط أو تبدأ من محطات أقيمت في إحدى الساحات العامة وعددها ٩ بناؤها أشبه بالقصور ويختلف المظهر الخارجي في كل منها عن الآخر اختلافاً بيناً ، وإن من أقدم هذه المحطات محطة (Leningradsky) وقد سافرنا منها الى لينغراد ومضى على تشييدها أكثر من مائة عام وأحدثها محطة (Kazansky) وهي أوسعها وأفخمها تمتاز بما تحويه من غرف عديدة للانتظار مع وسائل الراحة الكاملة لآلاف من الركاب ولهذه المحطة فندقها الخاص في جانب المطعم الأنيق والمخازن المعدة لتنظيف الثياب وترفوها والوحدة الطبية التي تتألف من عدة أطباء وممرضات ومكاتب للبرق والهاتف والبريد وباعة المرطبات وغيرها .

ومحطات سكك الحديد لكل منها وسائل النقل المختلفة من حافلات كهربائية وباصات وخطوط مترو في جانب المواقف المخصصة لسيارة الأجرة العديدة .

والخطوط الحديدية التي تربط العاصمة وضواحيها مسيرة بالطاقة الكهربائية ، بينما الخطوط الطويلة لا تزال تسير بالوقود واستبدال هذه بالكهربائية آخذ بالامتداد سنة بعد أخرى وسيأتي وصف داخل هذه القطارات عند ذكر سفرنا من موسكو الى لينغراد والعودة منها .

وينضم الى وسائل النقل البرية المذكورة وسائل النقل النهرية التي تنشط في فصل الصيف ففي سنة ١٩٥٢ افتتحت القناة التي توصل بين نهري الولغا(Volga) ودون (Don) وبها تم ربط موسكو ببحار أوروبا الخمسة جاعلة إياها مرفأً لها . ومع شق هذه القناة فقد عُمق نهر موسكوا حتى أصبح صالحاً للملاحة النهرية ، وتوفرت به المياه الغزيرة التي تحتاج اليها العاصمة لأجل شؤون المدينة أو لمعاملها المختلفة ، وبالسدود السديدة التي أنشئت أمكن توليد الطاقة الكهربائية المستعملة في الشؤون المختلفة ، وتوفر نقل المحاصيل الزراعية والبضائع المختلفة بأقصر الطرق وأقلها كلفة .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهل الكهف

في غرناطة ودمشق وبزنطية

وجدتُ، أثناء اشتغالي بوضع فهرس عام للمخطوطات العربية في اسبانية، مخطوطاً في المكتبة الوطنية بمدريد، اسمه «كتاب الجغرافية في مساحة الأرض وعجائب الأصقاع والبلدان»[1] لم يثبت اسم مؤلفه عليه، ولكن تبيَّن لي من قراءة المخطوط أنه أُلِف في القرن السادس الهجري. وقد ساق المؤلف فيه نصاً ذا شأن، يدلّ على أن الرواية الشعبية في غرناطة وما جاورها، في القرن السادس، كانت تذكر أن بقرب غرناطة كهفَ الرقيم، وأن فيه أهلَ الكهف.

وقد لفت هذا النص انتباهي، لأن الرواية الشعبية تذكر أيضاً في دمشق، حتى أيامنا هذه، أن أهل الكهف هم في سفح قاسيون، كما أن المصادر المختلفة تذكر أن أهل الكهف هم في بزنطية أو غيرها من البلدان.

إن تعدّد مكان مقدّس واحد في بلدان مختلفة ظاهرة تثير الانتباه. وأكثر الأماكن تعدّداً ما كان له صبغة دينية مقدّسة كقبور الأنبياء، وقبور بعض الصحابة، وقبور بعض آل البيت.

ففي دمشق يوجد رأس يحيى بن زكريا، وفي حلب أيضاً.

ويقولون إن في مسجد دمشق قبر هود، ويذكر ياقوت أنه بحضرموت.

ويزعمون أن في الكثيب الأحمر، قرب مسجد القدم، قبر موسى، ويقولون إنه في فلسطين.

---

(١) انظر: F. G. Robles. *Catalogo de los Manuscritos Arabes existentes en la Biblioteca Nacional de Mabrid*. p. 60, No CXXI

ويجعلون قبر عائشة في قبة المال الغربية بمسجد دمشق ، وفي البقيع .
وقبر سكينة بنت الحسين بدمشق وفي المدينة [١] .
الى غير ذلك من الأمثلة .

وتفسير ذلك أن كل بلدة من البلدان الإسلامية كانت تريد أن تختص بفضل يجعلها مباركة أو مقدسة أو متقدمة على غيرها . وهذا لون من ألوان التنافس بين البلدان الإسلامية الذي ظهر على أشكال مختلفة [٢] . فليس من الغريب أن تتعدد أماكن الكهف فتدعيه دمشق ، وغرناطة ، والبلقاء ، وبزنطية وغيرها .

ونود أن نقدم هذا النص المتعلق بكهف جبل شنيل قرب غرناطة ، ثم نقايسه بما ورد من نصوص تتعلق بكهف دمشق وكهف بزنطية .

قال مؤلف الكتاب :

« وفي أسفل هذا الجبل (هو جبل شنيل) ، من ناحية المغرب ، مدينة غرناطة عمرها الله . وهي مدينة عظيمة من أحسن بلاد الأندلس ، ويقرب منها باثني عشر فرسخًا الكهف الرقيم . وصورة هذا الكهف جرف عال ..... وفيه خمس (كذا) أناس من بني آدم ، قد يبست جلودهم على أعظامهم ، إذا نقر من أحدهم طن طنينًا كالنحاس ، قد تقشّر من بعض جلودهم شيء بتقليب الناس لهم ، إلا الأوسط منهم فإنه لم يتقشر . والكل منهم قائم الذات لم ينفصل من أحدهم عظم واحد . وعند الأوسط منهم عظام كلب .

قال مؤلف هذا الكتاب : رأيتُ هذا الكهف عام اثنين وثلاثين وخمس مئة ، وعلى هؤلاء الأشخاص ملحفة من الكتان ، وعلى رأس كل واحد منهم شاشية . وهم في خلقتهم أعظم ما يكون من الناس في هذا الزمان . وقد يبسوا . وأما (آخر ص ١٧ من المخطوط) حين كانوا أحياء كانوا والله أعلم في أعظم خلقة .

---

(١) انظر عن هذه الأمثلة ياقوت ، معجم البلدان (مادة دمشق) ؛ والهروي في الزيارات ؛ والربعي في فضائل الشام ودمشق ؛ والعدوي في كتاب الزيارات

(٢) انظر ألوانًا أخرى من التنافس في مقدمتنا لكتاب فضائل الشام ودمشق للربعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال المؤلف : قد عددتُ عظام هذا الكلب فلم ينقص شيء • ولقد رأيتُ في فقار ظهره ثلاثة أو أربعة (كذا) منفصلة ، ومن مفاصله كذلك • ولولا تقليب الناس لهم ما تناثر من عظامهم <شيء> غير أنها لم تأكل الأرض منها شيء • • •

وذكر أهل التاريخ : لما دخلوا المسلمين (كذا) الأندلس عام احدى وتسعين سألوا الروم عن الكهف والذين فيه • فقال علماء الروم والأساقفة : ما لنا بهم علم • غير أن آباءنا وأجدادنا أخبرونا أنهم لما دخلوا هذه البلاد سألوا أهلها عنهم ، فما كان فيهم من يعرف لهم خبرا ، وقالوا : هكذا وجدناهم حين دخلنا هذه الأرض • • • • • •

قال المؤلف : من أعجب ما رأيتُه ، ومن أغرب ما أبصرتُه في هذا الكهف ، أمرٌ إذا نُظر اليه بعين البصيرة ودُبّر بالعقل ظهر فيه برهان أهل الكهف • وذلك أنه اجتمع في مدينة لوشة ـ وهي على مقربة من هذا الكهف ـ أقوام من أهل الفساد ، فجعلوا جعلاً لمن يمشي لهذا الكهف ويأتيهم بامارة واضحة • وكان هذا كله بالليل • فخرج منهم رجل من أهل غرناطة فقطع أذن الأوسط وأتى بها الى أصحابه • فعندما دخل عليهم بالأذن صاح صائح حتى ارتعدت له لوشة ولم يبق فيها صغير ولا كبير إلا استيقظ ، وصاحبُ الصوت يُنادي : قد قُطعتْ أذن يمليخا من أهل الكهف ، وارتجّت المدينة لذلك ، وأتى الناس كأنما قادهم قائد الى ذلك • فأخذوا الأذن منهم • وأخذ القومَ محمدُ بنُ سعادة ، وكان يومئذ صاحب الشرطة ، فضربهم بالسياط حتى هلكوا • فلما أصبح الله بخير الصباح سار محمدُ بن سعادة وجماعةٌ من الناس معه الى الكهف فوجدوا أذن الواحد منهم قد قُطعت ، وهو المعروف بيمليخا ، فخاطوها في موضعها ، وأمر محمد بن سعادة ببنيان الرقيم الذي كان على رأس الكهف • وذلك أنه كان عليه أثر مسجد قد دثر • فأقامه محمد بن سعادة وردّ محرابه الى القبلة •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذلك في آخر عام اثنين وثلاثين وخمس مئة . (آخر ص ١٨ من مخطوط) اهـ .

فيظهر من هذا النص أن الناس بلوشة وما جاورها كانوا يعتقدون أن هؤلاء أصحاب الكهف ، وأن محمد بن سعادة [1] صاحب الشرطة أعاد بناء الكهف والمسجد . وأن علماء الروم وأساقفتهم كانوا لا يعلمون من خبرهم شيئاً عندما دخل المسلمون الأندلس عام ٩١ هـ ، وإنما سمعوا من آبائهم وأجدادهم أنهم وجدوهم على حالتهم تلك . ومعنى ذلك أن نسبة المكان الى أصحاب الكهف ، واعتبار الموتى فيه أصحابَ الكهف المذكورين في القرآن من صنع المسلمين أنفسهم بتأثير ما ورد في القرآن الكريم [2] .

★

أما كهف دمشق في جبل قاسيون ، فما تزال الرواية الشعبية ، المتداولة على ألسنة العامة ، تذكر أنه الرقيم ، وأن فيه أصحاب الكهف . وقد جاءت النشرة الجديدة لتاريخ دمشق تبطل هذه الرواية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس بين أيدينا نصوص تصف هـذا الكهف وأصحابه ، إلا ما ذكره ابن عساكر [3] . ومنه يظهر أن الكهف بُني في سنة ٣٧٠ هـ ، بناه أبو الفرج محمد بن عبد الله المعروف بابن المعلّم ، المتوفى سنة ٤١٠ هـ . وعندما عدّ أبو الحسين الرازي الآثارات بمدينة دمشق [4] لم يجعله فيها لأنه لم يكن بُني بعد . وكان اسمه كهف جبريل وكهف محمد . وعندما بدأ المقادسة يسكنون جبل قاسيون

---

(١) ترجمه ابن الأبار في التكملة . رقم الترجمة ٧٤٦ توفي محمد بن سعادة سنة ٥٦٦ هـ

(٢) ذكر ياقوت (مادة الرقيم) أن في برّ الأندلس أيضاً موضعاً يقال له جنان الورد به الكهف والرقيم أيضاً ، وبه قوم موتى عدتهم ثلاثة عشر رجلاً .

(٣) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، (المجلدة الثانيـــة ، القسم الاول) ص ١١١ – ١١٢ . (تحقيقنا)

(٤) المصدر السابق

كان الكهف فيما وجدوه في السفح [١] • ولم يسمّ قطّ في النصوص القديمة إلا كهف جبريل ، حتى في المصادر المتأخرة ، فقد ذكره النعيمي ثلاث مرات في التنبيه بهذا الاسم [٢] • وكذلك ذكره ابن طولون • أما سبب بنائه فرؤيا رآها ابن المعلم [٣] • وقد تحدّث هو بنفسه عن ذلك فقال :

« بالله أعتصم من الكذب ، وأسأله أن يُنطق لساني بالصدق • رأيتُ جبريل عليه السلام في المنام ، فقال لي : إن الله تعالى يأمرك أن تبني مسجداً يُصلّى فيه له ، ويُذكر اسمُه ، وهو هذا • فقلتُ : وأين هذا ؟ فسار الى هذا الموضع الذي أنا سميتُه كهف جبريل فقال : ها هنا • قلتُ : أنّى لي بذلك ؟ قال : إنّ الله تبارك وتعالى سيوفق لك من يُعينك عليه •

« قال أبو الفرج : وأنا سمّيتُه كهف جبريل عليه السلام ومسجد محمد ﷺ ، رأيتُهما في المنام فيه • وموضعٌ يُرى فيه جبريلُ ومحمد ••• من أجلّ بقاع الأرض • وجبل دمشق هذا ما نبت شجرة قط ولا ظهر فيه ثمرة • فلما رأيتُ جبريل ومحمداً عليهما الصلاة والسلام أنبت الله تعالى ببركتهما الشجر ، وظهر فيه الثمر وأكل الناس ما لم يؤكل فيه قط • وصار مسجداً من مساجد الله تعالى يذكر فيه اسمه •• » اه •

فهذا النص يبطل الرواية الشعبية ، وأعتقد أن وجود كهف في جبل قاسيون ،

---

(١) ابن طولون ، القلائد الجوهرية ١ : ٤١ (تحقيق دهمان ، دمشق ١٩٤٩)

(٢) النعيمي ، تنبيه الطالب (طبع باسم الدارس في تاريخ المدارس ، بتحقيق الأمير جعفر الحسني) ، انظر الزاوية الداودية ، والزاوية العمادية ، والتربة الكاملية

(٣) انظر ترجمة ابن المعلم في الوافي بالوفيات للصفدي ٣ : ٣٢٢ (تحقيق ديدرنغ دمشق ١٩٥٣)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتأثير القرآن في نفوس الناس دعهما الى الاعتقاد بأن الكهف هو الرقيم (*) .

★

في بزنطية

أما كهف بزنطية فقد وردت عنه روايتان ، الأولى عن عُبادة بن الصامت في القرن الأول ، والثانية عن محمد بن موسى المنجم في القرن الرابع . وتختلف الروايتان في تحديد مكان الكهف . فيجعله عُبادة في جبل أحمر بالقرب من قسطنطينيّة ، وتجعله الرواية الثانية بين عمّورية ونيقية على عشرة أيام من طرسوس .

الرواية الأولى : يقول عبادة :

« بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، سنة استُخلف ، الى ملك الروم أدعوه إلى الإسلام أو آذنه بحرب . قال : فسرتُ حتى دخلتُ بلد الروم . فلما دنوتُ الى قسطنطينيّة لاح لنا جبل أحمر قيل إن فيه أصحاب الكهف والرقيم . فوصلنا الى دير ، وسألنا أهل الدير عنهم فأوقفونا على سرب في الجبل . فقلنا لهم : إنا نريد أن ننظر اليهم . فقالوا : أعطونا شيئاً . فوهبنا لهم ديناراً . فدخلوا ودخلنا معهم في ذلك السرب . وكان عليه باب حديد . ففتحوه ، فانتهينا إلى بيت عظيم محفور في الجبل ، فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود ، وعلى كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بها رؤوسهم الى أرجلهم ، فلم ندر ما ثيابهم أمن صوف أو وبر أم غير ذلك ، إلا أنها

(*) ليس الكهف هو الرقيم ، لا في القرآن الكريم ، ولا على ألسنة الناس ؛ بل قال المفسرون : الكهف : النقب المتسع في الجبل ، وما لم يتسع فهو غار ؛ قال القرطبي بعد أن سرد روايات في معنى الرقيم : ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قوماً مؤرخين للحوادث وذلك من نبل المملكة وهو قول مفيد . وهذه الأقوال مأخوذة من الرقم ومنه كتاب مرقوم .
وكيف يكون الكهف نفس الرقيم في القرآن وقد عطف فيه الثاني على الأول ، والعطف يقتضي التغاير ؟ فالكهف غير الرقيم (لجنة المجلة)

كنت أصلب من الديباج . وإذا هي تقعقع من الصفاقة والجودة ، ورأينا على أكثرهم خفافاً الى أنصاف سوقهم وبعضهم متنعلين بنعال مخصوفة ، ولخفافهم ونعالهم من جودة الخرز ولين الجلود ما لم نر مثله . فكشفنا عن وجوههم رجلاً بعد رجل ، فاذا بهم من ظهور الدم وصفاء الألوان كأفضل ما يكون للأحياء ، واذا الشيب قد وخط بعضهم ، وبعضهم شبان سود الشعور ، وبعضهم موفورة شعورهم ، وبعضهم مطمومة ، وهم على زي المسلمين . فانتهينا الى آخرهم ، فاذا هو مضروب الوجه بالسيف ، وكأنه في ذلك اليوم ضرب . فسألنا أولئك الذين أدخلونا عن حالهم ، فأخبرونا أنهم يدخلون اليهم في كل يوم عيد لهم ، يجتمع أهل البلاد من سائر المدن والقرى الى باب الكهف فنقيمهم أياماً من غير أن يمسّهم احد ، فننفض جباههم وأكسيتهم من التراب ، ونقلّم أظافيرهم ، ونقص شواربهم ثم نضجعهم بعد ذلك على هيئتهم التي ترونها . فسألناهم : من هم وما أمرهم ومنذ كم هم بذلك المكان ؟ فذكروا أنهم يجدون في كتبهم أنهم بمكانهم ذلك من قبل مبعث المسيح عليه السلام بأربعمائة سنة ، وأنهم كانوا أنبياء بعثوا بعصر واحد ، وأنهم لا يعرفون من أمرهم شيئاً . » [1]

إن هذه الرواية منقولة عن عبادة بن الصامت . وعُبادة هو ـ كما هو معروف ـ أحد النقباء الاثني عشر . ويذكر ابن سعد [2] انه « خرج الى الشام حين غزاها المسلمون فلم يزل بالشام الى أن توفي » في الرملة من أرض الشام سنة أربع وثلاثين . وورد أنه ذهب الى فلسطين ، أرسله اليها عمر ليعلّم أهلها القرآن فأقام بها الى أن مات [3] . وذكر أن عمر وجهه الى الشام قاضياً ومعلماً

---

(١) انظر ياقوت ، معجم البلدان (مادة الرقيم)
(٢) ابن سعد ، الطبقات ٣ / ٢ : ١١٣
(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥ : ١١٢

فأقام بحمص ثم انتقل الى فلسطين ومات بها [١] ولكننا لم نجد من ذكر أمر إرساله الى ملك الروم ٠

وأما الرواية الثانية فنقلها محمد بن موسى – وكان الواثق وجهه الى بلاد الروم للنظر في أصحاب الكهف – قال : فوصلنا الى بلد الروم ، فاذا هو جبل صغير قدر أسفله أقل من ألف ذراع ، وله سرب من وجه الأرض ، فتدخل السرب فتمر في خسف من الأرض مقدار ثلاث مئة خطوة فيخرجك الى رواق في الجبل على أساطين منقورة ٠ وفيه عدة أبيات منها بيت مرتفع العتبة مقدار قامة عليها باب حجارة فيه الموتى ورجل موكّل بهم يحفظهم معه خصيّان ، واذا هو يحيدنا عن أن نراهم ونفتشهم ويزعم أنه لا يأمن أن يصيب من التمس ذلك آفة في بدنه ٠ يريد التمويه ليدوم كسبه ٠ فقلت : دعني أنظر اليهم وأنت بريء ٠ فصعدتُ بشقة عظيمة غليظة مع غلام من غلماني فنظرت اليهم ، وإذا هم في مُسوح شعر تتفتت باليد واذا أجسامهم مطلية بالصبر والمرّ والكافور ليحفظها ، وإذا جلودهم لاصقة بعظامهم ٠ غير أني أمررتُ يدي على صدر أحدهم فوجدتُ خشونة شعره وقوة ثيابه ٠ ثم أحضرنا المتوكل بهم طعاماً وسألنا أن نأكل منه ، فلما أخذناه منه ذقناه وقد أنكرت أنفسنا وتهوّعنا ، وكأنّ الخبيث أراد قتلنا ، أو قتل بعضنا ليصحّ له ما كان يموّه به عند الملك أنه فعل بنا هذا الفعل أصحابُ الرقيم ٠ فقلنا له : إنا ظننا أنهم أحياء يشبهون الموتى وليس هؤلاء كذلك ٠ فتركناه وانصرفنا [٢] ٠

وهذا النص لا يذكر عدد أصحاب الرقيم ولا يذكر كلبهم ٠ فضلاً عن أن قول محمد بن موسى « ظننا أنهم أحياء يشبهون الموتى » يشعر بأنهم لم يؤمنوا بأنهم أهل الكهف ٠

(١) ابن العماد ، شذرات ١ : ٤٠

(٢) ياقوت ، معجم البلدان (مادة الرقيم)

وإذا استبعدنا دمشق ، لأن النص الذي نقلناه واضح أن الكهف الذي في جبلها كهف جبريل ، نجد أن النصوص التي نقلناها عن كهف غرناطة ، وكهف جبل الورد ، وكهفي بزنطية متضاربة . تتضارب في عدد الموتى ، ووجود الكلب وفقدانه ، وملابس الموتى ، وهيئاتهم ، وأماكن وجودهم . ولقد أنكر ياقوت - مثلاً - أن يكون عددهم ثلاثة عشر نفرا . والصحيح أن أصحاب الكهف سبعة ، وإنما الروم زادوا الباقي من عظماء أهل دينهم وعالجوا أجسادهم بالصبر وغيره على ما عرفوه .. »

وكل ذلك يدل على أن مكان وجود الكهف غير ثابت . وأغلب الظن أن المسلمين ، كانوا ، بتأثير القرآن الكريم ، يحسبون كل كهف وجدوه في بلد من البلدان رقيماً ، ويظنون الموتى الذين يصادفونهم في الكهوف والمقابر الرومانية القديمة أصحاب الكهف المذكورين في القرآن . ومن هنا تعددت الأماكن ، وتعدد أصحاب الكهف .

الدكتور صلاح الدين المنجد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ياقوت الكلام في ما ناب الشام

لابن حجة الحموي

المقدمة

وقعت الفتنة عام ٧١٩ هـ بين الملك الظاهر برقوق [1] وبين نائب حلب يلبغا الناصري الذي انضم اليه تمربغا الأفضلي المدعو منطاش نائب ملاطية . وتفاقم أمر العصاة حتى انهم تقدموا الى القاهرة وخلعوا السلطان وسجنوه في قلعة الكرك . ثم أعيد الصالح حاجي بن الأشرف للسلطنة ولقب بالمنصور . واختلف منطاش مع يلبغا ؛ فبينما كان الأول يود أن يأمر بقتل برقوق في سجنه ، كان الثاني يعارض في ذلك ولم يلبث يلبغا أن سجن بأمر منطاش .

واستطاع السلطان برقوق أن يتخلص من سجنه ليجمع الأعوان ، وسار يريد دمشق . فهزم متولي نيابتها جنتمر أخو طاز بشقحب [2] قرب دمشق ، واستمال كثيراً من أمراء الشام فانحازوا اليه ، وصار في عسكر كبير فنزل على قبة يلبغا وقد امتنع أهلها بها وبالغوا في تحصينها لحصرها وأحرق القبيبات وخربها ، وأهلك خلقاً كثيراً ، وجدّ أهل المدينة في قتاله ، واستمر جنتمر يقاوم من القلعة .

وعندما ورد الخبر الى منطاش خرج من القاهرة ومعه الخليفة والسلطان المنصور والقضاة والعلماء والجند ، فاضطر برقوق أن يترك حصار دمشق ليصدم العسكر

---

(١) برقوق أول سلاطين دولة المماليك الشراكسة تولى الحكم سنة ٧٨٤ هـ ونحى عن العرش حاجي بن الأشرف آخر ملوك المماليك البحرية . وتوفي برقوق سنة ٨٠١ هـ انظر السلوك .

(٢) انظر السلوك للمقريزي منسوخ سنة ١٣٤٧ هـ على نفقة دار الكتب المصرية عن النسخة الفوتوغرافية المحفوظة لديها برقم ٥٥٤ .

المصري . ودارت الدائرة عليه أولاً ثم أتيحت له فرصة فريدة فاستولى على خيمة الخليفة والسلطان ، وعاملها بالحسنى ، وانضم اليه الجند من كافة النواحي فأسرع بالعودة الى مصر حيث أفرج عن يلبغا ، وأرسله لقتال منطاش وعينه أميراً على دمشق .

وسار الظاهر برقوق الى دمشق وكان يحاصرها منطاش فأسرع هذا بالفرار ودخل السلطان المدينة بحفاوة بالغة لأنه أعلن العفو عن كل الناس ، ثم تقدم الى حلب حيث خان رئيس البدو حليفه منطاش ، فسلمه الى السلطان فعذبه بالكي حتى مات سنة ٧٩٥ هـ . [١]

وتتضمن هذه الرسالة المقروءة على المؤلف ابن حجة الحموي وصفاً رائعاً للحريق الكبير الذي أصاب دمشق أثناء الحصار الذي ضربه عليها السلطان برقوق كما تقدم ذكره . وقد أرسل الرسالة الأصلية الى فخر الدين بن مكانس [٢] ناظر دولة المماليك الشراكسة في القاهرة .

والرسالة تعطينا صورة حية نادرة المثال ، واضحة مؤثرة عن فاجعة الحريق الذي أصاب دمشق الجميلة ومحلاتها ، وأنهارها ، ومتنزهاتها ، وينتقل إلى رثائها ومقابلة حالتها الحاضرة المحزنة بما كانت عليه من عيش رغيد ، وظل مديد ، وماء كثير . والمؤلف بريع خلال وصفه في إيراد صور بديعية تحفز الحنين والوجد ، وتلم الذكريات الممتعة الكامنة في نفسه .. فيطوف في دروبها ضائع الخطى ، يحبس اللهفة ، ويبث القارئ شكواه وتشاويقه . وقد ذكر ابن العماد الحنبلي هذه الرسالة في الشذرات فقال فيها إنها (مقامة في نحو عشر أوراق من رائق النثر وفائق النظم وهي أعجوبة في فنها .) [٣] . غير أنه يجعل تاريخ الحريق في شعبان سنة ٧٩٤ هـ بينما الرسالة تذكر أنه كان في سنة ٧٩١ هـ والصحيح

(١) نفس المصدر ٣ : ٥٦٩ وما يليها
(٢) اغتيل بالسم سنة ٧٩٤ هـ انظر السلوك ٣ : ٥١٤ والشذرات ٦ ، ٣٣٤
(٣) شذرات الذهب ٣ : ٣٣٢ القاهرة ١٣٥١ هـ

ما ذكره ابن حجة لأنه شاهد عيان معاصر ، كما أن المقريزي في السلوك وابن أياس في تاريخ مصر يجملانه في سنة ٧٩١ هـ [1] .

يصل كاتب الرسالة ابن حجة الى دمشق فيرى الخريق ، ويطوف بظاهر البلد مبتدئاً من قبة يلبغا وميماً الى الشمال من البلد ، وينحرف الى الشرق فالجنوب منها ويصف أثناء ذلك حالة القلعة والفراديس والسبعة والباب الشرقي فباب كيسان فالباب الصغير ويعود من حيث بدأ .

ثم يذكر الأنهار وانقطاعها والربوة والشرف والوادي . وأخيراً يدخل البلد ليرى المسجد الجامع الأموي ومأذنته العروس وباب البريد ويدور حول المسجد ويسرد أحوال أهل المدينة في كل محلة يمر بها بأسلوب جميل مسجع يحتوي ضروباً من الاستعارة والتورية والجناس والمقابلة والاقتباس والمجاز ... والسجع جمله لا يراعي النحو في نهاية العبارة مما يلحظه القارئ بسهولة .

أما مؤلف الرسالة فهو تقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي ، أديب وشاعر كبير ولد بحماة سنة ٧٧٧ هـ وقدم دمشق ومدح أعيانها واتصل بخدمة نائبها الأمير شيخ المحمودي وقدم صحبته القاهرة . فلما تسلطن قرّبه وجعله من ندمائه ، وعظم في الدولة ومات في حماة سنة ٨٣٧ هـ على ما يذكر ابن العماد [2] .

وقد اعتمدت في نشر هذه الرسالة على النسخة الفوطوغرافية منها الموجودة في خزانة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة والمنقولة عن الأصل الموجود في مكتبة (خدابخش تپنة) بالآستانة .

وتقع الرسالة في ثماني ورقات من القطع الصغير ، في كل صفحة (١٩ سطراً) وطول السطر (٧ سنتمترات) وهي بقلم محمد بن أحمد الملا الحلبي في القرن العاشر أو الحادي عشر . وقد جهدت ، ما وسعني ، إلى إيضاح النص وإثبات ما يحتاج شرحه من الكلمات في ذيل كل صفحة .

أحمد طربين

---

(١) انظر السلوك وابن اياس ١ : ٢٨٢

(٢) انظر الشذرات ٧ : ٢١٩

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال أخبرنا الشيخ أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي ، قراءةً عليه ، وكتب بها الى القاضي فخر الدين بن مكانس بالقاهرة ، وسماها (ياقوت الكلام فيما ناب الشام) وذلك حين كان الملك الظاهر برقوق يحاصر دمشق سنة احدى وتسعين وسبعمائة وحرقت في حصاره المذكور ، وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ [1] يقبل الأرض التي من يممها أو تيمم بثراها حصل له الفخر والمجد . فلا برح هيام الوفود إلى أبوابها أكثر من هيمان العرب إلى ربا نجد . ولا زالت فحول الشعراء تطلق أعنة لفظها وتركض في ذلك المضمار . وتهيم بواديها الذي يجب أن تُرفع فيه على أعمدة المدائح بيوتُ الأشعار . ويُنهي بعد أشواق أمست الدموع بها في محاجر العين مُعثَّرة ، ولو لم يقرأ إنسانها بوصلات الدمع لقات في حقه ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ [2] ، وصول المملوك الى دمشق المحروسة فياليته قُبض قبل ما كتب عليه ذلك الوصول . ودخوله اليها ولقد والله تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول . فنظر المملوك إلى قبة يلبغا [3] وقد طار بها طير الحمام (١ آ) وجثت حولها تلك الأسود الضاربة ، فتطيرت في ذلك الوقت من القبة والطير وتعوذت بالغاشية . ودخلت بعد ذلك الى القبيبات [4] التي صغر اسمها لأجل التحبيب ، فوجدتها وقد خلا منها كل منزل كان آنساً بحبيبه فأنشده لسان الحال : « قفا نبكِ من ذكرى حبيب » [5] . ونظرت بعد القباب الى

---

(١) سورة الإسراء ١٧ : ٥٨

(٢) سورة عبس ٨٠ : ١٧

(٣) قبة ظاهر دمشق ، السلوك ٣ : ٢٦٩

(٤) القبيبات محلة الميدان الفوقاني اليوم

(٥) مطلع معلقة امرىء القيس

المصلى [١] وما فعلت به سكان تلك الخيام [٢] . والتفت الى بديع بيوته التي حسن بناء تأسيسها وقد فسد النظام .

فسالَ ، وقد وقفتُ ، عقيقُ دمعي   على أرض المصلى والقبابِ

ونظرتُ الى ذلك الوادي الفسيح وقد ضاق من الحريق بسكانه الفضا . فتوهمت أن وادي المصلى [١] قد تبدل بوادي الغضا .

فسقى الغضا والساكنيه وإن همُ   شبوه بين جوانحٍ وقلوب [٣]

ونظرت إلى النار وقد أرادت سبي ذلك النادي فشنت عليه من فوارس الغارة . ولقد كان والله ربيعاً لسرح العيون فلم يبق به ربيع ولا عمارة . وركضت في ميدان الحصا [٤] فوجدت اركانه كما قال تعالى ﴿ وقودها الناس والحجارة ﴾ [٥] . ودخلت قصر الحجاج [٦] وقد مدت به النار من ضرورة في موضع القصر . وأصبح أهله في خسر ، وكيف لا وقد صار عبرة لأهل العصر . وتأملت تلك الألسن الجرية وقد انطلقت في ثغور تلك الربوع وكلت السكان . وتطاولت بألسن الأسنة وانغنام [٧] الأتراك فاندهش أهل دمشق وقد كلموا بكل لسان . ووصل المملوك بعد الفجر الى البلد وقد تلا بعد زخرفه في سورة (١ ب) الدخان . فوجب بأن أجري الدمع على وجيب كل ربع وأنشد ، وقد دخل صبري بعد إنّ في خبر كان :

(١) محلة باب المصلى - في الميدان اليوم ، انظر دمشق القديمة لمنجد

(٢) سكان الخيام يعني المحاصرين من عسكر برقوق

(٣) للبحتري في مدح يعقوب بن أسحق النوبختي ، ديوان البحتري ص ٥٧ مطبعة هندية بمصر سنة ١٩١١

(٤) ميدان كان جنوبي الباب الصغير وسميت محلة الميدان باسمه

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٤

(٦) محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية منسوب للحجاج بن عبد الملك بن مروان معجم البلدان لياقوت طبعة وستفلد ج ٤ ص ١١

(٧) انغنام من الغنمة وهي العجمة في المنطق (القاموس المحيط)

«دمعٌ جرى فقضى في الربع ما وَجبا» [١]

ووقفت أندبُ على عرصاتها التي قمحت بالبين فخابت من أهلها الظنون · وكم داروا بقمحها خيفة من طاحون النار فلم يسلم فصدق المثل بأن القمح يدور ويجيء الى الطاحون · وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين [٢] وقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد · ﴿آتوني زبر الحديد﴾ [٣] · ولقد كان يوم حريقها ﴿يوماً عبوساً قمطريراً﴾ [٤] · وضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا ﴿سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾ [٥] · هذا وكلما أُصليت نار الحريق وشبت نار الحرب ، ذكرت ما أشار به مولانا على المملوك من الإقامة بمصر فأنشدت من شدة الكرب :

آهاً لمصر أين مصر وكيف لي بديار مصر مراتعاً وملاعبا

والدهر سلمٌ كيف ما حاولته لا مثل دهري في دمشق محاربا

يا مولانا لقد لبست دمشق في هذا المأتم السواد · وطُبخت قلوب أهلها كما تقدم على نارين وسُلقوا من الألسنة بألسنة حداد ·

ولقد نبعت عيونهم من الحريق واستسقوا فلم ينشقوا رائحة لغادية · وكم رؤي في ذلك اليوم ﴿وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾ [٦] · وكم أرجل تلا عند لهيب بيته ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ [٧] وخرج هارباً ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ [٨] وشكى الناس من شدة الوهج (٣٦ آ) وهم في الشتاء وصاروا من هذا الأمر يتعجبون · فقال لهم لسان النار أتعجب من الوهج والحريق

---

(١) صدر بيت للمتني في مدح المغيث العجلي – العرف الطيب لليازجي ص ٩٢ طبع بيروت سنة ١٨٨٢

(٢) محلة تحت القلعة

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٩٧

(٤) سورة الدهر ٧٦ : ١٠

(٥) سورة الدهر ٧٦ : ٤

(٦) سورة الغاشية ٨٨ : ٣

(٧) سورة تبت (اللهب) ١١١ : ١

(٨) سورة تبت (اللهب) ١١١ : ٤

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هو في كانون ؟ ولعمري لو عاش ابن نباتة [١] ورأى هذا الحال وما تم على أهل دمشق في كانون لترك رثاء ولده عبد الرحيم وقال :

يا لهف قلبي على وادي دمشق ويا حزني عليه ويا شجوي ويادائي
في شهر كانون وافاه الحريق لقد أحرقت بالنار يا كانون أحشائي

ونظرت بعد ذلك الى القلعة [٢] المحروسة وقد قامت قيامة حربهـا حتى قلنا ﴿أزفت الآزفة﴾ [٣] . وقد ستروا بروجها من الطارق [٤] بتلك الستائر وهم يتلون ﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ [٥] . واستجليت عروس الطارمة [٦] عند زفتها وقد تجهزت للحرب ولم ترض بغير الأرواح مهر . وقد أقعدت على رأسها تلك العصائب [٧] وتوشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الأبيض سوار النهر . وغازلت بحواجب [٨] قسيّها فرمت القلوب من عيون مراميها بالنبال . وأهدت إلى العيون من مكاحل نارها أكحالاً كانت السهام لها أميال . وطلبها كل من المحاصرين وقد علا دست الحرب وسمح وهو على فرسه بنفسه الغالية . وراموا كشفها وهم في رقعة الأرض كأنهم لم يعلموا بأن الطارمة عالية . وتالله لقد حرست بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرص في الاسحار ، وقد استيقظوا لحمل قسيّهم ولم تنم أعينهم عن الأوتار . فأعيذ رواسيها التي هي كالجبال الشامخة بن أسّس المحجوج [٩] . وأحصنتها قلعة بـ ﴿السماء ذات البروج﴾ (٢ ب)

---

(١) ابن نباته هو خطيب سيف الدولة الحمداني . انظر الشذرات
(٢) قلعة دمشق
(٣) سورة النجم ٥٣ : ٨ه
(٤) الطارق إشارة إلى العدو المحاصر وفيه تورية بسورتي البروج والطارق
(٥) سورة النجم ٥٣ : ٥٧
(٦) الطارمة بيت كالقبة من الخشب وهي من الفارسي المعرب ـ محيط المحيط وتاج العروس ويريد هنا مئذنة القلعة
(٧) العصائب ج عصابة : جماعة المحاربين في القلعة
(٨) حواجب قسيّها : المجموعة خلف الفجوات في القلعة
(٩) المحجوج أي المقصود وهنا البيت العتيق (الكعبة) .

وتطاولت إلى السور المشرف وقد فضل في علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات ، فما وقفنا له على باب إلا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح (١) تلخيصاً لما أبداه من المشكلات . فقلت ما أحقه بقول من قال :

فضائله سور على المجد حائط وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا

كم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصره ، ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بأنه قد طبخ لهم على كل باب قدره ، فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ﴿ ونُفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ﴾ (٢) وإلى المحاصرين وقد جاؤوا راجلاً وفارساً ليشهدوا القتال لقلت ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾ (٣) ، وإلى كواكب الأسنة وقد انتثرت ، وإلى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت ، وإلى كر الفوارس وفرها لقلت ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ (٤) ، وإلى نار النفط وقد نقطت (٥) ، من غيظها ، وإلى ذكور السيوف وقد وضعت المنايا السود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها ،

ومن العجائب أن بيض سيوفهم تلد المنايا السود وهي ذكور

وإلى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء ، وإلى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء ، وإلى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له تابع ، وإلى كل مدفع وقد وجد له عند حكم القضاء دافع ، وإلى قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الأجسام مشق ، فاستصوبت عند ذلك رأي من قال : عرج ركابك (٣ آ) عن دمشق (٦) ، ونظرت بعد ذلك

---

(١) المفتاح : مفتاح العلوم للسكاكي والتلخيص هو تلخيص المفتاح للخطيب القزويني وفي الكلام تورية
(٢) سورة ق ٥٠ : ٢٠
(٣) سورة ق ٥٠ : ٢١
(٤) سورة الانفطار ٨٢ : ٥
(٥) نقط ينقط أي غضب أو احترق غضباً (تاج العروس)
(٦) اشارة إلى البيتين المشهورين :

عرّج ركابك عن دمشق فإنها بلد تذل له الأسود وتخضع
ما بين (جابيها) و (باب بريدها) قمر يغيب وألف شمس تطلع

إلى العشير وقد استحل في ذى الحجة المحرم ، وحمل كل قبسي يمانياً [١] وتقدم ، فجزع النساء وقد أنكرت منهم هذا الأمر العسير . فقلت غير بدع للنساء إذا أنكرن العشير . وتصفحت بعد ذلك فاتحة باب النصر [٢] فعوذته بالإخلاص [٣] وزدت شكراً وحمداً . وتأملت أهل الباب وهم يتلون لأهل البلد في سورة الفتح والمحاصرين ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ﴾ [٤] . كم طلبوا فتحه فلم يجدوا لهم طاقة ﴿ وضُرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبَله العذاب ﴾ [٥] . ونظرت الى ما تحت القلعة من أسواق التجار فوجدت كلاً قد محت النار آثاره . وأهلها يتلون ﴿ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ﴾ [٦] . فما منهم إلا من همى شأنه [٧] على ﴿ صاحبته وبنيه ﴾ [٨] . وآخر قد استغنى بشأن نفسه فهم كما قال الله تعالى ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ [٩] . فوقفت أنشد في تلك الأسواق : « ألا موت يباع فأشتريه » . ونظرت إلى المؤمنين الركع السجود . وهم يتلون على من ترك في بيوتهم أخدوداً من وقود ، وقد سُعِّرت النار وقعد حريهم في ذلك اليوم المشهود : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ [١٠] . هذا وكم مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار

---

(١) السيف اليماني

(٢) غربي دمشق ، وكان اسمه باب الجنان لما يليه من البساتين . انظر خطط دمشق القديمة للمنجد

(٣) سورة الإخلاص : ١١٢

(٤) سورة يس ٣٦ : ٩

(٥) سورة الحديد ٥٧ : ١٣

(٦) سورة الجمعة ٦٢ : ١١

(٧) الشأن مجرى الدمع من العين وهمى سال .

(٨) سورة عبس ٨٠ : ٣٦

(٩) سورة عبس ٨٠ : ٣٧

(١٠) سورة البروج ٨٥ : ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

وكما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار : ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴾[1] . ونظرت إلى ضواحي البلد وقد امتدت في وجوههم المذاهب (٣ ب) فلم يجدوا لهم من الضيق مخرج . ﴿ وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾[2] لما غلق في وجوههم باب الفرج[3] . فقلت : اللهم اجعل لهم من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ولعدم أموالهم من كل عسر يسراً ، ولانتهاك مخدراتهم من كل فاحشة ستراً ، ولقطع الماء عنهم إلى كل خير سبيل . فالله حسبنا ونعم الوكيل . هذا وكم نظرت إلى سماء ربع غربت شمسه بعد الإشراق فأنشدت وقد ازددت كرباً من شدة الإحراق :

فديناك من ربع وإن زدتنا كرباً ‏ ‏ ‏ فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

وانتهيت إلى الطواقيين[4] وقد أسبل عليهم الحريق قندسه[5] فكشفوا الرؤوس لعالم السرائر . وكم ذات ستر خرجت بفرق مكشوف ورمت العصائب وبعلها بغبنه دائر . هذا وكم ناهدات

أسبلن من فوق النهود ذوائبا ‏ ‏ ‏ فتركن حبات القلوب ذوائبا

ووصلت إلى ظاهر الفراديس[6] وقد قام كل منهم إلى فردوس بيته فاطلع في سواء الجحيم . واندهشت لتلك الأنفس التي ماتت من الخوف وهي تستغيث لـ ﴿ لذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾[7] . ونظرت إلى

---

(١) سورة المؤمن ٤٠ : ٤١

(٢) سورة التوبة ٩ : ٢٦

(٣) باب الفرج باقية اليوم . انظر دمشق القديمة للمنجد

(٤) الطواقيين : نسبة الطواقي وكان لهم محلة في جنوب الجامع الاموي

(٥) القندس من فارسي المعرب وهو حيوان يتخذ من جلده فرو تلبسه الأروام على رؤوسها – شفاء الغليل للخفاجي ١٦٥

(٦) محلة الفراديس شمال دمشق وباب الفراديس هو باب العمارة والمحلة هي محلة العمارة (ابن عساكر ٢ : ١٨٦)

(٧) سورة يس ٣٦ : ٧٩

باب السلامه[١] وقد أخذت النار أعلامه. ولقد كان أهله من صحة أجسامهم ومن اسمه كما يقال في الصحة والسلامه. وإلى الشلاحة[٢] وقد لبست ثياب الحزن وذابت من أهاليها الكبود. وقعدوا بعد تلك الربوع على أديم الأرض ونضجت منهم الجلود. ولقد والله عدمت لذة الحواس الخمس وضاقت عليّ الجهات الست فلم ترق لي دمعة. وأكلت الأنامل من الأسف لما سمعت (١٤آ) بحريق أطراف السبعة[٣]. فأعيذ ما بقي من السبعة بالسبع ﴿المثاني والقرآن العظيم﴾[٤] فكم رأينا بها يعقوب حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾[٥] وتغربت إلى ظاهر الباب الشرقي[٦] فتشرقت بالدمع من شدة الالتهاب. ولقد كان أهله من دار عنبه وكرومه الكريمة في ﴿جنتين من أعناب﴾[٧]. وتوصلت إلى ظاهر كيسان[٨] فأنفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الأزهار والدراهم رباها. وسمحت بعد ذلك بالعين واستخدمت فقلت ﴿بسم الله مجراها﴾[٩] وكابرت إلى أطراف الباب الصغير[١٠] فوجدت فاضل النار لم ﴿يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾[١١]. فيالهفي على عروس دمشق التي

(١) من شمال دمشق، سمي بذلك تفاؤلاً لأنه لايتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار، ابن عساكر ج ٢ ص ١٨٦. ثم عرف بباب السلام ويسمى بباب الفراديس الصغير، محاسن الشام للبدري ص ٢٦

(٢) شمال القيمرية اليوم، انظر مخطط دمشق القديمة المنجد

(٣) محلة في شرق مسجد القصب تسمى محلة السبعة أنابيب القديمة

(٤) سورة الحجر ١٥ : ٨٧

(٥) سورة يوسف ١٢ : ٨٤

(٦) سمي بذلك لأنه شرق البلد، ابن عساكر ج ٢ ص ١٨٥

(٧) سورة الكهف ١٨ : ٣٢

(٨) محلة في الشرق الجنوبي من البلد، انظر مخطط دمشق القديمة للمنجد، وكيسان هو مولى معاوية؛ محاسن الشام ٢٤

(٩) سورة هود ١١ : ٤١

(١٠) سمي بذلك لأنه أصغر أبواب دمشق حين بنيت، يقع في جنوب البلد؛ محاسن الشام للبدري ٢٤

(١١) سورة الكهف ١٨ : ٥٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يذكر مع محاسنها أسماء ولا الجيداء (١) . لقد كانت ست البلاد فاستعبدها ملك النار حتى تركها جارية سوداء . ولقد وقفت بين ربوعها وقد التهبت أحشاؤها بالاضطرام . وفطم جنين نبتها عن رضاع ثدي الغمام، فاستسقيت لها بقول ابن أسعد الموصلي :

سقى دمشق وأياماً مضت فيها ... مواطرُ السحب ساريها وغاديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه ... حواملُ المزن في أحشا أراضيها
فما نضا حبَّه قلبي لنيرَبِهـا ... ولا قضى نحبَه ودّي بواديها
ولا تسليتُ عن سلسالِ ربوتها ... ولا نسيت مبيتي جارَ جاديها (٢)

هذا وكم خائف قبل اليوم آويناه بها إلى ﴿ربوة ذات قرار﴾ (٣) وكم كان بها يطرب طير جرح بعد ما كان يطرب على عود وطار . وبطل الجنك (٤) (٤ ب) لما انقطعت أوتار أنهاره فلم يبق له معنى . وكسر الدف (٥) لما خرج نهر المغنية عن المنى . واستسمج الناس من قال (٦) :

انهضْ الى الربوة مستمتعاً ... تجدْ من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده ... في الروض بين الجنكِ والدف

وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيرة . ولقد كان أهلها في ﴿ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة﴾ (٧) فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم . وضاع من غير تورية عطره النامم . ولم ينتظم الزهر المنثور على ذلك الوشي المرقوم رضالة من النسيم محربة . وكيف لا وقد مُحي سَجْعُ المطوّقِ (٨)

---

(١) جيداء : طويلة العنق حسنته تاج العروس ٢ : ٣٣٣
(٢) الجادي : الزعفران - تاج العروس
(٣) سورة المؤمنون ٢٣ : ٥١
(٤) من متنزهات دمشق في غربي المدينة - غوطة دمشق لكرد علي ص ٧٢
(٥) من متنزهات دمشق في غربي المدينة - غوطة دمشق لكرد علي ص ٧٢
(٦) لشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي - محاسن الشام ص ٨٧
(٧) سورة الواقعة ٥٦ : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ .
(٨) سجع : ترجيع الحمام . المطوّق من الحمام : نوع له مايشبه الطوق على عنقه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من طروس تلك الأوراق النباتية . وكم عروس زهر قعد لمعصمها النقش فلما انقطع عنها النهر صحّ أنها قشرت السوار . وكم دولاب نهر (١) كان قد حسن غناه على تشبيب النسيم بالقصب وهو في تلك الأدوار . فوقفت أندب ذلك العيش الذي كان بذلك التشبيب موصول . وأنشد ومُثَيَّلُ دمعي قد ترك القلب مثله معلول :

لم لا أشبّب بالعيش الذي انقرضت أوقاته وهو باللذات موصول

ونقص يزيد (٢) فاحترق ولا ينكر ليزيد الحريق على صنعه . وانقطع ظهر ثورا (٣) فأهلك الحرث والنسل بقطعه . وذاب بَرَدا (٤) وحمي مزاجه لما شعر بالحريق . ولم يبق في ثغره الأشنب بدر حَصبائه ما يبل الريق . وانقطع وقد اعتل من غيظه باناس (٥) ولم يظهر عند قطعه خلاف ولا بانَ آس . وجرى الدم من شدة الطعن بالقنوات (٦) . وكسرت قناة (٥ آ) المزة (٧) فذاقت من العيش المرّ بعد حلاوة تلك القطوف الدانيات . وكُسر الخلخال (٨) لما قام الحرب على ساقه . وسقط رأس كل غصن على الجبهة فناحت البلابل على أوراقه . وخرّ نهر حميص خاضعاً وتكدّر بعده ما كان يصفي لنا قلبه . وافتقر أغنياء غصونه من حبات تلك الثمار فصاروا لا يملكون حبّه . طالما كان أهله به فاكهين . ولكنهم ﴿ اعترفوا بذنبهم ﴾ (٩) فقالوا ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ (١٠) .

---

(١) دولاب نهر – ناعورة

(٢) نهر يزيد معروف ينفصل عن بردى قرب قرية الهامة ١٢ كم من دمشق . ويزيد الثانية – يزيد بن معاوية

(٣) نهر ثورا أو ثورة ينفصل عن بردى قرب الشاذروان ، خطط دمشق ٣٠

(٤) نهر بردى

(٥) نهر بناس أو بانياس ينفصل عن بردى قرب الربوة – الخطط ٣٠

(٦) نهر القنوات ينفصل عن بردى قرب الشاذروان

(٧) نهر قناة المزة ينفصل عن بردى في قرية دمر ويسقي قسماً من المزة الخطط ٣٤

(٨) الخلخال نهر عند باب السريجة اليوم

(٩) سورة الملك ٦٧ : ١١

(١٠) سورة المدثر ٧٤ : ٤٥

وذبلت غصون تلك الجزيرة [١] ، التي كانت على وجنات شطوطه مستديرة ، فقلنا بعد عروس دمشق وحماتها : لا حاجة لنا بحميص والجزيرة ، فيالهفي على منازل الشرف [٢] وذلك الوادي [٣] الذي نعق به غراب البين ، ويا شوقي إلى رأس تلك المرجة [٤] التي كانت تجلسنا قبل اليوم على الرأس والعين ، هذا وقد اسودت الشقراء [٥] وأمست كابيةً لما حصل على ظهرها من الجولان ، وجانبها المكس فأضحت باكيةً على فرق الأبلق [٦] واخضر ذلك الميدان [٧] .

ويا مولانا لقد بكى المملوك من الأسف بدمعة حمراء على ما جرى من أهل الشهباء [٨] في الميدان على الشقراء حتى كذَّب الناس من قال :

قل للذي قايس بين حلبٍ وجلّق بمقتضى عيانها
ما تَلْحَقُ الشهباء في حَلْبتها تَمَيُّز الشقراء في ميدانها

فقال لسان الحال : والله ما كذب ولكنه قد يخبو الزناد ، ويكبو الجواد ، وقد يصاب الفارس بالعين التي تغمز قناته غمزا

ومن ظن أن سيلاقي الحروب [ن] أن لا يصاب فقد ظنَّ عجزا

ودخلت بعد ذلك الى (٥ ب) البلد فوجدت على أهله من دروع الصبر سكينةً ، فقلت : يارب مكة والحرم انظر الى أحوال أهل المدينة ، ولكن ما دخلت لها الى حمام إلا وجدته قد ذاق لقطع الماء عنه حِماماً ، وعلم القوام والقاعدون

(١) الجزيرة هي المكان القائم اليوم في محلة المرجة (ساحة الشهداء)
(٢) الشرف لعله يقصد هنا الشرف الأعلى حيث يقوم اليوم المتحف الزراعي والتجهيز الأولى للذكور .. أما الشرف الأدنى فيقوم عليه المستشفى الوطني وكليات الجامعة ودار الآثار والتكية (انظر غوطة دمشق لكرد علي)
(٣) وادي الربوة
(٤) المرجة الخضراء : الملعب البلدي اليوم
(٥) الشقراء محلة مطلة على المرجة الخضراء : انظر غوطة دمشق ص ٥٠ والبدري ٧٤
(٦) الأبلق هو القصر الأبلق بناه الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨ هـ على مايروي ابن طولون المتوفي سنة ٩٥٣ هـ وكان قد رآه . انظر غوطة دمشق ص ٢٥ .
(٧) يقصد ميدان المرج المشوشب .
(٨) الشهباء : حلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بأرضه انها ﴿ساءت مستقراً ومقاماً﴾ (١) ، وتلي على بيت ناره ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً﴾ (٢) ، فحسن أن أنشد قول ابن الجوزي (٣) رحمه الله تعالى :

الحار عنـدك بارد والنهر عنـدك منقطع
والعين ما ماء فيهـا إيش بعمـل القوام

وأتيت بعد ذلك الى الجامع الأموي فإذا هو لأشتات المحاسن جامع . وأتيته طالباً لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع . وتمسكت بأذيال حسنه لما انشقت تلك النفحات السحرية . وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت الى تلك الشذور الذهبية . وآنست من جانب طوره ناراً فرجع اليّ ضياء حسي . واندهشت لذلك الملك السليماني وقد زها بالبساط والكرسي . وقلت هذا مُلك سَعِد من وقف في خدمته خاشعاً . وشقي من لم يدس بساطه ويأتيه طائعاً . ولقد صدق من قال :

أرى الحسن مجموعاً بجامع جلق وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر فقل لهم باب الزيادة (٤) مفتوح

معبد له قصبات السبق ولكن كسرت عند قطع الماء قناته . ورأيته من شدة الظما وقد قويت من ضجيج المسلمين أناته ، وخفض النسر (٥) جناح الذل وود

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ : ٦٦

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٦٩ . وردت في الأصل قلنا نار .

(٣) ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الواعظ المتفنن صاحب التصانيف الشهيرة في أنواع العلم ونظم الشعر المليح توفي سنة ٥٩٧ هـ . شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٩

(٤) باب الزيادة : قبلي المسجد الأموي وكان يسمى باب الساعات كانت عليه . مسجد دمشق ، المنجد ص ٢٥ . وهذان البيتان من شعر الشيخ جمال الدين محمد ابن نباتة ، محاسن الشام ص ٤٦

(٥) النسر يريد قبة الأموي الكبرى شبهها بالنسر في شكله لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها ، محاسن الشام للبدري ص ٣٦

بأن يكون النسر الطائر . وطمست مُقَل تلك المصابيح فاندهش (٦٦ آ) لذلك الناظر . هذا وكم نظرت الى حجر مكرم ولم تجد له بعد اكسير الماء جابر . واختفت نجوم تلك الأطباق التي كانت كاللآلئ في جيد الفسق . ومرت حلاوة نارها بعدما ركبت ﴿طبقاً عن طبق﴾ (١) . وأصبح بعد تلك النضارة والنعيم ذابل . وكادت قناديله لفقد الماء أن تقطع السلاسل . ولم تشر الناس بأصابعها الى فصوص تلك الخواتم المذهبة . ولم يبق على ذلك الصخر طلاوة بعد الماء وحلاوة سكبه الطيبة . ونظرت الى ملون رخامه الذي فاق في نظمه بالتدبيج والترصيع . فاستجهل حتى كأنا ما رأينا له نوعاً من أنواع البديع . كم طالعت به من لوح كتبت هوامشه بالذهب فاكتسى نضارة (٢) الدوح . ولكنه محي وهو يقول بهذا جرى القلم في اللوح . وتذكر المنبر عند قطع الماء أوقاته بالروضة . وتكدرت أفراحه لما ذكر أيامه بتلك الغيضة (٣) وأنشد من شوقه :

لو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر (٤)

وودت العروس (٥) أن تكون مجاورة لحمامها لتبل ريقها برحيق الأمن إذا نظرت إلى عاصي المحدبة وقد دخل الى جناتها . ونظرت إلى فوار أبي نواس (٦) وقد انقطع بعد ما كان يثب ويتجرّى . وكاد أن ينشد من شعره لعدم الماء : « ألا فاسقني خمراً » (٧) .

(١) سورة الانشقاق ٨٤ : ١٩
(٢) في الأصل نظارة
(٣) الغيضة بالفتح الأجمة وهي مجتمع الشجر في مغيض ماء – تاج العروس
(٤) من قصيدة البحتري في وصف موكب الخليفة المتوكل وقد خرج لصلاة العيد . وفي الديوان : لو ان مشتاقاً تكلف غير ما... ديوان البحتري ١ : ٢١٢ مصر سنة ١٩١١
(٥) مئذنة الأموي الشمالية
(٦) القبة التي في وسط صحن المسجد الأموي فيها الماء الجاري من فوار يسميها العامة قبة أبي نواس – البداية والنهاية ٩ : ١٥٩
(٧) الا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سراً اذا أمكن الجهر
(ديوان أبي نواس ٢٧٣ مصر ١٨٩٨ .)

ودخلت إلى الكلاسة [١] وقد علا بها غبار الحزن فتنهدت من الأسف على كل ناهدة . ورثيت للنساء وقد فقدن بعد تلك الأنعام المائدة . واستطردت إلى باب البريد [٢] فوجدت خيول الماء الجارية قد قطعت عن تلك المراكز . ونظرت الى السراج الأكبر وقد انعقد (٦ ب) لسانه لما شعر من ممدوح الماء بعدم تلك الجوائز . ونظرت إلى أهل الصلاة وقد لبسوا في هذه الواقعة من الصبر دروع . وقد استعدوا بسهام من الأدعية أطلقوها من قسي الركوع .

مريشةً بالهدب من جفن ساهر منصلةً أطرافها بدموع

ونظرت إلى الريان من العلم قد اشتد لفقد الماء ظماه . وتبلد ذهنه حتى صار ما يعرف من أين الطريق إلى باب المياه . ومشيت بحكم القضاء إلى الشهود [٣] فوجدت كلاً منهم قد راجع سهاده وطلق وسنه . وتأملت أهل الساعات [٤] وقد صار عليهم كل يوم بسنة . ونزلت في ذلك الوقت من الساعات إلى الدرج [٥] في دقيقة . فانتهيت إلى مجاز طريق الفوار [٦] فوجدته كأن لم يكن له حقيقة . كم وردته وهو كأنه سنان يطعن في صدر الظما . أو كشجرة كنا نقول إنها طوبى لما طهرت و ﴿ أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ [٧] . أو مغترف بندا الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا . ترفع له لأجل ذلك فوق قناته راية بيضا . أو عمود وفاء أشارت الناس إليه بالأصابع . أو ملك طالب الناس بودائع . حتى كأن إكليل الجوزاء له من جملة الودائع . أو أبيض طائر علا حتى قلنا

(١) في شمال المسجد الأموي سميت بذلك لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع

(٢) الباب الغربي للمسجد الأموي سمي بذلك لأن بريد الوليد بن عبد الملك كان ينزل به – انظر دمشق القديمة للمنجد ٢٨

(٣) الشهود كان مجلسهم عند درج الأموي الشرقي ، انظر رحلة ابن جبير

(٤) الساعات يقصد ساعات الجامع الأموي كانت في الباب الشرقي ، انظر ابن جبير

(٥) درج الأموي الشرقي

(٦) ينزل عليه من باب جيرون ويسمى النوفرة اليوم

(٧) سورة ابراهيم ١٤ : ٢٤

إنه يلتقط حبات النجوم الثواقب . وشجاع ذو همة عالية «يحاول ثأراً عند بعض الكواكب» (١) . نخفض لفقد الماء مناره واختفى بعد ما كان أشهر من علم . وجدع أنفه بعد وطالما ظهر وفي عرنينه شمم . فقلت :

لـتُ أُنسى الفؤاد وهو ينادي غيضَ مائي وعطل الدهر حالي (٢أ)

فتمنيت من لهيبيَ أني (٢) أشتري غيضه بروحي ومالي

فلا والله ما كانت إلا أيسر مدة حتى رجع الماء إلى مجاريه . وابتسم ثغر دمشق عن شنب الري بعد ما نشف ريقه في فيه . هذا وقد خمدت نار الحرب وقعدت بعد ما كانت على ساق وقدم . وبطئت آلتها التي كن لها على تحريك الأوتار وجس العيدان نغَم . واعتقل الرمح بسجن السلم . بعد ما كان على رأسه لواء الحرب معقود . وهجعت مقل السيوف في أجفانها لما علمت أن الزيادة في الحد نقص في الحدود . وفاضت غدران الرحمة على رياض الأمن فأنبتت من المسرة ﴿نباتاً حسناً﴾ (٣) و﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ (٤) .

وبعد فالمعذرة في فهاهة (٥) هذه الرسالة التي هي في رياض الأدب باقِلِيَّة (٦) ، والصفح عن طولها وقصر بلاغتها بين يدي تلك المواقف السحبانية (٧) . وليكن محمولاً على متن الحلم كلامها الموضوع . فقد علم الله أنها صدرت من قلب مكسور وفؤاد مصدوع . وذهن ضعُف ولم يجد الكثير ضعفه عاصماً ولا نافع . وراحلة فكر أمست عند سيرها إلى غايات المعاني ظالع (٨) .

---

(١) عجز بيت لأبي تمام في مدح أبي دلف العجلي ، والصدر : فتى تمادت في العلو كأنما — ديوان أبي تمام مصر سنة ؟

(٢) في الأصل (أن)

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٣٧

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٣٤

(٥) فه الرجل يفه، فهاهة : عيّ ، محيط المحيط

(٦) باقلية نسبة لرجل أحمق اسمه باقل يضرب به المثل في العي والفهاهة

(٧) سحبانية نسبة لسحبان وائل المشهور بالبلاغة

(٨) يقال بعير ظالع اذا كان يتقي ويعرج (وجاءت في الأصل ضالع)

فسيروا على سيري لأني ضعيفكم وراحلتي بين الرواحل ظالع

هذا وكم تولد للمملوك في طريق الرمل من عقلة ، وكم ذاق من قطاع الطريق أنكاداً حتى ظن أنه لعدم النصرة لم يجد له إلى الاجتماع وصلة ، وكلما زعق عليه غراب تألم لسهام البين وفقد مصر التي هي نعم الكنانة ، وأنشد وقد تحير في الرمل لفراق ذلك التخت الذي أعزّ الله سلطانه . (٧ ب)

من زعقة الغراب بعد الملتقى فارقت مصراً وبها أحبابي

وفي طريق الرمل صرت حائراً مروعاً من زعقة الغراب

واستقبل المملوك بعد ذلك بلاد الشام وهو على تلك الحالة فبئس الحال وبئس الاستقبال ، فوالرحمن ما وصل لها إلى مكان إلا وجده قد وقعت فيه الواقعة واشتد القتال ، وحصدوا سُبُلَ الرشاد ندرَست ، فلا أعاد الله لصد حربهم دروس ، وأداروا رحى الحرب بقلوب كالأحجار فطحنت عند ذلك الرؤوس ،

من كل عادٍ كعاد في تجبره من فوق ذات عماد شادها إرم [1]

لا يجمعون على غير الحرام إذا تجمعوا كحباب الراح وانتظموا

وانتهت الغاية بالمملوك إلى أنه شلّح بقرب الكسوة [2] في الشتاء ، وانتظرت ملك الموت وقد أمسيت مهجةً في النازعات [3] وعبرةً في المرسلات [4] وفكرةً في هل أتى [5] ، هذا والليل قد انطفت مصابيح أنواره وعسعس حتى أيقنت بموت الصبح وقلت لو كان في قيد الحياة تنفّس ، وذهب المملوك وقد زوده

(١) عاد الأولى المادي ، والثانية عاد المذكور في القرآن الكريم .

(٢) الكسوة ضاحية جنوبي دمشق سميت باسم كسوة المحمل الذي كان يسافر منها الى مكة المكرمة كل عام – المقابلة بين التشليح والكسوة هنا

(٣) سورة النازعات ٧٩

(٤) سورة المرسلات ٧٧

(٥) سورة الدهر ٧٦

عند قسم الغنيمة بسهم · فجرح ولم يجد له تعديلاً ولكنه صبر على الألم بعد ما كان يدمى من الوهم · ولم يلق له مجبراً لما قوي ألمه وضعف منه الحيل · إلا أنه دخل تحت ذيل الليل · فوصل الى البلد وقد ودّ يومه لو تبدل بالأمس · ولم يسلم له في رقعة الحرب غير الفرس والنفس · ولكنه أنشد :

ما تفعل الأعداء في جاهل   ما يفعل الجاهل في نفسه

فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة ، وبدأ به في الدنيا ببراعة (٨آ) الأمن وفي الآخرة بحسن الخاتمة ، تم · (٨ب)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٨ —

مدرستا بغداد والأندلس وموقف ابن جني منهما

أما مدرسة بغداد : فقد قامت بعد المدرستين البصرية والكوفية ، لما تأسست بغداد. وأخذ علماء المدرستين ينزحون اليها ، فكانت بيآتها العلمية ميداناً للصراع الثقافي بين المذهبين ، وكانت المناقشات العلمية جد حادة بين الفريقين . وعلى الرغم من أن تلك المناقشات قد قربت بين وجهات نظر الفريقين إلا أنها أضعفت المدرسة الكوفية التي كانت - لو ازدهرت - ترفع من شأن البيان العربي ، أو تبعد النحو عن قسوة المنطق وقساوة الأقيسة والتعليلات . وقد كان من نتاج هذه المدرسة أن ألفت بعض الكتب التي عمد أربابها الى البحث في مسائل الاختلاف بين المدرستين ككتاب الإنصاف في مسائل الاختلاف بين المدرستين لابن الأنباري وغيره .

يقول العلامة طه الراوي : لما أنشئت بغداد كان الكوفيون أسبق الناس اليها لمكانة الكوفة من بغداد من الوجهتين السياسية والجغرافية ، ولهذا وجدنا أن علماء الكوفة اتصلوا بقصور الخلفاء والأمراء واحتلوا الصدور من حلق تدريسها ومحافل آدابها ، فكان الكسائي عند الرشيد ، والفراء عند المأمون بالمكانة السامقة ،

وكان مذهب الكوفة ما علمت من التساهل في التأصيل والتفريع ، ومن ثمَّ وجدنا تلاميذهم من البغداديين مولعين بالروايات الشاذة يتفاخرون في النوادر بالترخيصات ، واعتمدوا على الفروع ولم يأبهوا للأصول ، ومن هنا تولد مذهب مضطرب النواحي كثير التعاريج عرف بمذهب البغداديين ، ولما كان هذا المذهب أحطّ من أبيه الكوفي طرحه الجمهور وما أقاموا له وزناً (١) » .

والأستاذ العلامة الراوي قاس في حكمه على المدرسة البغدادية ، ولا عجب فانه كان من الأعلام المتشددين الحريصين على العناية بحفظ تراث اللغة ، كما ورد عن فصحاء أربابها ، لا أهل اللغات النادرة ، والروايات الشاذة ، وإلا فان المدرسة البغدادية على الرغم من تساهلها لم تأت بمذهب منحط ، ولا كان الكوفيون في مذهبهم على تلك الصورة البشعة التي صورها المرحوم الراوي ، ولكنه كما قلنا كان شديد الاعتزاز بعروبته رأى في المذهب البصري المذهب الصحيح القوي السالم فأحبه ودعا اليه وإلا فان نحاة مدرسة بغداد على الرغم من تساهلهم ومن اعتمادهم على طريقة مدرسة الكوفة فانهم قد اتصلوا بنفر من علماء مدرسة البصرة في منتصف القرن الثالث حين أخذ هؤلاء يهاجرون الى بغداد وينشرون مذهبهم فاتبعهم البغداديون في كثير من مسائل العربية (٢) .

وقد ظلت المدرسة البغدادية ناشطة فترة طويلة من الزمن الى أن تغلب المتغلبون على الخلافة الاسلامية العباسية في بغداد كالحمدانيين والسامانيين والطولونيين والبويهيين والمرداسيين والسلاجقة وغيرهم ممن أرادوا أن يجعلوا في عواصمهم البعيدة عن بغداد حركات علمية فضعفت مدرسة بغداد بعض الضعف وظلت تصاول وتجادل معاكسات الدهر الى أن احتلها المغول ففرقوا شمل علمائها وقضوا على كثير منهم أو ألجأوهم الى الشام ومصر والمشرق .

(١) راجع تاريخ علوم اللغة للمرحوم الراوي . ص ١٢٨
(٢) راجع التصريح على التوضيح ٢ : ١٧٣ ، ٢٧١ ، ٣٧٣ . وهمع الهوامع للسيوطي ١ : ٢٣٥ و ٢ : ١٤٩ ومغني اللبيب لابن هشام ١ : ٩٧ و ٢ : ٨٧ .

ومن أشهر نحاة المدرسة البغدادية :

ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري المروزي الكوفي (— ٢٧٦) الأديب الكاتب العلامة المحدث الأشهر ، ولد في بغداد سنة ٢١٣ وقصد الكوفة فتعلم على أئمتها ونبغ فيها ثم عاد الى بلده .

تلقى العلم عن ابي حاتم السجستاني سهل بن محمد البصري النحوي اللغوي (— ٢٥٥) وعن اسحق بن ابرهيم بن راهويه المحدث الفقيه الراوية (— ٢٣٨) وغيرهما وكان فاضلاً بارعاً في علوم اللغة والنحو والشعر متفنناً في العلوم والآداب وله كتب جليلة مشهورة ، قال الخطيب البغدادي والجلال السيوطي : هو صاحب التصانيف المشهورة والكتب المعروفة منها (غريب القرآن) و (غريب الحديث) و (مشكل القرآن) و (مشكل الحديث) و (أدب الكتّاب) و (عيون الأخبار) و (كتاب المعارف) و (اعراب القرآن) و (جامع النحو) الكبير والصغير . و (المسائل والأجوبة) وغيرها [١] .

وأبو حنيفة : احمد بن داود الدينوري (— ٢٨٢) الرياضي الأديب الكاتب اللغوي أخذ العلم عن أئمة البلدين والكثير عن ابن السكيت . وكان من نوادر العلماء الذين جمعوا بين آداب العرب وحكم الفلاسفة .

قال السيوطي في البغية : كان نحوياً لغوياً مع الهندسة والحساب وكان من نوادر الرجال وكان راوية ثقة ورعاً زاهداً أخذ عن الكوفيين والبصريين وأكثر عن ابن السكيت صنف كتاب (لحن العامة) و (الشعر والشعراء) و (الأنواء) و (النبات) الذي لم يؤلف مثله في معناه و (تفسير القرآن) و (إصلاح المنطق) و (الفصاحة) و (الجبر والمقابلة) و (البلدان) و (الرد على لغدة) [٢] .

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ١٧٠ وبغية الوعاة ص ٢٩١ وبروكلمان G.A.L. ١ : ١٢٠ والذيل ١ : ١٨٤

(٢) بغية الوعاة ص ١٣٢

وكان إماماً جليلاً وبليغاً فاضلاً اختلف العلماء مرة في مجلس أبي سعيد السيرافي في التفضيل بينه وبين الجاحظ فسألوه فقال : أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما فقيل : لا بد ، فقال : أبو حنيفة أكثر ندارة وأبو عثمان أكثر حلاوة • ومعاني أبي عثمان لائطة بالنفس سهلة في السمع ولفظ أبي حنيفة أعذب وأغرب وأدخل في أساليب العرب (١) وقال أبو حيان التوحيدي في كتاب تقريظ الجاحظ بعد أن أورد كلمة السيرافي : والذي أقول وأعتقد .. أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم مدى الدنيا الى أن يأخذ الله بزوالها لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم ، أحدهم هذا الشيخ (الجاحظ) ... والثاني أبو حنيفة ... والثالث أبو زيد احمد بن سهل البلخي ... »

وقد أطنب ياقوت في ترجمته وعدد فضله وسمى كتبه التي خلفها فارجع اليها إذا شئت (٢) وقد نقبنا عن الباقي منها فلم نجد إلا (كتاب النبات) وكتاباً ينسب اليه وهو (الأخبار الطوال) المطبوع المتداول (٢) .

وعبد الله بن عبد العزيز أبو موسى الضرير البغدادي (— ٢٥٥ !) كان مؤدب ولد الخليفة المهتدي ، وكان من الأفاضل رحل الى مصر وسكنها وحدث فيها عن أحمد بن جعفر الدينوري وروى عنه يعقوب بن احمد التجيبي • وله من الآثار (كتاب الفرق) وقد ضاع ، وكتاب في الكتابة والكتاب عنوانه (كتاب الكتاب وصفات الدواة والقلم) ومنه نسخة فريدة (٣) .

---

(١) معجم الأدباء طبعة دار المأمون ٣ : ٢٧

(٢) راجع بروكلمان ١ : ١٢٣ والذيل ١ : ١٨٧ والفهرست لابن النديم ص ٧٨ وضحى الإسلام لأحمد أمين ١ : ٤٠٦

(٣) راجع البغية للسيوطي ٢٨٥ وبروكلمان الذيل ١ : ١٨٧

وأبو علي الحسن بن عبد الله الاصفهاني المشهور بلقب لُغْدَة أو لُكْذَة (— في أواخر القرن الثالث) وهو إمام نحوي لغوي جليل قال السيوطي : كان إماماً في النحو واللغة جيد المعرفة بفنون الأدب وحسن القيام في القياس أخذ عن الباهلي صاحب الاصمعي ، والكرماني صاحب الأخفش وكان يحضر مجلس الزجاج ويكتب عنه ثم خالفه ، وكان بينه وبين أبي حنيفة الدينوري مناقضات وكان في طبقته ، ولم يكن له في آخر أيامه نظير في العراق (١) .

وقال ياقوت : قدم بغداد وكان جيد المعرفة بفنون الأدب حسن القيام بالقياس موفقاً في كلامه وكان إماماً في النحو واللغة وكان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ... قال محمد بن اسحق النديم وله من التصانيف (كتاب الرد على الشعراء) نقضه عليه أبو حنيفة الدينوري و (كتاب النطق) و (كتاب الرد على أبي عبيد في غريب الحديث) و (علل النحو) و (المختصر في النحو) و (كتاب المشاشة والبشاشة) و (كتاب نقض علل النحو) و (كتاب الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث) (٢) وقد ضاعت هذه الكتب جميعاً فيما أعلم ، ولم يبق من آثاره إلا كتاب (مياه وجبال وبلاد جزيرة العرب) (٣) .

وأبو اسحق ابرهيم بن اسحق بن بشر الحربي (— ٢٨٥) كان قيماً بالأدب ، جماعة للغة ، بارعاً بالنحو ، حافظاً للحديث ، عالماً بالفقه . أخذ الأدب عن أبي العباس ثعلب وكان ثعلب يقول : ما فقدت ابرهيم الحربي من مجلس نحو أو لغة خمسين سنة . وقال محمد بن صالح : لا نعلم أن بغداد أخرجت مثل ابرهيم الحربي في الفقه والأدب والحديث والزهد . وقال الدارقطني : كان إماماً

(١) بغية الوعاة ص ٢٢٢
(٢) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢
(٣) راجع ذيل بروكلمان ١ : ١٨٨ ويمنى الأستاذ المحقق حمد الجاسر بنشره وتحقيقه فيما حدثني وفقه الله .

يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه ، وفي الحقيقة أنه كان مصنفاً عالماً محيطاً بعلوم عصره بارعاً فيها ، صدوقاً ثقة ، وكان صديقاً للإمام أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة . روى عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، وأحمد بن حنبل ، وعثمان بن أبي شيبة وطبقتهم وتخرج به جماعة منهم أبو عمرو الزاهد وأبو بكر ابن الأنباري ، والحسين المحاملي وغيرهم . وقد خلف آثاراً جليلة في العربية والحديث والأدب واللغة ولم يبق منها سوى (غريب الحديث) و (اكرام الضيف) وقد طبع بمصر[1] .

وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (— ٣٧٠) كان بارعاً باللغة والعربية والقراءات والأدب ، دخل بغداد سنة ٣١٤ فقرأ على أبي بكر ابن دريد وأبي عبد الله نفطويه وأبي بكر بن الأنباري وأبي عمر الزاهد وابن مجاهد ومحمد بن مخلد العطار . وروى عنه أبو بكر الخوارزمي الأديب الكاتب ، والمعافا بن زكريا . سافر الى حلب واتصل بسيف الدولة الحمداني واختص به وأدب أولاده وبقي هناك فانتشر تلاميذه ونشا مذهبه ، وجرت له مع أبي الطيب المتنبي مناظرات ومحاورات وحوادث . قال السيوطي : كان من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام العلم والأدب وكانت الرحلة اليه من الآفاق ، وقال الداني : عالم بالعربية ، حافظ للغة بصير بالقراءة ثقة مشهور .

ومن آثاره النحوية (الجمل) و (الاشتقاق) و (إعراب ثلاثين سورة من القرآن) و (كتاب ليس) و (الالفات) و (المذكر والمؤنث) و (كتاب القراءات) وغيرها ولم يبق من آثاره هذه إلا (إعراب ثلاثين سورة) و (كتاب الشجر) و (كتاب آس) و (كتاب الريح) و (شرح ديوان أبي فراس الحمداني)[2] .

---

(١) راجع بغية الوعاة للسيوطي ص ١٧٨ ونزهة الألباء ص ٢٧٥ وتاريخ الخطيب البغدادي ٦ : ٢٧ وبروكلمان الذيل ١ : ١١٨

(٢) راجع يتيمة الدهر ١ : ٦٧ ؛ والنزهة لابن الأنباري ٣٨٣ ؛ ووفيات ابن خلكان رقم ١١٦ ومعجم الأدباء ٤ : ٤ وشذرات الذهب لابن العماد ٣ : ٧١ وبروكلمان ١ : ١٢٥ والذيل ١ : ١٩٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (— ٣٨١) وكان منافساً لابن خالويه وهو أحد العلماء المشهورين المتقنين لعلوم العربية واللغة أخذ عن أبي عمر الزاهد ومحمد بن يحيى الصولي ، أصله من عسكر مكرم تعلم في بغداد ثم قدم الى حلب واتصل بسيف الدولة وعظمت مكانته عنده لفضله وأدبه ، ترجمه السيوطي في البغية فأثنى عليه وقال : «الامام الأوحد له التصانيف الجليلة منها (مراتب النحويين) و (لطيف الاتباع) و (كتاب الابدال) و (شجر الدر) وقد ضاع أكثر مؤلفاته وكان بينه وبين ابن خالويه منافسة ، مات بعد الخمسين وثلاثمائة » وقال الصفدي : أحد العلماء المبرزين المتقنين بعلمي اللغة والعربية ... أقام بحلب الى أن قتل في دخول الدمستق حلب سنة احدى وثمانين ولم يبق لنا اليوم من كتبه إلا (مراتب النحويين — اللغويين —) و (شجر الدر) و (كتاب الابدال) [1] .

وأبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني الخراساني البغدادي (٢٩٧ — ٣٨٤) ولد ببغداد وتعلم فيها ونبغ في علوم الادب والعربية والتاريخ ، وكان رجلاً كريماً يفضل على تلاميذه وأساتيذه . وكانت داره نادياً لأهل العلم وكان من عادته أن يضع بين يديه زجاجة حبر وزجاجة خمر فلا يزال يشرب ويكتب وهو مقسم الفكر بين الواقع والخيال وكان راوية واسع الرواية صادق اللهجة واسع المعرفة كثير السماع وكان من خيار المعتزلة وصنف كتباً كثيرة في العربية وأخبار الشعراء والأمم والرجال والنوادر وكان حسن التصنيف ويقال إنه كان أحسن تصنيفاً من الجاحظ .

ومن آثاره العديدة الجليلة (المفصل في البيان والفصاحة) و (المقتبس) في أخبار النحويين البصريين ، وأول من تكلم في النحو وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة ، و (الموشح فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء) من

(١) بغية الوعاة ص ٣١٧ وبروكلمان G.A.L. الذيل ١ : ١٩٠

الكسر واللحن وعيوب الشعر .. وقد عدّ له ياقوت آثاره وعدد أوراقها وهي كثيرة جليلة وقد ضاع أكثرها ولم يبق منها إلا (الموشح) و (أشعار النساء) و (معجم الشعراء)[1] .

وأبو أحمد الحسين بن عبد الله بن سعيد العسكري (— ٣٨٣) وكان إماماً لغوياً نحوياً تعلم ببغداد والبصرة واصبهان ودرس على أبي القاسم البغوي وابن دريد ونفطويه وطبقتهم ، وانتهت اليه رياسة التحديث والإملاء والتدريس بخوزستان ، ورحل اليه الأجلاء ومن أشهر تلاميذه أبو نعيم الاصفهاني وأبو هلال العسكري مؤلف الصناعتين . قال السيوطي : العلامة اللغوي من الأئمة المذكورين في التصرف في أنواع العلوم والتبحر في فنون الفهوم . أكثر وبالغ في الكتابة واشتهر في الآفاق بالدراية وحسن التأليف[2] ومن آثاره الجليلة (كتاب التصحيف) و (المختلف والمؤتلف) . وغيرهما[3] .

وأما المدرسة الأندلسية : فهي المدرسة التي ظهرت في مغرب العالم الاسلامي .

وقد دخل الإسلام الى هاتيك الديار منذ فجر الإسلام وانتشرت اللغة العربية بين أهالي تلك الربوع ، ونبغ منهم العلماء والأدباء والشعراء والمصنفون ، وكانوا يقتبسون من أهل المشرق خير ما عندهم وينهجون على منهجهم وقد هاجر نفر من علماء المشرق الى الأندلس والمغرب الاسلامي فكانوا ينشئون هناك الرسائل والكتب ويحلقون الحلقات العلمية وينشرون العلم بين أهل تلك الديار .

وقد نشطت الرحلات العلمية بين أهل المشرق الاسلامي وأهل المغرب فازدهرت الحركة العلمية في الأندلس وبلاد المغرب وقد ظهر من المغاربة والأندلسيين عدد كبير من العلماء وبخاصة في النحو . وقد اهتم هؤلاء النحويون بمباحث الخلافات

(١) معجم الادباء ٨ : ٢٦٨ وبروكلمان G.A.L الذيل ١ : ١٩٠ — ١٩١

(٢) بغية الوعاة ص ٢٢١

(٣) بروكلمان الذيل ١ : ١٩١

النحوية بين المدرستين الكوفية والبصرية ثم المدرسة البغدادية ، وتناقشوا في أقوال هذه المدارس ، واختاروا لأنفسهم مذهباً خاصاً عرف بالمدرسة الأندلسية وقد كانت هذه المدرسة تختار أفضل الأقوال من بين المدارس الثلاث ، وان كان جل اعتمادها على المدرسة البصرية .

وقد ظل المغاربة والأندلسيون يقتفون آثار المدارس الشرقية الى أن نبغ في ديارهم العلامة الإمام أبو العباس احمد بن عبد الرحمن بن مضاء الأندلسي القرطبي وألف رسالته النحوية الجريئة التي سنتحدث عنها فيما بعد . ثم تتابع النحاة من بعده يؤلفون الرسائل والكتب على طريقتهم الجديدة .

ومن كبار الأئمة الأندلسيين والمغاربة الذين كان لهم أثر واضح في هذا المذهب الجديد :

أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي (٢٨٨ — ٣٥٦ هـ) وكان من أعلم الناس في عصره بنحو البصرة ، وأحفظ أهل زمانه للغة وأرواهم للشعر ، تعلم في البصرة ثم في بغداد ، وقرأ على ابن درستويه والزجاج والأخفش الصغير ونفطويه وابن دريد وابن السراج وجحظة وطبقتهم ثم خرج من بغداد في سنة ٣٢٨ فدخل قرطبة في سنة ٣٣٠ وتهافت الناس عليه فقرأوا الأدب والعربية ، وأكرمه أميرها إكراماً عظيماً وصنف له كتاب الأمالي ، وظل هناك الى أن مات .

وخلف آثاراً جليلة في العربية أجلها (الأمالي) و (النوادر) و (المقصور والممدود) و (فعلت وأفعلت) و (البارع في اللغة) وغيرها وقد ضاع أكثرها [1] .

وأبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الاشبيلي القرطبي (— ٣٧٩) وكان إماماً في علوم العربية واللغة ، وكان متقناً للنحو ، أخذ اللغة عن أبي علي القالي وأبي عبد الله الرياحي ، تولى قضاء قرطبة ، وأدب الأمير

(١) راجع معجم الأدباء ٢ : ١ : ٣ ؛ والبغية للسيوطي ١٩٨ ؛ وجذوة المقتبس للحميدي ١ : ٧٨٣ ، والتكملة لابن الأبار ٣٦٢ ؛ وابن بشكوال في الصلة رقم ؛ ، ٢٨٩

هشام ولد الخليفة المستنصر بالله الأندلسي ، قال ابن الفرضي : كان أوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة وصنف (مختصر العين) و (أبنية سيبويه) و (ما يلحن فيه عوام الأندلس) و (طبقات النحويين) و (الواضح في النحو) قال ياقوت : وبلغني أن أهل الغرب يتنافسون في كتبه خصوصاً كتابه الذي اختصره من كتاب العين لأنه أتمه باختصاره وأوضح مشكله وزاد فيه ما عساه كان مفتقراً اليه [١] .

وأبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المشهور بابن القوطية (— ٣٦٧)

وهو الأديب المؤرخ اللغوي النحوي مولى عمر بن عبد العزيز ، كان من أهل إشبيلية وفيها تعلم على ابن الأغبش وقاسم بن اصبغ وأبي الوليد الأعرج وطبقتهم حتى بلغ رتبة الإمامة في اللغة والعربية والتاريخ والأخبار .

قال ياقوت : كان أعلم أهل زمانه باللغة والعربية إماماً مقدماً فيهما ، وأروى أهل عصره للأشعار والأخبار لا يشق في ذلك غباره ولا يلحق شأوه وكان مع ذلك فقيهاً متمكناً حافظاً للحديث والآثار غير أنه لم يكن له في ذلك أصول يرجع اليها فلم يكن ضابطاً للرواية ، ولما دخل أبو علي القالي الأندلس اجتمع به وكان يبالغ في تقديمه وتعظيمه حتى قال له الخليفة المستنصر الحكم : من أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة فقال : أبو بكر بن القوطية ... وروى عنه الشيوخ والكهول وطال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، ومن تصانيفه (كتاب تصاريف الأفعال) وهو أول مصنف في ذلك ثم تبعه ابن القطّاع السعدي فوضع كتابه على منواله و (المقصور والممدود) جمع فيه وأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله وفاق من تقدمه و (شرح أدب الكتاب) وغيرهما من الكتب ولكن أكثرها قد فقد [٢] .

---

(١) راجع معجم الادباء ١٨ : ١٧٩ ، وانباه الرواة للقفطي ، وبغية الوعاة ٨٤ وبروكلمان G.A.L. الذيل ١ : ٢٣٢

(٢) راجع معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٢ والبغية ص ٨٤ : وابن الفرضي رقم ١٣١٦ والديباج المذهب لابن فرحون ص ٢٦٢ ، والشذرات لابن العماد ٣ : ٦٢ ونفح الطيب للمقري ٤٦٢ وبروكلمان G.A.L. الذيل ١ : ٢٣٢ — ٢٣٣

وأبو عثمان سعيد بن محمد المعافري القرطبي السرقسطي ابن الحداد (- ٤٠٠)

كان من فضلاء علماء الأندلس وكبار النحاة بارعاً بالعربية والجدل. قال الزبيدي: كان أستاذاً في غير ما فن، عالماً بالعربية واللغة وكان الجدل أغلب الفنون عليه وكان دقيق النظر جداً ثابت الحجة شديد المعارضة حاضر الجواب وله كتب كثيرة منها (توضيح المشكل في القرآن) و (الأمالي) و (كتاب الأفعال) وغير ذلك وقد ضاعت [(١)] .

وأبو العباس أحمد بن عبد الرحمن المشهور بابن مضاء القرطبي (- ٥٩٢)

كان من أفراد العلماء براعة في العربية واللغة والفقه تولى قضاء الجماعة بقرطبة وكان له تقدم في العربية وآراء فيها خالف فيها غيره من العلماء وكان مقرئاً مجوداً محدثاً مكثراً عارفاً بالأصول، والكلام، والطب، والهندسة والحساب، وكان متوقد الذكاء، خلف آثاراً جليلة في النحو والفقه والعقائد [(٢)] وقد ضاع أكثرها ولم يبق من آثاره إلا (كتاب الرد على النحاة) الذي نقد فيه مذاهب نحاة عصره والأقدمين.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال ابن الزبير: أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء أخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه تفهماً وسمع عليه وعلى غيره من الكتب النحوية واللغوية والأدبية ما لا يحصى وكان له تقدم في علم العربية واعتناء وآراء فيها ومذاهب مخالفة لأصلها .. وقد رد عليه الإمام ابن خروف بكتاب سماه (تنزيه أئمة النحو عما نسب اليهم من الخطأ والسهو) ولما بلغه ذلك قال: نحن لا نبالي بالأكباش النطاحة وتعارضنا أبناء الخرفان.

هؤلاء هم بعض أئمة المدرسة الأندلسية، ويلاحظ القارئ أننا ذكرنا في آخرهم الإمام ابن مضاء النحوي مع أنه من علماء القرن السادس وهو متأخر عن العصر

(١) بغية الوعاة ص ٢٥٧

(٢) بغية الوعاة ص ١٣٩ وغاية النهاية لابن الجزري ١ : ٦٧ .

الذي نؤرخه وهو عصر ابن جني فاننا انما فعلنا ذلك لننبه القارئ الى أن آثار هذه المدرسة وإن كانت قد ضاعت فاننا نجد بعض آثارها لدى هذا النحوي المتأخر .

موقف أبي الفتح ابن جني من هذه المدارس الأربع :

هذه هي مدارس النحو الأربع الكبرى وقد كان ابن جني لا يتقيد بواحدة منها ، بل يدرسها جميعاً وينتقي منها ما يروقه أو يرى أنه الصحيح ، وكان يناقش أرباب هذه المدارس وبخاصة أرباب مدرستي البصرة والكوفة ، وكان يرى أن هؤلاء هم أولى العلماء بالمناقشة والبحث [1] ؛ قال في باب القول على إجماع أهل اللغة العربية متى يكون حجة : اعلم أن إجماع أهل البلدين انما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألاّ تخالف المنصوص والمقيس عليه فأما ان لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليك ، وذلك انه لم يرد ممن يُطاع في قرآن ولا سنة انهم لا يجتمعون على الخطأ [2] » فهذا القول يدلك على أنه لا يخالف أئمة المدرستين أو غيرهما إذا كانت لديهم الحجج القوية والأدلة القطعية أما إذا لم يوردوا الحجج ويبرهنوا على ما ذهبوا اليه فلك أن تخالفهم وتناقش أقوالهم لأن إجماعهم ليس إجماعاً ورد به الدين أو أمر به الكتاب والسنة « وانما هو علم منتزع من شعراء هذه اللغة فكل من فُرِق له علم صحيح وطريق نهجه كان خليل نفسه وأبا عمرو فكره » [3] فليس الخليل بن أحمد ولا أبو عمرو بن العلاء على جلالة قدرهما وسعة علمهما وإجماع الناس على أنهما الإمامان الجليلان اللذان أوتيا العلم الوافر والعقل المستنير ، معصومين من الخطأ أو ممنوعين من الوقوع في الخطل ، وكل إنسان آتاه الله العلم واستطاع أن يهتدي بعقله وبحثه واستقرائه وتحقيقه الى علم جديد وبحث مفيد .

(١) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ٣

(٢) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١٩٦

(٣) راجع الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١٩٧

مذهب ابن جني في النحو : رأيت فيما سبق أن أبا الفتح لم يكن متقيداً بمذهب مخصوص فلا كان بصرياً ولا كوفياً ولا بغدادياً ولا اندلسياً بل كان أمة مستقلاً برأيه وان كان الى مذهب البغداديين أقرب والى آرائهم أميل لأنه تأثر بأستاذه أبي علي الفارسي بعض الشيء ، فهو يذكر في مقدمة كتاب الخصائص أنه بعد أن انكشفت له أسرار اللغة العربية وخصائص دقائقها وسر إتقانها أراد أن يؤلف هذا الكتاب ويجعل للغة العربية ونحوها أصولاً كما جعل العلماء للفقه والكلام أصولاً وانه شرع في ذلك وان علماء الكوفيين والبصريين لم يستطيعوا أن يفعلوا فعله على الرغم من اطلاعهم على تلك الأسرار وعلى محاولاتهم عمل بعض الكتب المتعلقة بأصول النحو مثل عمل أبي بكر محمد بن السراج شيخ أستاذه أبي علي الفارسي الذي ألف (مصنفات حسنة وأحسنها وأكبرها كتاب الأصول فانه جمع فيه أصول علم العربية وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب وكان ثقة)[1] .

يقول ابن جني « إن تعربد (أي تهرب) كل من الفريقين البصريين والكوفيين عنه وتحاميهم طريق الإلمام به ، أو الخوض في أدنى أوشاله وخلجه ، فضلاً عن اقتحام غماره ولججه ، إنما كان لامتناع جانبه ، وانتشار شعاعه ، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه ، وذلك اننا لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه فأما كتاب أبي بكر فلم يلمم بما يحسن عليه إلا حرفاً أو حرفين في أوله ... على أن أبا الحسن (أي الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (— ٢١١) قد كان صنف في شيء من المقاييس كتيباً اذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك أنا نبنا عنه فيه .. »

فأنت ترى من كلامه هذا أنه شديد الاعتزاز بما أبدعه وان أحداً من العلماء

---

(١) نزهة الألباء لابن الانباري ص ٣١٤

السابقين على جلالة قدر كثير منهم لم يحوموا حول حوضه ولم يأتوا بشيء من المباحث التي جاء بها لا يستثنى من ذلك أحد من علماء المصرين ، الكوفيين والبصريين ، يقول في باب القول على إجماع أهل العربية متى يكون حجة ؟ :

« إن إجماع أهل البلدين انما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا تخالف المنصوص أو المقيس على النصوص فاذا لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه وذلك انه لم يرد ممن يطاع أمره في قرآن ولا سنة انهم لا يجتمعون على الخطأ كما جاء النص عن رسول الله ﷺ من قوله « أمتي لا تجتمع على ضلالة » وانما هو منتزع من استقراء هذه اللغة ، فكل من فُرِق له على علة صحيحة وطريق نهجة كان خليل نفسه ، وأبا عمرو فكره ، إلا أننا مع هـذا الذي رأيناه وسوغنا مرتكبه لا نسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي قد طال بحثها وتقدم نظيرها وتتالت أواخر على أوائل ... »

الى ذلك الكلام الذي أثبت فيه فضل علم الأوائل من أهل البصرة والكوفة معاً ، وكشف عن جهودهم في صيانة لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والشعر العربي ، إلا أن هذا لم يمنعه أن يكوّن لنفسه مذهباً خاصاً به ، ويرى أن قولهم « ما ترك الأول للآخر شيئاً » قول غير صحيح ، كما ذهب اليه الجاحظ وأبو عثمان المازني الذي يقول « إذا قال العالم قولاً متقدماً فللمتعلم الاقتداء به والانتصار له والاحتجاج بخلافه إذا وجد الى ذلك سبيلا » ويورد ابن جني بعد ذلك بعض الأقوال التي خالف فيها قول الأوائل والأواخر ويستدل على صدق نظريته قائلاً « فمما جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم والى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم (هذا جحر ضب خرب) فهذا يتناوله آخر عن أول وتالٍ عن ماضٍ على أنه غلط من العرب لا يختلفون فيه ولا يتوقون عنه ، وانه من الشاذ الذي لا يحمل عنه ولا يجوز رد غيره اليه ، وأما أنا فعندي ان في القرآن مثل هذا الموضع نيفاً على ألف موضع وذلك انه على حذف

المضاف لا غير فاذا حملته على هذا الذي هو حشو الكلام من القرآن والشعر ساغ وسلس وشاع وقبل [١] » .

وهو أيضاً ينتقد البغداديين كما انتقد البصريين والكوفيين فيقول في باب (إسقاط الدليل) : « ومن ذلك قول البغداديين ان الاسم يرتفع بما يعود عليه من ذكره نحو زيد مررت به ، وأخوك أكرمته فارتفاعه عندهم إنما هو لأن عائداً عاد عليه فارتفع بذلك العائد ، وإسقاط هذا الدليل ان يقال لهم فنحن نقول زيد هل ضربته ؟ وأخوك متى كلمته ؟ ، ومعلوم أن مابعد حرف الاستفهام لا يعمل فيما قبله [٢] » فهذا يدلك على أن أبا الفتح إنما هو أمة مستقل في رأيه يفتش عن الحقيقة فحيث وجدها فثم مذهبه . وهو لا يقنع إلا بالبراهين والأدلة الثابتة فمن كانت أدلته أقوى كان هو الموثوق بقوله وإلا فلا ، ويظهر أنه كان على الرغم مما سبق ميالاً الى مذهب البصريين شديد الانتقاد لمذهب الكوفيين ، فهو ميال الى البصريين مثل شيخه أبي علي الفارسي ، وهو يعتمد مذهبهم ويجري في كتبه ومباحثه وأقواله على طريقتهم ، الا إذا وجد الحجة التي تحمله يميل عن مذهبهم الى مذهب غيرهم أو إلى مذهب جديد .

يقول في سر الصناعة في (حرف النون) في صدد قول الشاعر :

أن تهبطين بلا قو م يرتعون من الطلاح

ان الكوفيين يقولون إن هذا تشبيه (أن) بـ (ما) التي في معنى المصدر « فأما قولنا نحن فانه أراد (أنّ الثقيلة) وخففها ضرورة وتقديره انك تهبطين » .

ويقول في سر الصناعة أيضاً في (حرف الكاف) في قولهم (أنت كزيد) ان الكاف اسم تقديره أنت مثل زيد وان هذا قول أصحابنا وان كان قد أجاز بعض البغداديين أن يكون في هذا النحو الذي هو غير مشتق من الفعل ضمير

---

(١) الخصائص الطبعة الاولى ١ : ١٩٦ - ١٩٩

(٢) الخصائص الطبعة الاولى ١ : ٢٠٩

كما يكون من المشتق » . ولا شك في أنه يقصد بقوله (أصحابنا) أئمة البصرة فإن هذا هو مذهبهم .

وصفوة القول ان أبا الفتح لم يكن بصريًا خالصًا ، ولا كوفيًا خالصًا ولا بغداديًا خالصًا ولكنه كان ينتقي القول الذي يراه جديرًا بالانتقاء ، وانه قال أقوالاً في الصرف واللغة والنحو انفرد بها والشواهد على ذلك جد كثيرة .

فما انفرد به في النحو : تجويز إظهار متعلق الظرف الواقع خبرًا في الكون العام مثل قولك محمد عندك ، قال ابن يعيش في شرح مفصل الزمخشري : « اعلم أنك لما حذفت الخبر الذي هو (استقر) أو (مستقر) وأقمت الظرف مقامه على ما ذكرنا صار الظرف هو الخبر والمعاملة معه وهو مغاير المبتدأ في المعنى ونقلت الضمير الذي كان في الاستقرار الى الظرف وصار مرتفعًا بالظرف كما كان مرتفعًا بالاستقرار ثم حذفت الاستقرار وصار أصلاً مرفوضًا لا يجوز إظهاره للاستغناء عنه بالظرف وصرح ابن جني بجواز إظهاره والقول عندي في ذلك ان بعد حذف الخبر الذي هو الاستقرار ونقل الضمير الى الظرف لا يجوز إظهار ذلك المحذوف [1] » .

ومما انفرد به أيضًا في النحو قوله في علة المنع من الصرف « إن [2] الأسباب المانعة من الصرف تسعة واحد منها لفظي وهي شبه الفعل لفظًا نحو أحمد ويَرْمَعْ وتَنْضُبْ وإثمد وأُبلُم وبَقَّم واستبرق [3] ، والثمانية الباقية كلها معنوية ، كالتعريف والوصف والعدد والتأنيث وغير ذلك ... » مع أن النحويين يقولون إن السبب المعنوي هو العلمية والوصفية والباقي هو أسباب لفظية .

ومما انفرد به إدخاله (قد) على الفعل المنفي وقد استعمل هذا الاستعمال

---

(١) شرح المفصل : الطبعة المنيرية ١ : ٩٠

(٢) الخصائص الطبعة الأولى ١ : ١١٤

(٣) اليرمع هو الحجارة الرخوة الصغيرة ، والتنضب شجر معروف في الحجاز ، والابلم هو أغصان المقل ؛ والبقم شجر يصبغ بورقه . والاستبرق : حرير سميك .

كثيراً في كتبه كالخصائص وسر الصناعة فمن ذلك قوله في الخصائص « كما ان القول قد لا يتم معناه إلا بغيرة » [1] وهذا أمر ما قال به النحويون قبله ولا أجازه من جاء بعده ·

ومن ذلك إجازته إدخال أداة التعريف على (بعض) كقوله (فلما كان الأمر كذلك واقتضت الصورة رفض البعض واستعمال البعض [2]) وقد منع النحويون المتأخرون هذا مع أن سيبويه قد استعمله في كتابه ·

مذهبه في اللغة والتصريف : تعمق ابن جني في حفظ كلام العرب ورواية لغتهم والغوص عن أسرار أساليبهم حتى أشربت لغتهم بروحه وقد ظهر هذا في بحوثه الصرفية التي تتجلى في كتابه « سر الصناعة » وفي المباحث اللغوية العديدة التي حفظها لنا اللغويون المتأخرون في كتبهم كابن سيده وابن منظور وغيرهما من أئمة اللغة ، وان كانت كتبه قد ضاعت ·

وابن جني كما يتجلى لنا من قراءة كتب الصرفيين واللغويين المتأخرين الذين جاءوا بعده ، هو إمام مجدد ذو أثر عميق في هذه اللغة ، أسبغ عليها ثوباً جديداً بمباحثه الصرفية ، واللغوية ، وقد ظهرت صور من ذلك الأثر في كتب كبار المؤلفين الذين جاءوا من بعده وبخاصة ابن سيده علي بن أحمد الإمام اللغوي (— ٤٥٨) فقد تأثر هذا الإمام الكبير اللغوي بمباحث ابن جني وبألفاظه وحفظها حتى انه ربما أورد ألفاظه وعباراته دون أن يشير اليه أو يعزو في كتابيه الجليلين (المخصص) و (المحكم) · حتى ان ابن منظور الذي جاء بعد ابن سيده ينقل كلام ابن سيده وينسبه اليه مع أنه لفظ ابن جني ·

واللوم في هذه القضية يقع على ابن منظور لا على ابن سيده فان ابن سيده

(١) الخصائص الطبعة الثانية ١ : ٢٠

(٢) الخصائص الطبعة الثانية ١ : ٦٤

رجل أعمى ألف هذه الكتب الجليلة في اللغة من إملائه فلا ضير عليه أن يهمل ذكر اسم ابن جني ، ولكن الضير على ابن منظور الذي جاء بعده ونقل أقواله ورأى خطأ ابن سيده ولم ينبه عليه .

وعلى هذا فلسنا نشاطر الأستاذ محمد علي النجار قوله في مقدمة الطبعة الثانية من الخصائص : (فتح ابن جني في العربية أبواباً لم ينسن فتحها لسواه .. وكان بذلك إماماً يحتاج إلى أتباع يمضون في سبيله ... على انه أتيح له لغوي كبير أغار على فوائده وبحوثه اللغوية ذلك هو ابن سيده ... وهو كثيراً ما يغفل العزو اليه في كتابه المحكم ويأتي صاحب اللسان فينقل ما في ابن سيده وينسبه اليه وهو لابن جني)[1] فنحن نعذر ابن سيده للسبب الذي ذكرناه آنفاً ولكنا لا نجد لابن منظور أي عذر .

والحق ان كتب ابن جني قد كانت معيناً لأئمة اللغة الذين كتبوا من بعده وفي طليعتهم ابن سيده ، وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة (– ٤٦٦) وابن الأثير في المثل السائر (– ٦٣٣) ، وابن منظور في اللسان ، والسيوطي في الأشباه والنظائر (– ٩١١) وغيرهم . واننا لو رحنا نفتش خلال العصور منذ القرن الرابع للهجرة حتى هذا القرن عن إمام كان له مثل أثر ابن جني فين جاء بعده لم نجده فان كتبه بأسلوبها المشرق وأفكارها المتسقة قد بلغت الأوج ، فلا كتب سيبويه ولا أبي علي الفارسي ولا أبي بكر بن السراج قد بلغت المنزلة التي بلغتها كتب ابن جني رحمه الله وجزاه عن هذه اللغة ما يستحقه .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

---

(١) مقدمة طبعة الخصائص الثانية ١ : ٢٩

التعريف والنقد

مذكراتي

عن الثورة العربية الكبرى

كتاب في ٢٨١ صفحة للدكتور أحمد قدري
طبع في دمشق سنة ١٣٧٥ هـ و ١٩٥٦ م

الدكتور أحمد قدري من رجال الرعيل الأول الذين وضعوا أسس القضية العربية، وعملوا لها طيلة حياتهم، في بيض الأيام وسودها على السواء. فهو كلما جال اسمه في خاطري عادت بي الذكرى الى السنين الخوالي، يوم كنا، قبل الحرب العالمية الأولى، طلاباً في إسطنبول وفي باريس، نتذاكر في شؤون أمتنا العربية، ولغتنا الضادية، وفي تنكر الترك لحقوق العرب، وفي مجاهرتهم بأنه لا يجوز أن يكون في الدولة العثمانية إلا أمة واحدة، وهي الأمة التركية، وإلا لغة واحدة، وهي اللغة التركية، حتى إذا شبت نيران تلك الحرب الضروس، اهتبلوها فرصة مكنتهم من قتل صفوة شبابنا صبراً، ومن تشريد كرام الأسر العربية في مجاهل الأناضول، فكانت الثورة العربية الكبرى، وكان لا بد مما ليس منه بد.

وحسبي أن أقول في هذه المذكرات ان الدكتور أحمد قدري كان من مؤسسي «المنتدى الأدبي» في الآستانة سنة ١٩٠٩ م، ومن مؤسسي جمعية «العربية الفتاة» في باريس سنة ١٩١١ م، وانني كنت في تلك الأيام أختلف في باريس الى غرفته بشارع الإستراباد، فأسميها قنصلية العرب، وأسمي الدكتور قنصل العرب، لما كان له من مروءة وأريحية في خدمة كل ما يمت الى العرب والعروبة بصلة.

لقد التحق الدكتور بالثورة العربية في أواخر أيامها ، ودخل الشام مع الملك فيصل الأول ضابطاً له ، ورافقه الى باريس ، ومكث قريباً منه في دمشق الى حين احتلال الجيش الفرنسي لسورية في صيف سنة ١٩٢٠ م . فهو إذن حينما يتكلم على القضية العربية ومغزاها ، وعلى الثورة العربية ودواعيها ومراميها ، وعلى دخول الجيش العربي الشام سنة ١٩١٨ ، وعلى الأحداث التي حدثت منذ ذلك الزمن حتى أيام الاحتلال الفرنسي ، فكلامه يكون كلام خابر لحقائق ، ووازن للوقائع ، وعلم بدخائل الأمور . وفي مذكرات الدكتور تفصيلات لا يجدها المطالع في كتاب آخر ، وفيها معلومات دقيقة لا يعرفها إلا الذين عاشوا مثله في حرم قضيتنا العربية .

مصطفى الشهابي

تاريخ العرب قبل الإسلام

الجزء الثالث (القسم السياسي)

http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأليف الدكتور جواد علي . عدد صفحاته (٦٦٤) صفحة من قطع الوسط من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . طبع في بغداد عام ١٩٥٣

هذا هو الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الإسلام الذي أخذ الدكتور المؤلف على عاتقه مواصلته . ينم كل فصل من فصوله على جهده المتواصل وعلمه الفياض وتحريه الحقائق من أوثق المصادر وأغزرها . تناولت أبحاث هذا الجزء تاريخ ممالك النبط وتدمر وسبأ وحمير وكندة وعرب جنوب الجزيرة وشمالها وأثر علائقهم باليونان والرومان والحبشة في حياتهم السياسية والاجتماعية وما خلفته اليهودية والمسيحية في عقائدهم .

وفي الكتاب حقائق عن ماضي العرب المجهول الذي أهمله القدمى من الاخباريين وكشفه لنا الآثاريون المحدثون ، خرج بها علينا بصورة حية لماض مضطرب

لقد التحق الدكتور بالثورة العربية في أواخر أيامها ، ودخل الشام مع الملك فيصل الأول ضابطاً له ، ورافقه الى باريس ، ومكث قريباً منه في دمشق الى حين احتلال الجيش الفرنسي لسورية في صيف سنة ١٩٢٠ م . فهو إذن حينما يتكلم على القضية العربية ومغزاها ، وعلى الثورة العربية ودواعيها ومراميها ، وعلى دخول الجيش العربي الشام سنة ١٩١٨ ، وعلى الأحداث التي حدثت منذ ذلك الزمن حتى أيام الاحتلال الفرنسي ، فكلامه يكون كلام خابر لحقائق ، ووازن للوقائع ، وعلم بدخائل الأمور . وفي مذكرات الدكتور تفصيلات لا يجدها المطالع في كتاب آخر ، وفيها معلومات دقيقة لا يعرفها إلا الذين عاشوا مثله في حرم قضيتنا العربية .

مصطفى الشهابي

تاريخ العرب قبل الإسلام

الجزء الثالث (القسم السياسي)

تأليف الدكتور جواد علي . عدد صفحاته (٦٦٤) صفحة من قطع الوسط من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . طبع في بغداد عام ١٩٥٣

هذا هو الجزء الثالث من تاريخ العرب قبل الإسلام الذي أخذ الدكتور المؤلف على عاتقه مواصلته . ينم كل فصل من فصوله على جهده المتواصل وعلمه الفياض وتحريه الحقائق من أوثق المصادر وأغزرها . تناولت أبحاث هذا الجزء تاريخ ممالك النبط وتدمر وسبأ وحمير وكندة وعرب جنوب الجزيرة وشمالها وأثر علائقهم باليونان والرومان والحبشة في حياتهم السياسية والاجتماعية وما خلفته اليهودية والمسيحية في عقائدهم .

وفي الكتاب حقائق عن ماضي العرب المجهول الذي أهمله القدامى من الاخباريين وكشفه لنا الآثاريون المحدثون ، خرج بها علينا بصورة حية لماض مضطرب

أدخلته الريبة المستحوذة على أفكارنا في عداد الأساطير ، وجعل من أبحاثه هذه نقطة انطلاق ثابتة لكل راغب في التوسع والمزيد ، وسيبقى هذا الكتاب لأجيال طويلة ، دعامة فكرية وعلمية للباحث العربي ينهل منه ويسترشد به ٠

جزى الله المؤلف عن أمته العربية كل خير وبارك في جهده ونفعنا بزيد علمه ٠

Khalil ben Ish'âq - Abrégé de la loi Musulmane selon. le rite de l'Imam Mâlek. I. Le rituel. Traduction nouvelle par G. H. Bousquet. Alger 1956.

المختصر في الفقه المالكي (القسم الأول — العبادات) لخليل بن اسحاق المتوفى سنة ٧٦٧ أو ٧٧٦ هـ ٠ أعاد نقله الى الافرنسية الأستاذ بوسكه ونشره معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب في الجزائر ٠ وهو في (٢٢٧) صفحة من القطع الوسط ٠ طبع في مدينة الجزائر عام ١٩٥٦ ٠

إن شهرة كتاب المختصر وانتشاره في بلاد المغرب العربي تغني عن التعريف به ٠ فقد اعتمده المغاربة منذ ظهوره في عباداتهم ومعاملاتهم ، وحل محل أمهات كتب المذهب كالموطأ لابن مالك والأسدية لابن الفرات والمدونة لسحنون وغيرها ٠ وهو عند المالكية بمنزلة منهاج الطالبين للنووي عند الشافعية ٠

كان يغلب على أهل افريقية المذهب الحنفي الى أن ولي سحنون التنوخي قضاء افريقية فانتشر فيها مذهب مالك ثم عزز في أيام باديس وعلي بن تاشفين فعم سائر بلاد المغرب ٠ وقد أصاب المذهب نكسة عارضة في زمن دولة الموحدين فأمر يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان على مذهب أهل الظاهر باحراق كتب مذهب مالك ونكل بأئمته وعظم شأن مذهبه مدة ولايته على المغرب ثم استعاد المذهب المالكي مكانته وساد البلاد ولا يزال كذلك الى هذا اليوم ٠

ولذلك رأينا بعض أفراد الدول التي لها مصالح في هذا الجزء من العالم الإسلامي

أدخلته الريبة المستحوذة على أفكارنا في عداد الأساطير ، وجعل من أبحاثه هذه نقطة انطلاق ثابتة لكل راغب في التوسع والمزيد ، وسيبقى هذا الكتاب لأجيال طويلة ، دعامة فكرية وعلمية للباحث العربي ينهل منه ويسترشد به .

جزى الله المؤلف عن أمته العربية كل خير وبارك في جهده ونفعنا بمزيد علمه .

Khalil ben Ish'âq - Abrégé de la loi Musulmane selon le rite de l'Imam Mâlek. I. Le rituel. Traduction nouvelle par G. H. Bousquet. Alger 1956.

المختصر في الفقه المالكي (القسم الأول — العبادات) لخليل بن اسحاق المتوفى سنة ٧٦٧ أو ٧٧٦ هـ . أعاد نقله الى الافرنسية الأستاذ بوسكه ونشره معهد الدراسات الشرقية في كلية الآداب في الجزائر . وهو في (٢٢٧) صفحة من القطع الوسط . طبع في مدينة الجزائر عام ١٩٥٦ .

إن شهرة كتاب المختصر وانتشاره في بلاد المغرب العربي تغني عن التعريف به . فقد اعتمده المغاربة منذ ظهوره في عباداتهم ومعاملاتهم ، وحل محل أمهات كتب المذهب كالموطأ لابن مالك والأسدية لابن الفرات والمدونة لسحنون وغيرها . وهو عند المالكية بمنزلة منهاج الطالبين للنووي عند الشافعية .

كان يغلب على أهل افريقية المذهب الحنفي الى أن ولي سحنون التنوخي قضاء افريقية فانتشر فيها مذهب مالك ثم عزز في أيام باديس وعلي بن تاشفين فعم سائر بلاد المغرب . وقد أصاب المذهب نكسة عارضة في زمن دولة الموحدين فأمر يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان على مذهب أهل الظاهر باحراق كتب مذهب مالك ونكل بأئمته وعظم شأن مذهبه مدة ولايته على المغرب ثم استعاد المذهب المالكي مكانته وساد البلاد ولا يزال كذلك الى هذا اليوم . ولذلك رأينا بعض أفراد الدول التي لها مصالح في هذا الجزء من العالم الإسلامي

تهتم بهذا المختصر وتوليه عناية خاصة وعمد غير واحد الى نقله أو نقل أبحاث منه الى لغاتهم وأخص بالذكر منهم الطبيب بيرون (Perron) فقد نقله بكامله الى الافرنسية في سني (١٨٤٨ — ١٨٥٤) كما نقله الى الايطاليـة جويدي (I. Guidi) بالاشتراك مع سنتيلانا (D. Santillana) في عام ١٩١٩ ٠ فتكون هذه الترجمة بعد انجازها الثانية باللغة الافرنسية وهي تمتاز عن الأولى بوضوح مصطلحاتها وإدراك أغراضها وتبسيط نصها ٠ وكان المترجم وهو من أساتذة الحقوق أميناً في نقله وموفقاً بعمله يتجلى فيه سعة علمه ونبل غايته ٠

جعفر الحسني

مستقبل المرأة العربية

في البيت والمجتمع

تأليف الأستاذ منير الشريف ، طبع في دار اليقظة العربيـة للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٥٣ ، وعدد صفحاته ١٨٣ من القطع الوسط

لصديقنا الأستاذ منير الشريف عناية بالموضوعات الاقتصادية والاجتماعيـة والسياسية ، فهو قد ألف في هذه الموضوعات عدة كتب ككتاب الضائقة الاقتصادية السورية ، وكتاب واجب النائب ، وكتاب أيها العرب اتحدوا ، وكتاب الشباب العربي ، وكتاب العلويين ، وكتاب القضايا الاقتصادية الكبرى ، وكتاب الإرادة ، وكتاب طريق الخلاص (الضريبة على رأس المال) ، وكتـاب مستقبل المرأة العربية ٠

وصف المؤلف في هذا الكتاب الأخير حال المرأة العربية في الماضي والحاضر ووازن بينها وبين المرأة الغربيّة فهاله أولاً ما أصاب المرأة العربيـة الحاضرة من انحطاط وتأخر ، ولكنه وجد مع ذلك في هذا الحاضر ما يدل على أن المرأة العربية الحديثة سائرة في طريق التقدم ٠ فما قاله في المرأة العربية الحاضرة : «إذا استثنينا عدداً قليلاً من الأوانس والسيدات في مصر وسورية ولبنان

والعراق والأردن ، فان المرأة العربية لا تزال تعيش في عهد البداوة ، غير عالمة بما وصلت اليه المرأة الغربية في العصر الأخير ، بل لا تعلم حالة المرأة العربية قبل عصور الانحطاط .... هذا ما يشجي كل عربي مخلص لقوميته ، مؤمن بوحدتها وسيادتها ونهضتها . لأن المرأة هي نصف عدد السكان ٪ وانها اذا لم تنهض نهوضاً علمياً حقيقياً ، وتقوم بما يجب عليها في بيتها ، وفي معاونة زوجها ، وتربية أولادها التربية الصحيحة ، وفي التوفير والاقتصاد ، فانها لا تنزل في قومها منزلة الكرامة » (ص ٦) . لذلك أراد المؤلف أن يصلح حياة البيت العربي باصلاح حياة المرأة ، فان المرأة عضو عامل في الأمة ، فاذا أهملناها أو تناسيناها لم نخلق مجتمعاً أفضل من المجتمع الحاضر . والمؤلف يتكلم في كتابه عن العلم والوطنية والتربية والاقتصاد والأخلاق والحرية كما يتكلم عن تدبير المنزل ، وحفظ الصحة ، والجمال .

وقد تكلف المؤلف في هذا الكتاب أسلوباً أدبياً أراد منه إثارة الاهتمام وإيقاظ الوعي ، ولكنه أسهب في ذلك الأسلوب حتى خرج به على الغرض المطلوب ، كقوله عند الكلام على براعة المرأة الغربية في الرسم : « أصبحت رسامة بارعة ، فجملت منزلها بزدان بأجمل الرسوم التي تريك جنان الطبيعة الضاحكة ، وماءها المعين ، المنحدر من سفوح الجبال ، كأنه عواميد من العاج واللجين ، والمنساب تحت لوحات زمردية ، تلاعبه بأغصانها المتدلية فوق سطحه ، وتريك الغابات النضيرة التي تأخذ بالألباب ، والجبال الشامخة التي كللتها الثلوج ، وصابحتها الشمس بذهبها الوهاج ، وتريك الطيور المتنوعة ذات الألوان البهيجة واقفة على أغصان الأشجار الظليلة تطل على نبع نضاخ ، وزهر فواح ، في يوم طاب هواؤه ، وصفت سماؤه ، فتحس في نفسك آنئذ أنك تسمع زقزقتها وصداحها ، وتريك الربيع بشبابه النضير ، وسنابل الحنطة يلاعبها الهواء ، فتموج كأنها شاطئ البحر اللازوردي عند هبوب النسيم ، وتريك الرياض الفرحة وأغنامها

المرحة» (ص ٤ — ٥) . وهذا كله كلام جميل لما فيه من بيان وطلاوة ورشاقة وبلاغة إلا أنه يدخل في كتاب عن التصوير الفني لا في كتاب عن مستقبل المرأة .

ومها يكن من أمر فإن «مستقبل المرأة العربية» كتاب جميل تضمن كثيراً من الأقوال الصادقة والأحكام الصحيحة ، وقد كتبه المؤلف بحماسة وطنية وعقيدة قومية تولد في نفس القارئ اعتزازاً بالماضي وإيماناً بالمستقبل . فنرجو لهذا الكتاب انتشاراً واسعاً ، ونشكر لمؤلف علمه الغزير وأدبه الجم .

جميل صليبا

مستقبلك في يدك ، متى عرفت ربك

تأليف السيد عبد الحميد الخطيب (نزيل دمشق)

السيد عبد الحميد الخطيب السفير السعودي ، والمدرس بالمسجد الحرام سابقاً — هو عالم عامل ، وشاعر ناثر ، دلت على فضله مطبوعاته المشهورة ، فقد نظم السيرة النبوية في ألفي بيت ، وتائيته الكبرى في الإسلام والمسلمين في خمسة آلاف بيت ، وله منظومة في التوحيد الخالص وعقائد السلف ، ومجموعة قصائد في حب الله ورسوله ، وقصيدة في الدعوة إلى الجهاد ، وجوهر الدين في العربية والانكليزية والأوردية ، وتفسير الخطيب المكي طبع منه أربعة أجزاء والإمام العادل مع تاريخ الحجاز في نصف قرن (وقد كتبنا عنه في مجلة المجمع) وغيرها من المؤلفات النافعة .

وكتابه هذا في التوحيد ، ولكنه موضوع بأسلوب جديد ، ومكتوب بقلم حديث ، وقد تكلم فيه — بعد المقدمة والتمهيد — على ذاته تعالى وصفاته وتصرفاته ، وأين الله ؟ وقدرته وقربه وكلامه ، ودستوره وضرر تعطيله ، ونظامه الكوني ، وعدله سبحانه ، وملائكته وكتبه ورسله ، وختمه بالبعث .

والأستاذ المؤلف قد جعل مؤلفه هذا لأهل الملل والنحل عامة ، لا للمسلمين خاصة ، وإن اقتصر في علاج الأمراض الاجتماعية البشرية على القرآن وحده ،

ورأى فيه الدواء الشافي واستخرجه منه ، ولم ير حاجة لدراسة الكتب السماوية الأخرى . وقد قسم كتابه هذا إلى أقسام ، وهذه الحلقة الأولى منه في معرفة الله تعالى ؛ وقد بيّن الغرض من وضعه ، وهو إنقاذ العالم من الشقاء الذي يتخبط فيه ، ومَرَدُّ هذا الشقاء إلى الجهل بما أودع الله فينا من قوة ، وما منحنا من سلطان ، يستطيع معه كل إنسان في الوجود أن يقرر مستقبله في هذه الحياة وبعد الممات متى طبَّق قانون الحياة الذي وضعه الله لعباده ، والذي لا يمكن أن يخطئ أبداً ، وترى هذا في المقدمة . وقد ندّد السيّد في كتابه بالذين يعزُون ما هم فيه من جهل وذلّ وفقر ، إلى عقيدة القضاء والقدر ، ونسبة كل شيء إلى القسمة والنصيب وما قدّر لهم في الأزل ، وذكر أن الله تعالى رتب الجزاء على العمل ترتيب المعلول على العلة والمسبَّب على السبب ، واستشهد بمثل قوله تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» . وقد فسَّر (القضاء) بفعل الله بعباده كالخلق والتكوين والحياة والموت ، والتذكير والتأنيث ، وقد استأثر الله بالعلم بهذا القسم . (والقدَر) وهو أحكام معلقة بشرط أو شروط لا تنفذ إلاّ بتوافرها ، وهي تتعلق بالأنظمة الكونية ، والسُّنن المطّردة والقواعد الكلية ، كالعمل لطلب الرزق ، ونيل السعادة في الدنيا والآخرة ، «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ، ومَن يعمَل مثقال ذرّة شراً يره» ويسرد كثيراً من آيات الجزاء على العمل ، فصار القدَر عبارة عن سعي وعمل ، لا ما قدّر عليه في الأزل ؛ وردّ ضمير «يشاء» ـ في قوله تعالى : «يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء» ـ إلى العبد لا إلى الرب ، أي من يشاء المغفرة سلك طريقها وهي التوبة النصوح ، والإيمان الصادق والعمل الصالح ، ومَن شاء العذاب سلك طريقه كالكفر والفجر ، وعياذاً بالله ، واستشهد بالآية الكريمة : «ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب ، مَن يعمل سوءاً يُجزَ به ، ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيرا» فهو سبحانه أجلّ من أن يتحيز إلى فريق من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العباد ، إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب الذي يدعو إلى العمل ، وينهى عن البطالة والكسل ، والاحتجاج بالقضاء والقدر ، أو بما سطّر في الأزل ، وقد علمتَ ما قُدِّر به القضاء . وما أجملتُه هنا لا يغني عن قراءة الكتاب ففيه التفصيل والتعليل ، والاستشهاد بالدليل إثرَ الدليل .

هذا وإن لنا بعض ملاحظات على هذا الكتاب أقتصرُ على ذكر أهمّها ، ونعلم أنّ صديقنا المؤلف سلفي المعتقد ، ويسرّه توجيه نظره الكريم إلى ما سها عنه ، فقد جاء (في ص ٦٢) تحت عنوان أين الله ؟ ما يأتي :

« لقد كان من جرّاء تأثر الناس بالمادة ... أن اختلفوا في تعيين موضعه : هل هو في السماء أم في الأرض أم فيهما معاً ، أم هو خارج عنهما ، وجرى أكثرهم على أنه تعالى في السماء ، وفق ما يلقّنه لهم آباؤهم ... ونحن إذ نؤمن بأن الله تبارك وتعالى ليس لشخصيته مادّية ، ما يكون لنا أن نتساءل عن موضعه أين هو ؟ لأنّ هذا من صفات الأجسام ، والله منزّه عن الجسمانية لا يحويه زمان ولا مكان »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجواب هذا أنّ النصوص القرآنية والأحاديث النبوية قد دلت جميعاً على أنّ الله تعالى هو عالٍ على سمواته التي هي مقرّ ملائكته ومهبط وحيه ، وأنه مستوٍ على عرشه ، أي عالٍ عليه أيضاً ، وبائن من خلقه ، لا يحلّ فيهم ولا يمتزج بهم .

ومما تقدّم يعلم أيضاً المراد من المعية في مثل قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » ، « إنني معكما أسمع وأرى » ، « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم » . فليس حقيقة هذه المعية المخالطة والمجاورة ، بل هي منفية قطعاً ، وإنما معناها معية العلم والقدرة والإحاطة ، ومعية النصر والتأييد والمعونة ، ومثل ذلك معنى القرب . وكلُّ من أقرّ بوجود ربّ للعالم مدبّر له ، لزمه الإقرار بمباينته لخلقه وعلوّه عليهم ، وكلُّ من أنكر

مباينته وعلوّه لزمه إنكاره وتعطيله ، والقول بأنه تعالى بذاته في السموات والأرض إثبات للنقيضين ، والقول بأنه لا داخل العالم ولا خارجه فيه نفي للنقيضين وكلاهما محال ، فبقي القول الثالث ، وهو قول الرسل وأتباعهم ، وقول العقل والعلم والفطرة ، وهو أنّه تعالى خارج العالم ، فوق سمواته على عرشه ، بائن من خلقه ، وهو غني عن عرشه ، غناه عن سمواته وأرضه .

هذا وقد شغلتني المعاني عن المباني ، ففي (ص ٦) وانما الذي ينقصنا فقط ومحل لفظ « فقط » بعد قوله : أقوم سبيله ، وفي (ص ١٠٤) من يكون له عند الله جاها ، والصواب (جاه) . وهذا سهو يسير وإنما المهم السهو في الآيات الكريمة ، وإني أدلّ عليها في صفحاتها وأعيدها مصححة :

ص ١٦ يمحو الله ما شاء « ما يشاء » ص ٤٣ ربي أني « أرني » ص ٤٣ انظر الجبل « انظر إلى » ص ٤٣ يعلم خافية « خائنة الأعين » ص ٦٠ إن تبدو « وإن تبدو » ص ٦٩ وكل من عليها « كلُّ مَن عليها فان » ص ١٣٠ إنا منا « وأنّا منا » ص ١٣٠ وجفان كالجوارب « كالجواب » ص ١٣٠ تأكل من سأته « منسأتَه » ص ١٣١ وإنا لمسنا « وأنّا » ص ١٣١ وإنا كنا نقعد وإنا لا ندري « وأنّا » « وأنّا » ص ١٣٩ وقدوها « وَقودها » ص ١٤٦ أطعمتم « أصمّم » ص ١٤٦ كل ما جاء أمةً رسولها « كلّما » .

وكنت أرجو أن أرى الأحاديث مخرّجة ، أو معزوّة الى كتب السنة وهي في ص ١٦ و ٤٢ و ٤٧ و ٥٦ و ٦١ و ٦٤ و ٨٣ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١١٤ ، و ١٢٩ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٤٣ وما تحتاج الى أكثر من يوم في « الظاهرية » .

أثاب الله الأستاذ « الخطيب المكي » وبارك في حياته ، وأمدّه بدوام معونته وتوفيقه .

كتاب (من شيم العرب)

الجزء الأول

تأليف فهد المارك

مؤلف هذا الكتاب الشيخ فهد المارك من متقدمي إخواننا الطلاب في دار التوحيد من مدينة الطائف وهو الآن الملحق الثقافي الأول في السفارة السعودية ، بدمشق ، ويجاورنا في حي الميدان فيعيد لنا عهد تلك الأيام .

أما كتابه هذا من « شيم العرب » فهو تاريخ وأدب ، وقد بلغ أكثر من ثلاثمائة صفحة ، وما هي بنقل لما في الكتب ، ولكنها وقائع حدثت لمعاصرين وغابرين من مشايخ البادية وحواضرها ، في مدة قرنين ، فهو يرويها عن أهلها أو عمن شاهدها أو عاصرها من الرواة الوعاة ، ويقصها عليك بأسلوبها البدوي ويشرحها لك بقلمه الحضري ، ويذكرك بقول القائل :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

وقد عقد كتابه هذا على فصول أربعة ، فالأول في الوفاء ، والثاني في الأمانة ، والثالث في العفو ، والرابع في عفة نساء العرب . وانك لتجد مصداق هذه العناوين في فصولها ، وهي من أعجب ما سمع ، وأصدق ما روي . وقدم الكتاب بمقدمة وجه فيها الأنظار إلى قصصه الروائع ، وما تضمنته من حوادث ووقائع ، دونها خشية الضياع ، والحرمان من هذا التراث القومي الأدبي ، ورسم فيها المناهج الخلقية والعملية للناشئين ، لا سيما شداة الأدب ، ورواة آثار العرب . ونعى على قراء القصص الخيالية التي لا أثر لها في عالم الحس والوجدان ، ومن جمدوا على ضرب الأمثال بمن قضوا ومضوا ، فقال : هلم معي اقرأ هذا الكتاب تجد في حقله ما يفوق وفاء السموءل ، ويعلو على كرم حاتم ، ويسمو على شجاعة عنترة ، ويزيد على حلم الأحنف . وقد بدأ حديثه بما سماه (قصة عالية) لشهرتها ببطليها القحطانيين الهادي والسبيعي اللذين ذهبا مثلاً بوفاء كل منهما لصاحبه ،

وقصة ماجد ومفوز الشمريين ، والأولى والثانية هما أطول قصص الكتاب ، فقد استغرقتا أكثر من ثمانين صفحة ، وواحدة عشر صفحات ، وثنتان فوقها (أي العشر) ، وكلٌّ من الباقي دون العشر ، وفيها كلها عظات وعبر ، وفيها الشعر الزجلي أو الشعبي مشكولا ، وقد شرحه الأستاذ فهد شرحاً جميلاً ، وفسّر مفرداته ومصطلحاته بما يزيل عنه كلَّ لَبس وغموض ، واستشهد لمعانيه بشواهد من شعر الفحول على اختلاف العصور ، مما دلّ على طول باع ، وسعة اطلاع ، وتذوق للأدبين العربي والزجلي ، والمؤلف له حظ ونصيب منهما كليهما . وله تعليقات مفيدة في كتابه على الحوادث والأشخاص ، فهو يردّهم الى قبائلهم وعشائرهم ، ويوضح ما أشكل من أحوالهم ومسائلهم . وقد كتب مؤرخو العرب والمستشرقون في تاريخ عرب الجزيرة السياسي ، ولكنهم لم يدونوا تاريخها الأدبي والاجتماعي ، وانما يعرفه أهله ، والمؤلف منهم في الصميم ، وقد عرف قيمة كتابه فاحتفظ بحق إعادة طبعه لنفسه ، وعدم ترجمته إلا بإذنه ، ونحن نحث أبناء العروبة على دراسته ليعرفوا أصول البادية ومكارمها ، كما يعرفون قوانين الحاضرة وشؤونها ، ومن أحكام البادية ما هو جائر ، كقطع مفرج رأس ابنه وتقديمه الى صديقه المهادي ، وانما يلزمه التعزيز بما دون القتل ، وليس من غرضنا نقد هذه الأحكام ، بعد أن هدى الله أهلها الى الإسلام .

وقد وُضع في آخر الكتاب ، جدول للخطأ والصواب ، وبقيت هَنَات يرجى تصحيحها ، منها :

إثبات همزة الوصل ، ووضع همزة إنّ المكسورة فوق الألف أحياناً ، كما ترى في (ص ١٩) وغيرها . وفي ص ٨٣ س ١٧ : عمرواً وصوابها : «عمراً» ، ٨٩ / ٣ : الأقدام : «الإقدام» ، ٩١ / ٣ : وصيره أسودا «أسود» ، وفي آخر ص ٩٤ و ٩٨ : لوحدهم «وحدهم» ، ١١٩ / ٢ : ألبس : «لبس» ، ١٣٢ / ١٥ : كما أنّ هناك وجه شرعي : «وجهاً شرعياً» ، ١٤٨ / ٨ : واليمين

من أنكر: «على من أنكر»، ١٦٦/ ٤: الساعة الحادية عشر: «عشرة»، ١٩٨/ ١٨: جماد الأولى: «جمادى»، ١٩٩/ ٤ و ٧: والأمارة: «الإمارة» و ١٢ مبلغاً آخرا: «آخر»، ٣٠٠/ ٥: سيما: «لا سيما»، و س ٩: محطا الأنظار: «محط الأنظار»، و س ١٥: لم براه: «لم يره»، ٢٧٣/ ١١: (١٣٥٧): «١٣٧٥» و ٣٠٣ في الحاشية: مدة عشرة سنوات: «عشر».

المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون

هي رسالة بقلم الأستاذ الشهير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، كتبها ردًّا على كتاب وجهه اليه نائب رئيس جمعية أصدقاء الشرق الأوسط، الدكتور كارلندايڤانز هوبكنز، يدعوه فيه إلى حضور المؤتمر الذي انعقد في بحمدون في ٢٢ — ٢٧ نيسان سنة ١٩٥٤ (في أواخر شعبان سنة ١٣٧٣) للبحث عن القيم الروحية والمثل العليا في الإسلام والمسيحية، للفرد والأسرة والمجتمع، والذي حضره خمسون عالمًا من علماء المسلمين والمسيحيين من أقطار العالم كله، وبحثوا في تعبئة القوى الروحية التي وردت في تعاليم الدين، وتبيان عقم الفلسفة المادية الفانية، وقد اعتذر المؤلف عن الحضور مكتفيًا بهذا الجواب الذي يقع في نحو مائة صفحة بالقطع المتوسط، وكله تذكير وتحذير من الوقوع في شباك استعمار الدول الكبرى، التي نكبت فلسطين هذه النكبة العظمى، وفي أوله مقدمة ناشره لطبعاته الثلاث، وفي آخره نحو عشرين صفحة مما نشر في تقريظه.

هذا ومن حق هذه الطبعة الثالثة أن تكون خالية من الأغلاط العظيمة، التي وقعت في الآيات الكريمة، وعجيب والله هذا التساهل في الخط، وفي عدم الرجوع الى الآيات والسور في الفهارس، ممن يلقبون بأئمة الدين، فانظر وتأمل:

ص ٣٨ س ٩ : ولا تجعلها مغلولة الى عنقك ، فتقعد ملوماً محسورا . والآية الكريمة : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ، فتقعدَ » الآية

ص ٥٣ س ٩ : ولا تتخذوا اليهود . والآية : « لا تتخذوا » بلا واو

ص ٥٤ س ٩ : قاتلوهم حتى لا تكون فتنة . « وقاتلوهم » بالواو

ص ٥٩ س ٢ : أحسن كما أحسن الله اليك : « وأحسن » بالواو

ص ٦٩ س ١٤ : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء . الآية : « وايتاء ذي القربى وينهى » .

ص ٦٣ س ١١ : العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . الآية : « ولله العزة » الخ الآية

ص ٨٠ س ١ : قست قلوبهم فهي كالحجارة . الآية : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة »

ص ٨٣ س ١٨ : إنما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس »

ص ٨٤ س ٨ : لعن الذين كفروا ... كانوا لا يتناهون : « ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون ، كانوا »

ص ٨٥ س ٩ : سنة الله في الذين خلوا ولن تجد : « سنة الله في الذين خلوا من قبلُ »

ص ٨٨ س ٩ : وانَّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات أولئك يلعنهم الله : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ـ من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك » الخ الآية

هذا ونرجو اذا أعيد طبع الكتاب أن يصححوا الآيات الكريمة كما أوردناها ، والله يشكر للأستاذ الجليل دفاعه عن الإسلام وحقائقه ، وبيانه لمزاياه وخصائصه ، وفضحه للاستعمار ومفاسده ، ولكنه (رحمه الله تعالى) لو حضر مؤتمر المحمدين الذي انعقد في العام الماضي ، لرأى وسمع ما تقر به عينه ، ويثلج به صدره ،

وقد حضره من علماء الشيعة الأستاذان : الخالصي ، والشيخ علي من آل كاشف الغطاء ، وكان اجتماع الاسكندرية الذي جرى في هذا العام (٩ — ١٤ شباط ١٩٥٥م و ١٥ ج ٢ سنة ١٣٧٤) مؤيداً ومؤكداً لمؤتمر بحمدون . وقد نشرت — بعد عودي من القاهرة — في بعض الصحف الدمشقية الكبرى ما يتعلق بفلسطين خاصة من خطابي المطوّل الذي ألقيته في الاسكندرية ، ولولا اجتناب مجلتنا (المجمع العلمي) لمسائل الدين والسياسة لنشرته فيها بطوله ، ولكننا نكتفي بنشر القرار الإجماعي للمؤتمر الإسلامي المسيحي بشأن مشكلة فلسطين ، وقضية اللاجئين حفظاً للحقيقة والتاريخ ، وهذا نصه :

« نحن أعضاء اللجنة التنفيذية للجنة مواصلة العمل في التعاون الإسلامي المسيحي الذين نجتمع الآن في الاسكندرية في ١١ فبراير سنة ١٩٥٥ ، نلاحظ بكل أسف أن آلام العرب الفلسطينيين لم تخف ، وأنه لم يحدث تقدم في حل مسألة اللاجئين منذ اجتماعنا في مؤتمرنا في بحمدون .

لهذا قررنا في اجتماعنا أن نجدد تأكيد القرار الذي اتخذ بالإجماع في مؤتمر بحمدون ، والذي كانت صيغته كما يلي :

نحن المشتركين في الاجتماع الإسلامي المسيحي الدولي في تاريخ العالم نشعر شعوراً عميقاً بخطورة مشكلات تلك المنطقة التي ينعقد فيها المؤتمر ، ونأسف أشد الأسف لما أصاب الأرض المقدسة المحوطة بالتقديس والاحترام عند الجانبين الإسلامي والمسيحي من تمزيق وعدوان ، فما من مكان في العالم أحوج اليوم إلى السلام من مسقط رأس ذلك الذي جاء إلى الأرض يحمل رسالة السلام . إن الحالة الراهنة في الأرض المقدسة ، قد بعثت القلق وعدم الاستقرار في قلوب سكان المناطق المجاورة لها في تلك البقاع التاريخية للإسلام والكنيسة المسيحية الأولى ، إذ رأوا اللاجئين المطرودين من بيوتهم ، والمحرومين من تراثهم ، مشردين في الأصقاع . وإن بؤسهم لعبء ثقيل على قلوبنا وضمائرنا ، وإن رسالة الرجاء التي

تنادي بها ، والتعاون المتبادل الذي ندعو اليه لبناء عالم أفضل ، ربما بعثت في نفوسهم التي تعيش في بأس شديد شعوراً بالمرارة والسخرية ؛ ولكننا مع ذلك معجبون بقوة عقولهم ، وصلابة أخلاقهم ، فهم إلا القليل منهم باقون على الإيمان بالله ، وعلى الإيمان بأن الغلبة في النهاية للعدل والحق ، وهم لن يفقدوا الرجاء في أن العدل والحكمة سيسيطران على الموقف بواسطة جمعية الأمم المتحدة .

إننا نستطيع أن ندرك السبب الذي قد يحمل بعض هؤلاء اللاجئين على الخضوع لتجربة البعد عن الله ، فمنهم المتألمون لخذلان أبناء دينهم لهم ، ومنهم المتهكمون على العدالة التي تجاهر بها الدول الكبرى ، ومن بينها جمعية الأمم ذاتها . لذلك نعاهدهم - نحن الذين شهدنا بؤسهم - أننا لن ننساهم أبداً ، وأننا بعد أن نعود إلى أوطاننا سنرفع أصواتنا في سبيل قضيتهم ملحّين على حكوماتنا التي ننتمي إليها ، وعلى جمعية الأمم المتحدة في اتخاذ التدابير السريعة لإعادة من يمكن إعادتهم منهم إلى بيوتهم ، ولمنح التعويضات لمن تتعذر عودتهم ، ولمحاولة حل مشكلات الأرض المقدسة على أساس عادل ، حتى يكون سلام دائم حيث يوجد اليوم نزاع وخصام وسفك دماء . »

رسالة الصلاة

أوقاتها . كيفيتها . أنواعها . بقلم الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة

(ص ١ — ٨٩)

وتليها رسالة الصلاة وما يلزم فيها للإمام أحمد بن حنبل (٩٠ — ١١٧)

ويليها كتاب الصلاة وحكم تاركها للعلامة ابن القيم (١١٨ — ٢٧٢)

أما الرسالة الأولى فقد كتبت بأسلوب سهل ، وقول فصل ، (لا يشتكى قصر منها ولا طول) . ومن أهم مباحثها : الصلاة ومنزلتها في الإسلام ، وأمر الأديان بها - نهيها عن الفحشاء والمنكر - إجماع الصحابة على كفر تاركها - إشارة

القرآن الى أوقاتها ـ ركعات الفرائض والنوافل ـ أحاديث الصلاة في النعال ـ صلاة الجماعة والجمعة وما ورد فيها من أحاديث ـ صلاة العيدين وما ورد فيها ـ صلاة السفر والخوف والمرض وكيفياتها ـ الطهارة للصلاة وحكمتها . وهكذا . .

وجملة القول في وصف الرسالة : إنها لبيان الصلاة كيفية ، وخشوعا (والخشوع لبها وروحها) ومحافظة عليها . وقد أشرقت بنور ما أودع فيها من آيات كريمة ، وما بيّنها من أحاديث الأحكام ، مشروحة كلها شرحاً وجيزاً وافياً بالمقصود ؛ والبك ما جاء في أوائل الرسالة من يسر الصلاة ، ودفع الحرج والعسر عن المصلين : « وفي حديث ابن عباس في الصحيحين أنه (ﷺ) صلى في المدينة ثمانيا ـ يعني الظهر والعصر جميعا ـ وسبعا ، يعني المغرب والعشاء جميعا ، زاد مسلم : « من غير خوف ولا مطر » وكونه في المدينة دليل عدم السفر ، وقال أحد رواته : أراد أن لا يحرج أمته . (قال) : « في هذا الحديث فسحة طيبة ، ورخصة لطيفة لأهل الأعذار ، من مرض وسياقة سيارات وترام ، وخبازين وطباخين ، فلهم أن يجمعوا صلاتي الظهر والعصر معا ، والمغرب والعشاء معاً عند الحاجة الى ذلك ، لدفع الحرج الذي دفعه رسول الله (ﷺ) بهذا العمل ، ونصَّ الله تعالى عليه في كتابه العزيز : « ما جعل عليكم في الدين من حرج » وصرح بذلك أئمة قدماء ، يقدرون الضرورات قدرها ، ليسوا من المتنطعين في الدين ، ولا من المنفرين عنه ، بل ميسرين مبشرين ، يسهلون ما سهّل الله ورسوله » .

وأما رسالة الإمام أحمد فقد جاء في ترجمة صاحبه مهنا بن يحيى الشامي في وصفها ما نصه نقلاً عن الإمام : هذا كتاب في الصلاة وعظم خطرها ، وما يلزم من تمامها وأحكامها ، يحتاج اليه أهل الإسلام ، لما قد شملهم من الاستخفاف بها ، والتضييع لها ، ومسابقة الإمام فيها » كتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه ، الى قوم صلى معهم ببعض الصلاة .

والرسالة مثال من التعليم العالي لصلاة النبي (ﷺ) وأصحابه ، فهي تمثـل

أمامك الصدر الأول ، وما كان عليه من علم وعمل ، ومن تقوى لله عز وجل ، وهذا مثل من هديهم :

وجاء الحديث عن ابن مسعود أنه نظر الى من سبق الإمام فقال : « لا وحدك صليت ، ولا بامامك اقتديت ، والذي لم يصل وحده ، ولم يقتد بامامه ، فذلك لا صلاة له » .

وأما كتاب الصلاة وأحكام تاركها للإمام ابن القيم ، فأصله سؤال ورد في ذلك ، والمسؤول عنه فيه : سياق صلاته (ﷺ) من حين كان يكبر الى أن يفرغ منها سياقاً مختصراً كأن السائل يشهده .

قال السائل : فأرشد الله من دل على سواء السبيل ، وجمع بين الحكم والدليل ، وما أخذ الله الميثاق على أهل الجهل أن يتعلموا ، حتى أخذ الله الميثاق على أهل العلم أن يعلموا ويبينوا . فأجاب ابن القيم عن عشر مسائل ، وردت على لسان السائل ، وموضوعها الصلاة المفروضة ، وحكم تاركها عمداً ، وصلاة المصلي منفرداً وهو قادر على الصلاة جماعة ، وصلاة المسجد والبيت ، ومقدار صلاة الرسول ، وحقيقة التخفيف المأمور به الخ ...

وفي أجوبته تحقيق شافٍ ، وبيان وافٍ ، لا يترك في النفس شبهة ولا حاجة ، وعنده من التأصيل والتفصيل ، ومن عرض أقوال الأئمة أخذاً ورداً ، وقبولاً ورفضاً ، ما ليس عند غيره ، ساق هذا الإمام حجج الفريق الأول القائل بصحة إيمان من لم يصل ، وجاء بأدلة الفريق الثاني ، فعد من القرآن عشرة أدلة ، ومن السنة اثني عشر دليلاً بعدم صحة ايمانه ، ونقل اجماع الصحابة عليه ، ثم عقد فصلاً في الحكم بين الفريقين وفصل الخطاب بين الطائفتين ، ثم كان هو الحكم العدل بما عهد فيه من تحرير لمحل النزاع ، وانصاف للخصم ، وبعد عن الهوى ، وناهيك بما أوتي من سعة في العلم ، وإصابة في الحكم ، ونصر للدليل ، وطلب للحق ، وابتغاء لمرضاة الله تعالى .

وإن في صبره للأمور الاعتقادية والعملية ، وفي تقسيمها ، وبيان مراتبها وأحكامها ، ما يزيل اللَّبس ، ويجلي الحقيقة للنفس ، وينفي أنواع الجهالات عنها ؛ وفي أدبه مع الفريق المخالف له ما يدعو إلى حسن الأسوة ، وإن تعجب فعجب سعة صدره لإيراده جميع الشبهات ، وردها واحدة واحدة ، وفي الكلام إعادة وتكرار لبعض الأدلة والأحكام إذ هي أجوبة للسائل والمخالف ، والشاك والمنكر بكفر التارك للصلاة عمداً ، ولو اطلع شبابنا المثقف على هذه المباحث الشائقة ، وأدلتها الساطعة ، لأشرق نور الإيمان في قلوبهم ، وظهر أثره في أخلاقهم وأعمالهم . وهذه كلمة نصح وتذكير من المؤلف رحمه الله ، تصلح أن تكون توجيهاً لهم ، قال (ص ١٣٩) : «ولا تصغ إلى كلام من ليس له خبرة ولا علم بأحكام القلوب وأعمالها ، وتأمل في الطبيعة بأن يقوم بقلب العبد إيمان بالوعد والوعيد ، والجنة والنار ، وأن الله فرض عليه الصلاة ، وأنه يعاقبه معاقبة على تركها ، وهو محافظ على الترك في صحة وعافية ، وعدم الموانع المانعة له من الفعل» اهـ . وقد طبع الكتاب على نفقة سمو الأمير سعود (جلالة الملك سعود) أثابه الله تعالى ، وزاده توفيقاً .

(الى الحياة)

« آيات من كتاب الله تدعو إلى الصلاح والإصلاح »

أتبعها كلمات توضحها وتسهل فهمها : حمدي عبيد

الأستاذ حمدي عُبيد محافظ على وقته ، دؤوب على عمله ، فهو في كل عام يرينا ما ألفه ، أو اختاره أثراً مفيداً من الكلم الطيِّب ، الذي يهدي إلى العمل الصالح ، مقتبساً من هدي القرآن ، أو السنة المحمدية ، وما فيهما من هداية ورحمة ؛ فمنه ما هو أحاديث نبوية في العلم والحكمة ، أو في الأخلاق

والاجتماع والمدنية الصحيحة ، أو في الأدعية والأذكار المنتخبة من الصحيحين والسنن ، ومنه ما هو من (عيون الأخبار) وهو كما قال : سياسة وعدل ، وعلم وفضل ، وأدب ونبل ، وجد وهزل »، ومنه ما هو في التوجيه الخلقي والاجتماعي ، والسمو الروحي والمادي ، وقد كتبت مجلة مجمعنا العلمي تعريفًا بما تضمنته هذه الرسائل والكتب النفيسة .

وأمامنا الآن كتاب جديد مسمّى بهذا الاسم « إلى الحياة » ومتوجًا بهذه الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » . وقد قرأ المؤلف القرآن بتفكر وتدبر ، وأمعن النظر والفكر في الآيات المبدوءة بـ « يا أيها الذين آمنوا » وهي خطاب لكل من آمن بما نزل على محمد (ﷺ) وهو الحق من ربنا ، وأحصاها فبلغت ستًا وستين آية ، ثم فسرها بالظاهر المتبادر منها ، هي وما يتصل بها من الآيات مستمدًا من أدب القرآن وهديه ، وحال العصر وأهله ، بأسلوب عذب شيّق ، مستعينًا بمعاجم اللغة وبعض كتب التفسير ، مستلهمًا العلي القدير أن يلهمه الصواب ، ويؤتيه الحكمة وفصل الخطاب ، فالى القراء هذه الدعوة الكريمة من ربنا لما يحيينا ، ويبعث روح العمل والأمل فينا ، جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، « أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

والشكر للأستاذ عبيد لصرفه جهده في النافع الرافع . أثابه الله تعالى وزاده توفيقًا .

محمد بهجة البيطار

http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجلة معهد المخطوطات العربية

يصدرها « معهد المخطوطات العربية » التابع لجامعة الدول العربية
مج. الأول (في جزأين) : ٣٦٢ صفحة ، القاهرة ١٩٥٥

عناية العرب بالتأليف وجمع الكتب لا تعدلها عناية أمة من الأمم الغابرة ، وتراثهم المكتوب أوفر من كل تراث . ولكن عوادي الزمن سطت على ما خلفوه لنا من مخطوطات ، فاحترق بعض وتلف بعض ، ولم يسلم للأحفاد مما تركه الأجداد إلا قل من كثير ، ولم يبق لدينا منه بالقياس إلى ما كتبوه إلا نقطة من بحر . وقد تقاسمت دور الكتب في الغرب ما وقع لها من آثارنا ، ونحن عنه نيام ، وحرصت عليه وزهدنا به ، وعنيت بتحقيقه ونشره والتعريف به ، ونحن عنه غافلون وبه مفرطون .

وقد سبق المستشرقون إلى إنشار الكثير من المراجع العربية الموثوقة بعد البلى ، ونشره محققاً منقحاً منقوداً ، وأسعفهم على ذلك ما استحدثوا من أساليب علمية في النقد والبحث ، وما أودعته دور الكتب عندهم من مخلّفات أعلامنا .

وقد استفاق العرب ، في مائة السنين الأخيرة ، من هجعتهم ، والتفتوا إلى هذا التراث الضخم ، فأسهموا في الحفاظ عليه ، والإفادة منه ، وإخراجه للناس على أحسن وجه يعينهم في ذلك تمكنهم من العربية ، وتذوقهم لها ، لاتصال عهدهم بها ، واعتزازهم بهذه الوشائج التي تصل الخلف بالسلف ، وسهولة وقوفهم على النصوص وتبينهم وجه الصواب فيها .

ولكن دور الكتب العامة في مشرق الدنيا العربية ومغربها لم تلق العناية الوافية الواجبة ، ولم تهرع الحكومات عندنا إلى المحافظة على هذه الكنوز من الضياع والتلف ، ولم تيسّر للباحثين سبل التنقيب عنها والانتفاع بها . فليس في أكثر دور كتبنا فهارس متقنة مطبوعة للمخطوطات ، أما الخزائن الخاصة

ففيها ذخائر يضن بها أصحابها - إذا عرفوا قيمتها - على العلماء، ويتلفونها على أتفه السبل في أكثر الأوقات . وفي هذا كله ما يعنّي العلماء العرب ويحول بينهم وبين ما يبتغون من إسهام محمود في تحقيق المخطوطات . ومع ذلك فجهود المجامع العلمية والفضلاء من الخواص في هذا الميدان أخذت تؤتي أكلها طيباً، ويقطف العلم منها أفضل الجنى .

وكانت تعوز الباحثين مؤسسة تنسق نشر المخطوطات العربية في العالم كله، وتضم في خزائنها صور المخطوطات القيمة التي يُعْجِز الأفرادَ الوصولُ إليها والحصول عليها . فقطنت لهذا النقص جامعة الدول العربية واستأثرت بفضل إنشاء (معهد المخطوطات العربية) سنة ١٩٤٦، ليصبح مركزاً علمياً، يعوذ به المنقبون عن المخطوطات، المولعون بإحيائها، ويضم في خزائنه صور القيّم منها أنى وجده . وقد ازدادت ثروة المعهد من (أفلام) المخطوطات مع الزمن، فأصبح لديه اليوم أكثر من أربعة عشر ألف فلم مصغر (ميكروفيلم)، تصور عدداً ضخماً من مخطوطاتنا العربية في مشارق الأرض ومغاربها . ولا يزال العاملون في المعهد، وعلى رأسهم الدكتور صلاح الدين المنجد، يشدون الرحال إلى كل بلد يتوقعون أن يقعوا فيه على مخطوط ثمين في مكتبة عامة أو خزانة خاصة . وقد أخذ المعهد في نشر (فهرس المخطوطات المصورة) الموجودة لديه، فطبع الجزء الأول منه سنة ١٩٥٤ . وهو الآن في سبيل إعداد مستدرك عليه يصحح خطأه، ونَشْرِ الجزء الثاني من هذا الفهرس النافع .

وقد شاء المعهد أن يخطو الخطوة التالية في اداء رسالته الكريمة، فشرع يصدر (مجلة معهد المخطوطات العربية)، وينشر فيها أبحاثاً بارعة عن المخطوطات العربية في دور الكتب في العالم، وكلماتٍ في التعريف بالثمين من المخطوطات وموضوعاتها . هذا إلى جانب الباب الذي يسجل فيه نشاط المعهد، من تصوير مخطوطات جديدة أو نشرها، أو الإشارة لمن يقوم بتحقيقها، أو نقد لما نشر،

، تحقيق لبعض الرسائل النادرة القصيرة . وقد صدر من هذه المجلة المجلد الأول في جزأين ، وفيهما أبحاث طريفة لذة ممتعة مفيدة في وصف دور الكتب في العالم العربي ، المعروف منها والمجهول ، وفي نوادر ما فيها . كما يجد المطالع فيهما بيان ما نشر من المخطوطات في هذا العهد الأخير .

هذا وفي الصفحات ٣١٩–٣٣٧ قواعد يقترح اتباعها الدكتور صلاح الدين المنجد في نشر النصوص القديمة ، والموضوع جليل ، وآراء العلماء فيه مضطربة متعارضة . وقد تصلح بعض هذه القواعد المقترحة لنشر كتب بعينها فنقره عليها ، ولكن كتباً أخرى في موضوعات مغايرة قد تقتضي تعديلاً لهذه القواعد . على أن مؤتمر المجامع العلمية الذي ينعقد الآن في دمشق سينظر فيها ، ونرجو أن يخرج من دراسته لها بقواعد ضافية مفصلة تنتظم كل ما ينشر ، وتنسق طريقة النشر ، وتجلو ما يجب نقديه على غيره في النشر ، ويقرها جميع العاملين في هذا الموضوع الجليل .

والحق أنه لا يغني المحققين المهتمين بنشر التراث الفكري العربي شيء عن هذه المجلة ، ونرجو أن تغنيهم في المستقبل عن كل مصدر ، وأن يصبح المعهد قبلة الباحثين أجمعين ، إليه يتجهون وعنه يأخذون وفي اداء رسالته يسهمون . والشكر أولاً وآخراً للجامعة وللمعهد وللقائمين عليها .

مصادر الدراسة الأدبية

الجزء الثاني : الفكر العربي في سِيَر أعلامه ، القسم الأول : الراحلون (١٨٠٠ - ١٩٥٥م) ، ألفه : يوسف أسعد داغر ، ونشرته جمعية أهل القلم في لبنان ، وطبعته في (مطابع لبنان) ، بيروت ١٩٥٦ ، في ٨٦٠ صفحة

كان المتقدمون من علمائنا في الزمن الغابر يعوذون بما أوعيته صدورهم وما اختزنته ذاكرتهم ، في معرفة مراجع ما يقبلون عليه من بحث ودرس وتأليف . فلما طلعت المطبعة على الناس بهذه الألوف المؤلفة من الكتب والمجلات ، وتضاعف عدد المراجع والمؤلفات ، واتسعت آفاق المعرفة وامتدت حدودها ، عجزت الذاكرة عن استظهار عناوين الكتب ، بله ما تشتمل عليه هذه الكتب ، فأصبح قصارى العالم الباحث في عصرنا أن يعرف المراجع التي تيسر له سبل البحث . ولهذا أصبح التأليف في التعريف بالمراجع خدمة جلى للعلم والعلماء .

وممن انصرف ، في الآونة الأخيرة ، إلى التأليف في هذا الموضوع ، الأستاذ السيد يوسف أسعد داغر ، أمين دار الكتب اللبنانية السابق ، فقد نشر كثيراً من الكتب في ذلك ، وأجلّها كتاب (مصادر الدراسة الأدبية) .

نشر المؤلف الجزء الأول من كتابه هذا سنة ١٩٥٠ م ، وأودعه تراجم موجزة لزهاء مائة من الأعلام العرب ، المقرر تدريس شيء من آثارهم في مناهج التعليم الرسمية في بعض البلاد العربية (من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة)[1] .

ثم أصدر الأستاذ داغر في هذه السنة القسم الأول من الجزء الثاني من (مصادر الدراسة الأدبية) . وقد قصر هذا القسم على سِيَر الراحلين (١٨٠٠ — ١٩٥٥) من أعلام الفكر العربي الحديث . أما القسم الثاني من

(١) تجد تعريفنا بهذا الجزء الأول في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٦ سنة ١٩٥١ ص ٤٤٤ — ٤٤٧ ، وقد كتبه الأستاذ نعيم الحمصي .

هذا الجزء فيود المؤلف الفاضل أن يدون فيه تراجم الأحياء من أعلام الفكر العربي الحديث . وسيضمّن الأجزاء الثلاثة التالية ما يتعلق بالأدب النسائي العربي في القرنين الأخيرين ، وبالمستشرقين والفنون الأدبية العامة كالمسرح والنقد والصحافة ....

طريقة المؤلف في هذا القسم الذي نعرّف به تشابه طريقته في الجزء الأول إلى حد كبير ، فهو يبدأ كل ترجمة بإيراد نبذة وافية في التعريف بالعَلَم المترجم له ، ثم يعقّب على ذلك بسرد مؤلفاته : ما طبع منها وما لم يطبع ، ثم يتلو ذلك بيان الكتب التي أُلفت عن هذا العَلَم أو تناولته بالبحث ، وكذلك المجلات العربية التي كتبت عنه ، دالاً على المظان بوضوح ودقة وتفصيل . وقد وطّأ المؤلف لهذا القسم بالتعريف بأصول الكتاب ، فذكر المراجع العامة والمجلات ، وعرّف بها تعريفاً مجزياً ، وختم الكتاب ببحث ضاف في الاستشراق وأعلام المستشرقين . وقد أثبت المؤلف في هذا القسم تراجم (٢٠٦) من الأعلام الراحلين ، وأغفل ـ مرغماً ـ إثبات ترجمة مائة منهم آخرين ، كان يود التعريف بهم لولا تضخم حجم الكتاب .

هذا الجهد المحمود ، الذي بذله المؤلف في صبر وأناة ودأب وتبصر ، لا يكافيه شكر المنتفعين بكتابه القيّم هذا ، ولا يوفيه حقه ثناء الباحثين الذين بذل لهم وقته فوفّر عليهم وقتهم ، ويسر لهم سبل البحث ، وأمدّهم بما قد يُعجز كثرتَهم الوقوفُ عليه لولاه .

على أن حرصنا على الإفادة من كل جهد المؤلف يضاعف أسفنا على اضطراره لإسقاط تراجم مائة من الأعلام كان قد أعدها لهم ، وفيهم العدد الجم من الفحول المتمكنين الذين يعدلون ـ بل يفضلون ـ بعض من أثبت تراجمهم ؛ فممن أغفل محيي الدين الخياط وهدى شعراوي وكرنيليوس فان ديك وجرمانوس فرحات وجمال الدين القاسمي ولبيبة هاشم ومصطفى مشرفة . وكانت للمؤلف مندوحة عن إسقاط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تراجمهم لو لم يسرف في ترداد كلمات فرنسية بعينها ترد في ترجمة كل علم ، ولو لم ينقل إلى الحروف اللاتينية اسم كل مترجَم له . وإذا كانت تجنبه هي خدمة المستشرقين فاننا نعتقد ان المستشرق الذي يعجز عن تهجية اسم العلم بالعربية عاجز عن الإفادة من السيرة التي سطرها له المؤلف بالعربية وحدها . وكان يجزئ المؤلف أن يقدم للكتاب بفهرس لاتيني للأعلام ، وبكلمات قليلات تترجم للمستشرقين غرض الكتاب ورموزه . هذا وفي الكتاب أقسام كبيرة من صفحات تركت بيضاً ، توخياً للأناقة في الطبع ، على أن المألوف في أمثال هذا الكتاب من المصادر والمعاجم أن يقتصد في التزويق ، لتتضمن الصفحات القليلة الأقوال الكثيرة .

هذا وقد ينكر الحراص على سلامة المبنى العربي على المؤلف الفاضل تجوزه حيناً بعد حين في الأسلوب ، كقوله مثلاً في ص : س : « نحن نعرف قبل غيرنا مركب النقص في هذا الكتاب وما يعتوره ، بالرغم مما وفرنا له من مقومات ومحسنات ومؤهلات ، من شوائب وأوهام وهنات » وقوله في ص : ن : « رأينا أن نلحق كتابنا هذا بفهرس عام » . أو روايته بيت شوقي المشهور على الشكل التالي : (ص : ن)

ونحن في الشرق والفصحى بنو رحم   ونحن في الجرح والإيلام إخوان

ولعل هذه الهنات الهينات تعويذة للكتاب تقيه لذعة الحدق .

عبد الهادي هاشم

أساسات التنمية الاقتصادية
وتطور اقتصاديات الشرق العربي

للأستاذ يونس صالح الحربي

نشر الأستاذ يونس صالح الحربي بوساطه دار العلم للملايين (بيروت) في هذا العام ، كتابين اقتصاديين ، الأول : (أساسات التنمية الاقتصاديه) ، والثاني : (تطور اقتصاديات الشرق العربي) .

وقد بحث في الكتاب الأول: مواضيع ١ — التنمية الاقتصادية ، ٢ — تكوين رأس المال ، ٣ — استخدام القوة العاملة ودور السكان في التصنيع .

وبين فيه أن تنمية رأس المال ، بالدخل الحقيقي ، مما يبعث النشاط في العمل ، ويكثر الانتاج . وان من الضروري الادخار ، واستثمار تلك الأموال المدخرة بالطرق المنتجة ، لأن المال هو واسطة كبيرة للعمل ، وان من الواجب إفساح المجال للكسب أمام رجال الأعمال ، وبين ضرورة التوجيه الحكومي لتأمين توزيع موارد الجماعة ، لأن لها تأثيراً كبيراً في الادخار وزيادة رأس المال .

ثم قال : ان الانتاج الكبير وحسن إدارة الأعمال ، وتنظيم العمل ، وإتقانه بالأساليب الحديثة مما يخفض نفقات الصنع ، على أن زيادة الفائدة ، تضر بالاقتصاد الوطني .

وقد أفرد بحثاً عن رأس المال المستثمر في الولايات المتحدة ، وزيادة الانتاج هناك ، ومعدل النمو الصناعي في بريطانيا ، والولايات المتحدة وغيرهما من الدول ، وبين أن نظرية مالتوس كانت غير واقعيه .

ثم قال إن من الضروري معالجة البطالة ، بالأعمال المنتجة ، وان الصناعة

هي ضرورية لتأمين استهلاك الشعوب ، ولتأمين الآلات الزراعية الحديثة ، والسماد ، وان في زيادة الانتاج الزراعي والصناعي ازدهاراً اقتصادياً .

ان هذا الكتاب قيم وجامع للنظريات الاقتصادية ، وقد استعان على إخراجه بعدة كتب لكبار رجال الاقتصاد ، على انه كتاب عام ، وغير محصور بالبلاد العربية ، لأن كتابه الثاني يخص البلاد العربية ، كما ان الاحصاء الذي أتى به كان جله قبل عام ١٩٥٠ ، مع ان الكتاب طبع عام ١٩٥٦ ، ولكن هذا لا يقلل من أهميته .

وأما كتابه الثاني فقد استعرض فيه اقتصاديات البلاد العربية ، وحالة الدخل الضئيل فيها وأنواعه ، وحالة السكان في البلاد العربية ، وقلتهم في سورية والعراق والمملكة العربية السعودية ، و كثافتهم في مصر ولبنان والأردن واليمن ، والانتاج الزراعي ، في كل قطر عربي وتزايده وقضية الملكية في مصر ، وتوزيع بعض الأراضي هناك ، وفوائد السدود فيها ، ومشاريع الري والسدود في العراق والآمال الكبيرة المعلقة عليها ، والنفط العربي وكميته وأقطاره ، واستثماره من قبل الشركات الأجنبية ، والصناعة في البلاد العربية ، وتكاثر الآلات الحديثة ، وانتاج كل قطر ، والقوة الكهربائية فيه وقابلية التوسع الزراعي والصناعي .

ثم بحث عن التنمية الاقتصادية ، وبين ضرورة العناية بزيادة الانتاج الزراعي والصناعي وذكر عيوب النظام المالي وعدم مرونته ، ومن قوله : (ومما لا شك فيه ان الفقر السائد في البلاد « العربية » والتمثل في وطأة الدخل الفرد يؤثر على ميزانيات الدول المتخلفة ، وبالتالي يحد من مقدرتها على العمل والانفاق والاستقراض لأغراض التمويل ، والسياسة الاقتصادية ، والنظم الضرائبية ليست نظماً تقدمية ، فأغلب الإيرادات مستمدة من ضرائب استيراد واستهلاك ورسوم أخرى غير مباشرة) وهذا هو الواقع في البلاد العربية للأسف .

وبحث أيضاً عن حالة الأسعار وارتفاعها ، والتنظيم النقدي ، وتراخي الحكومات

ARCHIVE

بمكافحة التضخم والأسعار ، وحالة التجارة الخارجية وعرض جدولاً بالمستوردات والصادرات في البلاد العربية ، وكيف أن الميزان التجاري علينا لا لنا ، وخاصة في العراق - إذا استثنينا صادرات النفط - والأردن ولبنان .

ان هذا الكتيب قد استعرض اقتصاديات البلاد العربيـة ، وانا لنشكر الأستاذ على جهوده الطيبة .

في الحق ان الأمة العربية في تزايد متواصل ، مع ان الانتاج يزيد ببطء ، وهذا ما جعل المواليد الجدد يلتهمون تلك الزيادة ، بينما الإنتاج بأجمعه ليس بالقدر الكافي بحيث يمكنه رفع مستوى الأمة ، وانتشالها من هوة الفقر الخطيرة . لذلك كان من الواجب على الحكومات العربية أن تعمل على الإكثار من المساكن الصحية الحديثة ، وزيادة الآلات الزراعية ، والمشاريع المائية للري والكهرباء ، وايجاد معامل للسماد الكيماوي لإراحة الأرض وزيادة غلتها ، وتكثير الآلات الصناعية الهامة ، والتنقيب عن النفط والمعادن في الأقطار التي لم يكن منه شيء لديها بعد ، وتعميم التعليم الابتدائي والمهني ، وربط البلاد العربية بعضها ببعض بالوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية لإيجاد القوة والاستقرار والحماية والتعاون المشترك ، في زيادة الانتاج واستهلاكه .

منير الشريف

آراء وأنباء

الأستاذ المرحوم جورج سارطون

(١٨٨٤ ـ ١٩٥٦)

وفاة الأستاذ جورج سارطون

تخطف الموت من بيننا علماً فذاً من أكابر علماء هذا العصر، ومستشرقاً ضليعاً أخلص الحب للعرب ولغتهم، وجلا فضل علمائهم على العالم القديم، في تجرد وإنصاف؛ فقد جاء النعي بوفاة الأستاذ المرحوم جورج سارطون في الثاني والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٥٦، ولم يكن قد انقضى عام واحد على انتخابه عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي.

ولد المرحوم جورج سارطون في بلدة غاند (بلجيكة) في ٣١ آب ١٨٨٤. واغتضرت أمه ولم يتم السنة الأولى من عمره. وقد نشأ في هذه البلدة، ودرس في جامعتها، وأحرز منها شهادة الدكتوراه في العلوم الفيزيائية والرياضية سنة ١٩١١. فلما اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى رحل بزوجه وابنته (مي) إلى انكلترة موطن زوجه، ثم تحول عنها إلى الولايات المتحدة حيث اتخذ منها منذئذ موطنه الثاني، فسُمّي محاضراً في تاريخ العلم في جامعة جورج واشنطون عام ١٩١٦، ثم انتقل إلى جامعة هارفرد، وواظب على تدريس تاريخ العلم فيها منذ سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٤٩. وكان لمؤسسة كارنجي الفضل الأكبر في أن وفرت له كل ما يعوزه حتى يستطيع أن يقف جميع وقته على دراسة تاريخ العلوم والتأليف فيه. وقد ألقى الكثير من المحاضرات في الجامعات الأميركية والأوربية، وزار في سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ بلاد الشام ومصر وافريقية الشمالية. ولا يزال الكثيرون في بلادنا يذكرون محاضراته الممتعة القيمة التي ألقاها يومئذ في الجامعة الأميركية وكلية المقاصد الإسلامية في بيروت، وكان موضوع أكثرها بيان فضل العرب على التفكير الإنساني.

مُنح الفقيد ست شهادات دكتوراه فخرية، وانتخب عضواً في عشرة مجامع علمية دولية وفي كثير من الجمعيات الدولية للعلم والتاريخ والفلسفة، وظل أمداً

طويلاً رئيساً للاتحاد الدولي لتاريخ العلوم في باريز، قبل أن يصبح رئيساً فخرياً له، ولجمعية تاريخ العلوم. وقد سُمي عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في الرابع والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٥٥.

كان المرحوم جورج سارطون قد أزمع منذ صباه أن يتفرغ لدراسة تاريخ العلوم، وبلغ من ذلك فيها بعد مبلغاً لم يتح لغيره، وخلّف للباحثين والعلماء أكثر من خمسمائة مؤلف، هذا عدا ما كان ينشره في المجلات من تعريف بالكتب ونقد لها. وأهم تصانيفه كتاب «المدخل إلى تاريخ العلوم»، أصدره في ثلاثة أجزاء[1]، في خمسة مجلدات، تستغرق أكثر من أربعة آلاف صفحة، وقد نشرته مؤسسة كارنيجي في واشنطون ١٩٢٧ — ١٩٤٨. يشتمل هذا الكتاب على موجز تاريخ العلوم الرياضية والطبيعية والعقلية في العالم كله، وعند جميع الأمم وفي جميع اللغات - بما وصل علمه إلينا -، منذ هوميروس حتى آخر القرن الرابع عشر (القرن الثامن الهجري). وقد وقف المؤلف جزءاً كبيراً وافياً من كتابه هذا على تاريخ العلوم عند العرب، وعُني أكرم عناية بجلاء أثرهم وتبيان فضلهم على العالم في هذا الميدان، في تجرد وإنصاف، يحمد عليهما، حتى أصبح كتابه هذا مرجع كل من كتب بعده في تاريخ العلوم عند العرب.

وقد أقرت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ترجمته الى العربية سنة ١٩٤٨، ولكن لم تظهر هذه الترجمة إلى اليوم، ولم ينقل من آثار الفقيد إلى العربية فيما نعلم، إلا محاضرة واحدة ألقاها في مكتبة الكونغرس (نيويورك) في آذار ١٩٥٠، حول «الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط»، وترجمها فيما بعد إلى العربية الدكتور عمر فروخ، بعد أن وطأ لها بكلمة موجزة، عرّف فيها بالمحاضر وآثاره[2]. ويبدو أنه يجري الآن إعداد ترجمة عربية لكتاب آخر

(١) اقرأ تعريف الدكتور عمر فروخ بالجزء الثالث من هذا الكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي (مج ٢٦، سنة ١٩٥١، ج ١، ص ١٠١ وما يتبعها).

(٢) نشر مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٥٢م.

من مؤلفات الفقيد هو : « تاريخ العلوم ، العلوم القديمة في عصر اليونان الذهبي » ؛ على أن كثيراً من كتبه نقل إلى لغات أخرى كالاسبانية واليابانية ، ومنها « تاريخ العلوم والآداب الحديثة » و « حياة العلوم، مقالات في تاريخ الحضارة » ...

هذا وقد أنشأ الفقيد مجلتين للبحث في فلسفة العلوم وتاريخ العلوم والثقافة ، وهما « ايزيس » و « اوزيريس » ، وأصدر منهما ثلاثة وأربعين مجلداً ، ثم تخلى ، في الفترة الأخيرة ، عن الإشراف عليهما لغيره من العلماء ، ولعل هذه المجلدات التي صدرت منهما تؤلف أكبر مجموعة من هذا النوع في العالم كله .

هذه حياة خصبة طويلة ، قضاها هذا الرجل في العلم وللعلم ، فصح فيه قول القائل : « رجل مات والرجال قليل » ، تغمده الله برحمته ، وجزاه عن العلم وأهله خيراً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

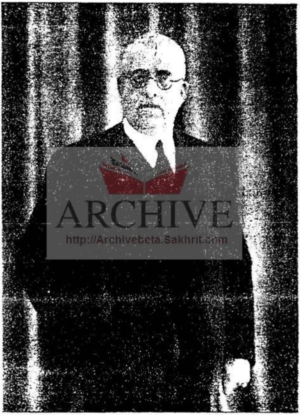

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ المرحوم عيسى اسكندر المعلوف

(١٨٦٩ ـ ١٩٥٦)

وفاة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف

في اليوم الثاني من شهر تموز سنة ١٩٥٦ ، رزئ المجمع العلمي العربي بوفاة العلامة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، أحد أعضائه الأوائل الذين شادوا صرحه وأثلوا مجده وحببوا العربية إلى أبنائها ، يوم كان القوم بين عازف عنها متنكر لها ، وجاهل بها جاحد فضلها .

ولد الفقيد الكريم في قرية كفرعقاب من متن لبنان، في ١١ نيسان عام ١٨٦٩ م ، لأبوين ينتميان إلى أسرة حورانية غسانية . ودرس في صغره مبادئ العلوم في مدرسة القرية على الطريقة القديمة . ثم انتقل إلى مدرسة المرسلين الانكليز ، فأتقن العربية وبعض الانكليزية والرياضيات . ثم التحق بمدرسة الشوير العالية في متن لبنان أمداً قصيراً ، وما لبث أن انصرف بعد ذلك إلى المطالعة الشخصية ، وحضور مجالس علماء عصره ومنهم الشيخ ابراهيم اليازجي . فلما اجتمع له من العلم بالعربية قدر واف أخذ يدرسها في بعض المدارس الخاصة ، ويؤلف لطلابه فيها كتباً تعينهم على التبحر فيها والتمكن منها . فلما أنشئت جريدة (لبنان) سنة ١٨٩١ أصبح يحرر فيها ، دون أن ينقطع عن التدريس ، وظل يمد كثيراً من الصحف والمجلات ، في هذه الفترة ، في الوطن والمهجر بمقالاته ودراساته وأبحاثه ، ويلقي بين الفينة والفينة محاضرات نافعة على الجمهور . وقد أصدر سنة ١٩١١ مجلة (الآثار) مدة ثلاث سنوات ، توقفت بعدها إثر نشوب الحرب العالمية الأولى ، ثم عادت إلى الصدور بعد انتهاء الحرب .

وقد ساهم الفقيد في (ديوان المعارف) ، في عهد الحكم الفيصلي في الشام ، مساهمة محمودة مشكورة ، واشترك في تقويم لغة الكتب المؤلفة أو المترجمة آنئذ . فلما أصبح هذا الديوان المجمع العلمي العربي سنة ١٩١٩ سمي الفقيد عضواً عاملاً فيه ، فشارك في وضع أسسه ، وإقامة دعائمه ، وفي الكتابة في مجلته ، والمحاضرة في ردهته ، ثم حين تحول الفقيد عن دمشق إلى مدينة (زحلة) وعاد إلى الإقامة

فيها ، أصبح عضواً مراسلاً للمجمع . ثم انتخب عضواً في المجمع العلمي اللبناني عند تأسيسه في ٢٠ شباط ١٩٢٨ ، كما عين عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ إنشائه في ٦ تشرين الأول ١٩٣٣ .

كان الفقيد واسع الاطلاع ، طويل الباع ولا سيما في علم التاريخ ، بصيراً بالكتب : مخطوطها ومطبوعها ، حريصاً على اقتناء القيم النفيس منها ، وكانت خزانته من أغنى خزائن المشرق بالمخطوطات ، وقد انتقل منها إلى خزانة الجامعة الأميركية في بيروت نحو خمسمائة مخطوط لما أزمع المرحوم السفر إلى البرازيل حيث يقيم أولاده النابهون النابغون . وكان الفقيد إلى ذلك صبوراً على البحث ، مكبّاً على الدرس ، دؤوباً على التأليف ، لم يقعده عن ذلك إلا اشتداد وطأة المرض عليه في السنوات الأخيرة . وقد ألف الكثير من التصانيف المفيدة ، ولكن لم يطبع منها إلا القليل . فمن هذه التصانيف كتاب مطول في تراجم أدباء القرنين التاسع عشر والعشرين ، وهو أشبه بذيل لسلك الدرر للمرادي ، وكتاب في تاريخ الحرب العالمية الأولى ، وكتاب (تحفة القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة) في الشعر والشاعر والفنون الشعرية ، وكتاب (نفائس المخطوطات) الكبير في وصف نوادر الكتب المخطوطة ومزاياها ، وكتاب (خزائن الكتب العربية) . ومن تآليفه المطبوعة كتاب (دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف) في أكثر من سبعمائة صفحة ، وقد طبع في بعبدا سنة ١٩٠٨ ، وكتاب (تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني) وقد طبع في جونية سنة ١٩٣٤ في أكثر من أربعمائة صفحة ، وكتاب (تاريخ مدينة زحلة) في ثلاثمائة صفحة وقد طبع في زحلة سنة ١٩١١ ، وتاريخ (الأسر العربية المشتهرة بالطب وأشهر المخطوطات الطبية العربية) ، و (تاريخ الطب عند العرب) ، وتاريخ (قصر آل العظم بدمشق) ... الخ .

كان الفقيد – طيب الله ثراه – كريم الخلق ، هادئ الطبع ، واسع الصدر ، عميق الفكر ، جم التواضع ، عالي الهمة ، جواداً بعلمه ، طويل الأناة . تغمده الله برحمته ، وأثابه عن العربية خير ما يثاب به العاملون المخلصون .

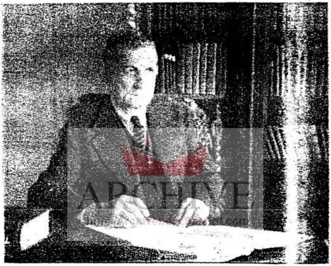

الأستاذ المرحوم فيليب طرازي

(١٨٦٥ ــ ١٩٥٦)

وفاة الأستاذ الڤيكونت فيليب دي طرازي

قضت مشيئة الله أن يختار إلى جواره ، في صبيحة اليوم السابع من شهر آب سنة ١٩٥٦ ، عالماً محققاً من خيرة علماء هذا العصر ، وعضواً كريماً من قدامى أعضاء المجمع العلمي العربي ، هو الأستاذ المرحوم فيليب طرازي ، فعظمت فاجعة العلم بفقده ، وأسِيَ كل من عرفه من أهل الفضل والسابقة لوفاته .

وُلد الفقيد في بيروت في ٢٨ أيار عام ١٨٦٥ من أسرة كريمة معروفة ، هاجرت من الموصل إلى حلب في القرن السادس عشر ، ثم ضربت فروع منها في أرض بلاد الشام ومصر ، ونزل بعض أفرادها بيروت في القرن التاسع عشر ؛ ومن نسل هؤلاء المرحوم نصر الله طرازي ، الذي أنعم عليه قداسة البابا بلقب (كُنْت) سنة ١٨٩٤ ، تقديراً لمساعيه المبرورة وعلمه الواسع . وورث فقيدنا فيليب لقب (ڤيكونت) عن والده المرحوم نصر الله ، إذ كان ثالث أنجاله .

درس المرحوم فيليب طرازي في المدرسة البطريركية ، وفي كلية الآباء اليسوعيين ، فنال النصيب الأوفى من الثقافة العالية والاطلاع اللغوي ، ثم انصرف إلى التجارة مهنة آبائه من قبل ؛ ولكن التجارة لم تشغله عن الاستزادة من العلم والمعرفة ، بل يسّرت له سبلها وأعانته ، إلى جانب ذلك ، على إسداء العون والبر لمن نكبهم الدهر ونزلت بهم شدائد الأيام ، ولا سيما في غضون الحرب العالمية الأولى ، حتى أنفق في سبيل كفكفة دموعهم وتخفيف آلامهم الشطر الأوفى من ثروته العظيمة .

انتخب الڤيكونت فيليب دي طرازي ، في ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ ، عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في مطلع عهده ، وظل أمداً طويلاً يوافي مجلته بأبحاثه ودراساته . كما اختير عضواً في كثير من المجامع والجمعيات العلمية في المشرق والمغرب .

كانت ثقافة الفقيد واسعة الآفاق ، ممتدة الجوانب ، وقد عُني بكثير من الموضوعات التي تهيبها العلماء من قبله فلم يطرقوها أو ألموا بها إلمامة الطائر ، فقد

تصدى مثلاً لتأليف كتاب في (تاريخ الصحافة العربية) ، وأنجزه في اثني عشر جزءاً ، نشر منها ، بين سنة ١٩١٣ و ١٩٣٣ أربعة أجزاء ، في أكثر من ألف وسائة صفحة ، وترجمت فصول منها إلى الانكليزية والالمانية ، كما ألف كتاب (خزائن الكتب العربية في الخافقين) ، في ثلاثة مجلدات تربي صفحاتها على الألف ، وقد طبعته وزارة التربية الوطنية في لبنان سنة ١٩٤٨ ، وكتاب (أصدق ماكان عن تاريخ لبنان) في ثلاثة مجلدات أيضاً ينيف عدد صفحاتها على الألف ، وقد طبعت سنة ١٩٤٨ .

وللفقيد الكثير من الكتب والرسائل القيمة المطبوعة ، منها كتاب (القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة) وقد ضم مراثي كتبت في عشرين لغة شرقية وغربية (بيروت ١٨٩١) ورسالة (عصر العرب الذهبي) و (بحث تاريخي علي أثري عن القرآن) و (علاقات ملوك فرنسا بملوك العرب) ، وكتاب (إرشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب) و (المخطوطات المصورة والمزوقة عند العرب) ... الخ

أما كتبه التي لم تطبع فتقارب الثلاثين عداً في الأدب والتاريخ والفن .

ومن مآثر الفقيد الجلى إنشاؤه دار الكتب الوطنية في بيروت ، فقد أنفق في سبيل إقامتها زهرة شبابه وحرّ ماله ، وأودعها جلّ ما في خزائن كتبه الخاصة ، حتى بلغ ما جهز به دار الكتب من المؤلفات اثنين وثلاثين ألف مجلد . وقد انتقلت إلى دار الكتب أيضاً مجموعة الفقيد الصحافية ، وهي تحتوي على أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة صحيفة مختلفة العناوين ، وتشتمل على نموذج من كل جريدة أو مجلة ظهرت في العالم بالعربية أو باحدى اللغات الشرقية ، وهذا النموذج هو أول عدد من هذه الجرائد والمجلات .

كان الفقيد وافر الذكاء ، متقد الذهن نافذ النظرة حاضر البديهة جميل النكتة كريم النفس واليد واسع الاطلاع مدققاً متبحراً متمكناً . وقد جاء في الأثر : خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وهذه حال الفقيد ، تغمده الله برحمته وجزاه أفضل ما يجزى الأخيار الأبرار .

مؤتمر المجامع اللغوية العلمية

تقوم الآن في العالم العربي ثلاثة مجامع، تعنى بالعرب وحضارتهم، وعلومهم وتراثهم، وتسعى إلى إنشار آثارهم وخدمة لغتهم، بحيث تساير هذا العصر وتتسع للعلوم والفنون والآداب والمخترعات الحديثة. وهذه المجامع القائمة الآن هي: المجمع العلمي العربي في دمشق وهو أقدمها، والمجمع العلمي العراقي، والمجمع اللغوي في القاهرة.

وقد اقتُرح على مؤتمر وزراء المعارف العرب في القاهرة (سنة ١٩٥٣) إنشاء مجمع علمي عربي موحد يحل محل المجامع القائمة. فأحيل هذا الاقتراح إلى اللجنة الثقافية الدائمة في جامعة الدول العربية عندما اجتمعت في جدة سنة ١٩٥٥، وخرجت من دراسته إلى إقرار مقترح الأستاذ عبد الهادي هاشم رئيس الوفد السوري آنئذ، ومآله أن من الخير بقاء المجامع الثلاثة قائمة، على أن تعمل الجامعة العربية فتيسر عقد مؤتمرات دورية بين هذه المجامع، لتنسيق أعمالها، وتبادل الرأي في نشاط كل واحد منها.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قامت الإدارة الثقافية في الجامعة بإنفاذ هذا القرار، فدعت إلى عقد المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية في دمشق بين ٢٩/٩/١٩٥٦ و ٥/١٠/١٩٥٦، ووجهت الدعوة إلى المجامع الثلاثة، وإلى كل دولة عربية ليس فيها مجمع، من أجل الإسهام في هذا المؤتمر، وأخذت تعد لجانه وتهيئ أعماله، مستعينة في ذلك كله بالمجمع العلمي العربي. وقدمت الحكومة السورية كل ما ييسّر نجاح المؤتمر ورعاه فخامة رئيس الجمهورية السورية بعنايته الكريمة.

وقد رؤي أن تكون لجان المؤتمر خمساً: تعنى الأولى بدراسة تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع العلمية العربية، وتعنى الثانية ببحث الوسائل ال

إلى ترقية اللغة العربية من حيث تبسيط قواعدها وكتابتها وإملائها وتقريب العامية من الفصحى وإصلاح لغة الصحف والإذاعة والدواوين وما إلى ذلك ، وتعمل اللجنة الثالثة على دراسة قضايا الترجمة والتأليف وتنسيق أعمال النشر في الأقطار العربية ، كما تقوم اللجنة الرابعة بدراسة وضع المصطلحات العلمية ونشرها وتأليف معجم لها . أما اللجنة الخامسة فتبحث في المخطوطات العربية : ماذا يجب أن ينشر منها وكيف ينشر .

وقد أقيمت حفلة افتتاح هذا المؤتمر على مدرج الجامعة السورية في دمشق في مساء ٢٩/٩/١٩٥٦ فألقى فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد شكري القوتلي كلمة رحب فيها بالمؤتمر وأعضائه ، وتلاه وزير المعارف الدكتور عبد الوهاب حومد ، ثم رئيس اللجنة الثقافية الدائمة الدكتور طه حسين ، ثم الدكتور منصور فهمي كاتب سر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ثم الأستاذ بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي صبيحة اليوم التالي (٣٠/٩/١٩٥٦) اجتمع أعضاء المؤتمر في ردهة المحاضرات في مقر المجمع العلمي العربي وألفوا لجاناً من بينهم ، أخذت كل منها تدرس ما نيط بها من موضوعات .

وسنذكر في العدد القادم ما يستقر عليه رأي المؤتمر في هذه الأبحاث وما سيقره من توصيات عند اختتام جلساته .

أسماء جبال تهامة وسكانها (١)

تأليف عرام بن الاصبغ السلمي ، تحقيق عبد السلام هارون بمصر

نبدأ تعليقنا على الطبعة الثانية من هذه الرسالة بملاحظاتنا على (صورة الجزيرة العربية) التي رسمها الأستاذ عبد السلام هارون ، ونشرها في مقدمة طبعتيه لرسالة « أسماء جبال تهامه » ، هذه الملاحظات هي :

١ — وضع الأستاذ ذات عرق بين قرن المنازل ومكة ، ومما لا شك فيه أن ذات عرق هي الموضع الذي يعرف في هذا العهد باسم « الضريبة » . وكان حجاج شمال نجد ، والقادمون من العراق في العهود الماضية ، وحينما كان الحج على الإبل ، يحرمون من هذا الموضع ، وهو يقع شمال قرن المنازل ، بميل نحو الشرق . ودليل شرعي على هذا هو أن ميقات ذات عرق حُدِّد في عهد الخلفاء الراشدين حيث لم يحدد الرسول ﷺ ميقاتاً لأهل المشرق القادمين من تلك الجهة الى مكة ، فرأى الصحابة في عهد عمر رضي الله عنه هذا الموضع محاذياً لقرن المنازل .

٢ — بئر معونة ليست غرب معدن بني سليم بل شرقه ، فهي واقعة في جبال أُبلى ، ولا تزال أُبلى معروفة باسمها في هذا العهد ، وهي تقع شرق المعدن بميل نحو الشمال ، والمعدن يعرف الآن باسم « مهد الذهب » .

٣ — وضع الأستاذ اسم « حنين » مجاوراً لبدر ، على ساحل بحر القلزم جنوب ينبع ، وشمال ودّان الواقع بقرب رابغ ، ومعلوم أن الأستاذ يقصد حنيناً الموضع التاريخي المشهور ، إذ مصور الجزيرة هذا وضع لهذه الرسالة التي ألفت في القرن الثالث الهجري ، ووضع حنين بهذه الصفة خطأ محض ، فحنين

---

(١) في المجلد الـ ٢٨ من مجلة المجمع العلمي العربي » ص٣٩٦ الى ٤٠٢ وص ٥٩٢ الى ٥٩٩ » نقد لطبعة الأولى من هذه الرسالة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقع شرق مكة ، فيما بينها وبين الطائف ويبعد عن مكان وضعه هذا مسيرة أيام وليال ، ويعرف موضع حنين في عهدنا باسم الشرائع .

٤ — أطلق الأستاذ على أعلى وادي الرُّمة اسم (وادي الشربة) . وهذا غير صحيح من وجهين : (١) أن هذا الموضع الذي سماه بهذا الاسم هو من وادي الرُّمة . (٢) أن الشربة تقع جنوبه ، فهي الأرض الواقعة بين خطي وادي الرمة ووادي الجريب حتى يلتقيا . والأستاذ عبد السلام لن يعدم قولاً ضعيفاً ـ للهيثم ابن عدي وأمثاله ممن لم يسر في تلك البقاع ـ يؤيد وهمه هذا ، إلا أن الحقّ خلافه .

٥ — ص ٣٩٧ : وليس شيء من تلك الأوشال يجاور الشقة . وعلق الأستاذ

أما ملاحظاتنا على الرسالة فهي :

بكلام أورده البكري عن « البثنة » وعن موضع فيها يسمى الشفة . ولا أزال عند رأيي في أن المراد « الشقة » أي ان مياه هذه الأوشال قليلة جداً . أما الموضع الذي ذكره البكري فأعتقد أنه مصحف ، وعلى فرض صحته ، فأية صلة بينه وبين الكلام في تعريف الوشل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦ — ص ٤٠٤ : علق الأستاذ عبد السلام على اسم قرية « المضيق » الواقعة بقرب آرة ، بين مكة والمدينة ، بنقل عن ياقوت فيه أن بني عامر أغاروا على زيد الخيل « الطائي » فالتقوا بالمضيق . ولا رابط بين هذين الموضعين ، فبنو عامر ينزلون في عالية نجد ، وطيء يسكنون شماله ، والموضع الذي وقع فيه الأمر لا بدّ أن يكون بقرب منازل إحدى القبيلتين ـ أي في نجد ـ وهذا الموضع الذي ذكره عرام في غور تهامة ، وشتان بين الموضعين ! وانظر جمهرة ابن حزم ـ ص ٢٦٨ ـ لتجد أن ملي بن مالك بن جعفر بن كلاب أحد رؤساء بني عامر يعرف بـ « نزال المضيق » .

٧ — كنا أوردنا في نقدنا للطبعة الأولى أبياتاً لغزلان الشامي من نوادر الهجري ، ومنها :

جواري من حي عداء كليهما طوامح بالأزواج غير غوان

وقصدنا تصحيح هذا البيت :

جواري من حيي عداء كأنها مها الرمل ذي الأزواج غير عوان

إلا أن الأستاذ عبد السلام أورد هذا البيت بصورته هذه ، وهي كما يراها القراء غير مستقيمة المعنى . وبعدها بيت آخر (ص ٤٠٧) :

جنن جنوناً من بعول كأنها قرود تبارى في رباط يمان

وحار الأستاذ في كلمة (تبارى) إذ قال انها غير معجمة وانه نقلها بهذه الصفة معجم ياقوت مادة (وبعان) وأنها فيه مادة (خلص) : تنادى . ولقد أوردناها صحيحة فيما نقلناه عن الهجري : تنازى - أي تتنازى ، من النزوان - والشاعر يهجوهم .

٨ - علق الأستاذ (ص ٤١٦) على معدن البرام ، الموضع الواقع قرب الطائف ، بكلام ورد في وصف معدن البرم في «أضاخ» والموضعان متغايران ، أولهما في الحجاز ، وثانيهما في عالية نجد .

٩ - ص ٤١٩ : قال عرام : وقعيقعان قرية فيها مياه وزروع ونخيل وفواكه ، وهي اليمانية ، وبين مكة والطائف قرية يقال لها راسب ، لخثعم ، و (الجونة) قرية للأنصار . علق الأستاذ عبد السلام على كلمة (اليمانية) قائلاً : يعني الفواكه اليمانية . وأقول : ان عراماً لا يقصد الفواكه ، بل يقصد وادي نخلة اليمانية ، الواقعة بين مكة والطائف ، فهذه القرية التي دعاها (قعيقعان) هي على رأيه تدعى اليمانية ، وانظر شفاء الغرام لتقي الدين الفاسي لتجد كلام عرام هذا .

وعلق الأستاذ على كلمة (الجونة) قائلاً :

كذا أثبتها ياقوت في رسمها وقال : قرية بين مكة والطائف ، ورسمت في الأصل : الجوبه معجمة الحروف . وقرأها الميمني : الجوبة . قال الشيخ حمد : وهي فيما أرى «الحُوِيَّة» بالحاء المهملة المفتوحة فواو مكسورة ، فياء مثناة تحتية مشددة ، فتاء التأنيث : قرية من أشهر قرى الطائف ، لا تزال معروفة بهذا الاسم ، وإن لم يرد ذكرها في المعاجم القديمة كغيرها من كثير من مواضع بلاد العرب .

واستدرك الأستاذ معلقاً على كلامي قائلاً : لكن تقييد ياقوت لها ، وكونها بين مكة والطائف ، لا في الطائف نفسها يعارض ما توهمه الشيخ . وأقول : ليس تقييد ياقوت حجة في هذا الباب ، فكثير من أسماء المواضع قيدها على غير وجهها الصحيح ، لأنه ينقل من كتب يقع فيها التصحيف كثيراً وفي معجم البلدان مئات من الأسماء مصحفة .

وأنا حينما قلت بأنها من أشهر قرى الطائف لم أنف وقوعها فيما بينه وبين مكة فقد قصدت الاقليم ، والقرية المذكورة إحدى قراه وهي واقعة فيما بينه وبين مكة .

١٠ — ص ٤١٨ : قال عرام : وقفل : الثنية [١] التي تطلعك على قرن المنازل ، حيال الطائف تلهزك من عن يسارك ، وأنت تؤم مكة ، متقاودة ، وهي جبال حمر شوامخ ، أكثر نباتها القرض اه .

حيال الطائف تصحيف (جبال) وقد ظن الأستاذ أن كل هذا الكلام يتعلق بوصف الثنية ، والحقيقة انه وصف لجبال الطائف .

١١ — ص ٤٣٤ : وهم على طريق زبيدة ، يدعوه بنو سليم ، (منفا زبيدة) . وعلق الأستاذ : كذا في الأصل وفي معجم ياقوت : منقا زبيدة ، رسم « مغار » وقرأها الميمني : « مغفا » سهواً . وأقول : الصواب ما في ياقوت : « منقا » بالميم المضمومة فالنون المفتوحة ، بعدها قاف مشددة مفتوحة ممدودة ، فالسيدة زبيدة قد أمرت باصلاح هذا الطريق ، وتنقيته من أحجار الحرة ، ولهذا يسمى « المنقى » ولا يزال سكان هذه الجهات من العرب وأهل نجد يسمونه بهذا الاسم .

ولنقف من هذه النظرة السريعة عند هذا الحد ، ذاكرين لعلامتنا الجليل الأستاذ عبد السلام هارون ، بمزيد الحمد والثناء فضله ، سائلين الله ليديم له الصحة والتوفيق ، ليواصل جهده العظيم في خدمة أمته في علمها وأدبها ، اللذين أسدى اليهما الكثير الجزيل من خدماته وأياديه .

حمد الجاسر

---

(١) لعلها الثنية (لجنة المجلة) .

منتخبات من معجم الكواكبي

- ٣ -

٢٢) Acétonurie تَخَلُّوُن البول .

من (acétone ، ومن اليونانية ouron : بول) .

لغة : اشتقاقاً من معرب الكلمة الافرنجية : الخلون .

فنّاً : حالة مرضية يوجد فيها الخلون في البول .

٢٣) Acétonylation خَلْوَنة .

لغة : اشتقاقاً من الخلون . فنّاً : عمل كيمياوي يُدخل فيه جذر الخلون ذرة الجسم العضوي ، وهو جذر وحيد المعادل : ($CH_3 \cdot CO \cdot CH_2$ —) .

٢٤) Acétonyle خَلُّونيل .

تعريباً . الجذر الوحيد المعادل المشتق من الخلون وهو ($CH_3 \cdot CO \cdot CH_2$ —)

٢٥) Acétylation أَسْتَلَة .

لغة : تعريبا . فنّاً : عمل كيمياوي يدخل فيه جذر الخليل (أستيل) مادة ما ($CH_3 . CO$ —) .

٢٦) Acétyle خَليل .

لغة : تعريبا . فنّاً : جذر عضوي وحيد المعادل ذو صيغة ($CH_3 . CO$ —) .

٢٧) Acide حَمْض .

(من اللاتينية acidus : حامض ، ضد الحلو) .

لغة : ما مَلُح وأَمَرَّ من النبات وهي كفاكهة الإبل جمعه حُمُوض . الحُمُوضة : طعم الحامض . حَمُضَ ككَرُم وجَعَل وفرح ، في اللبن خاصةً ، حَمْضاً وحُمُوضة وأحمضه .. المُستحمِض : اللبن البطيء الرَّوْب .

فنّاً : في الكيمياء : اسم عام يسمى به كل ما يطلق شوارد * هدرجينية .

في الكيمياء العضوية : كل ما فيه جذر (COOH —) المسمى (َحمائيل * [1]) ، واخاصل من اكسدة َغوْليد [2] * . خواصه على وجه عام : طعمه حامض ، محلوله في الماء يحيل صبغة العَبْشَم * [3] الزرقاء الى حمراء ويتفاعل والمعادن أو القلويات مكوناً جسماً معتدلاً على العبشم * هو الملح . (—indice d') : علامة الحمض ، رقم الحموضة : عدد الملغ من البوتاس اللازم لإشباع الحموض الدسمة الحرة في غ واحد من دسم أو شمع ... (— vert) الأخضر الحامض : صبغ مشتق من المثان المثلث الفنيل .

٢٨) Acide - alcool َحمضَيل .

لغة : نحتاً من (َحمض ، مائيل *) . فناً : جسم عضوي فيه وظيفة حمض ووظيفة غول . مثال : حمض اللبن ($CH_3.CHOH.COOH$) .

٢٩) Acide - Aldéhyde َحمضَليد .

لغة : نحتاً من (حمض ، َغوْليد *) . فناً : جسم عضوي فيه وظيفة حمض ووظيفة غوليد . مثال : حمض الغليوكسيل ($CHO - COOH$) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٠) Acide - ominé َحمضمين .

لغة : نحتاً من (حمض ، آمين) . فناً : جسم عضوي فيه وظيفة آمين ووظيفة حمض متجاورتين . مثال : حمضمين الخل [$CH_2(NH_2)COOH$] .

٣١) Acide - cétone َحمضْلون .

لغة : نحتاً من (حمض ، َخلُون) .

فناً : جسم عضوي فيه وظيفة حمض ووظيفة خلون . مثال : حمض الحصرم الناري ($CH_3CO.COOH$) .

٣٢) Acide - phénol َحمْفنول .

لغة : نحتاً من (حمض ، فنول) . فناً : جسم عضوي فيه حمض ووظيفة فنول . مثال : حمض الصفصاف ($C_6H_4(OH)COOH$) .

(1) carboxyle . (2) aldéhyde . (3) teinture de tournesole.

٣٣) Acidifiable حَموض .

لغة : وزان فَعُول وفيه معنى القابلية ، من (حمض) .

فنًا : كل ما هو قابل للإستحالة الى حمض .

٣٤) Acidifiant مُحَمْضِن .

لغة : بزيادة النون في آخر (حَمْض) : مُحَمِّض = ما يجعل الشيء حامضاً .

فنًا : ما يجعل الشيء بخواص الحمض .

٣٥) Acidification حَمْضَنَة .

لغة : كما في الكلمة الآنفة الذكر : اضافة حمض ما الى جسم ما .

فنًا : حالة يتحول معها جسم ما إلى (حَمْض) .

٣٦) Acidifier حَمْضَنَ .

لغة : كما في الكلمة رقم ٣٤ : حَمَّض = أضاف شيئاً حامضاً .

فنًا : جعل البيئة حامضة التفاعل .

٣٧) Acidifier (s') تَحَمْضَنَ .

لغة : كما في الكلمة رقم ٣٤ : احمَضَّ ، تَحَمَّضَ : صار حمضا .

فنًا : حالة تكتسب فيها البيئة تفاعلاً حامضا بالتدريج .

٣٨) Acidimètre مِحْماض .

لغة : اسم آلة من (حَمْض) .

فنًا : ميزان الحُمض ، آلة تعلم بها درجة تركُّز حمض ما .

٣٩) Acidité حُمُوضَة .

لغة : طعم الشيء الحامض ... فنًا : خاصة الجسم الذي يطلق شوارد الهدرجين .
وتقدّر بأُس الهدرجين (pH أقل من ٧) . || acitive — حموضة فاعلة :
التركز من شوارد الهدرجين ، الجزء المتفكك من ذرة الحمض = réelle —
|| de titration — حموضة عيارية : التركز من الجزء المتفكك والجزء

اللامنفكة = كمية القلوي اللازمة للتعديل · || totale – حموضة عامة = potentiel – حموضة كامنة || ionique – حموضة شاردية ، حموضة حقيقية = حموضة فاعلة · || – indice d' نسبة الحموضة ، رقم الحموضة : عدد المللغ من البوتاس اللازم لتعديل الحموض الحرة في غ واحد من دسم أو زيت عطري ·

٤٠) Acidose تَحَمُّضُ الدم ·

لغة : كما في (رقم ٣٧) ·

فنًّا : مرض يصبح الدم فيه حامض التفاعل ·

٤١) Aciérage فَوْلَذَة ·

(من اللاتينية acies, aciarum حَدّ) ·

لغة : اشتقاقاً من (الفولاذ) · والفولاذ : من الفارسية پولاد ، بالباء المثلثة التحتية ، وهو (ذُكْرَةُ الحديد ، كما في القاموس) : اسم عام لخلائط الحديد والفحم المحتوية على ٢و٠ – ٥و١ بالمئة من الفحم ·

فنًّا : عمل يتم معه تحويل المعدن الى فولاذ بأية طريقة كانت || وضع طبقة من الفولاذ على معدن ما لتزيد صلابته ·

٤٢) Aciéré مُفَوْلَذ ·

لغة : اشتقاقاً من الفولاذ (انظر رقم ٤١) ·

فنًّا : معدن محول الى فولاذ || كل ما هو محتو على فولاذ أو مطلي به ·

٤٣) Aciérer فَوْلَذَ ·

وكذا (Acieriser) ·

لغة : اشتقاقاً كما في الرقم ٤١ ·

فنًّا : قلَبَ الحديد فولاذاً || لَحَمَ طبقة من الفولاذ بالحديد ·

(يتبع) الكواكبي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com